



شرح الفتوى الحموية مقدمة عن الفتوى الحموية الكبرى (الجزء الثاني) وبيان منهج الشيخ فيها

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت السميع العليم، بادئ ذي بدء نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعظم الأجر والمثوبة للإخوة القائمين على هذا المسجد؛ حيث كان لهم قصب السبق في إقامة مثل هذه الدورات، فأول دورة انطلقت في هذه البلاد المباركة انطلقت من هذا المسجد، وعلى يدي هؤلاء الإخوة، ثم توالى هذه الدورات - كما تشاهدون، وكما تسمعون - ليس فقط في أنحاء هذه البلاد، بل تعدى ذلك إلى البلاد الأخرى، فنسأله سبحانه وتعالى أن لا يحرمهم الأجر والمثوبة، وأن يجعل لهم من قول النبي ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة ﴿٥١﴾ أوفر الحظ والنصيب.

ولعلي هنا أذكر نفسي وإخواني أن لا يحتقر الإنسان عملا قدمه، فإني أجزم بأن الإخوان هنا لما بدأوا هذه الدورات ما كانوا يتوقعون أن تمتد وتنتشر هذا الانتشار، ولكن ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) ولعل هذا - إن شاء الله - من أمارات وعلامات صدق النية، فإن من علامات حسن النية أن يكتب لعمل الإنسان ولمشروع الإنسان القبول.

ثم نعود لموضوع المتن الذي بين أيدينا الذي هو: "الفتوى الحموية الكبرى"، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، وقد بدأنا هذا المتن في الدورة السابقة في العام



الماضي، وسنكمل بإذن الحي القيوم الجزء المتبقي في هذه الدورة، ولا بأس من الإشارة إلى ما تضمنه الجزء الأول؛ لكي يتم الربط بين القسمين.

فمعلوم أن الفتوى هي: جواب لشيخ الإسلام، وقد سأله أناس من مدينة حماة عن مذهب السلف في الأسماء والصفات عموماً، وما يتعلق بالصفات الخيرية على وجه الخصوص، ولعل مجال الخلاف آن ذاك هي: صفة العلو؛ ولهذا تركز كلام الشيخ في هذه الفتوى على الصفات عموماً، وعلى صفة العلو على وجه الخصوص، وقد بدأ الشيخ فتواه ببيان إحكام الرسول ﷺ لباب: الإيمان بالله اعتقاداً، وقولاً، ثم بين منزلة العلم بالله، ثم أوضح استحالة تقصير السلف -رحمهم الله- في أصول الدين، وأنهم تلقفوا هذه المسائل عن رسول الله ﷺ عارفين لمعناها، وبلغوها للأمة كما أراد المصطفى -عليه الصلاة والسلام-.

ثم رد على مقولة مشهورة موجودة عند أهل الكلام وهي: أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم، وأحكم، ففند هذه المقولة، وبين أن طريقة السلف هي: الأسلم، والأعلم، والأحكم، ثم أوضح -رحمه الله- منشأ الخطأ عند من فضل طريقة الخلف على طريقة السلف، وبين ما المقصود بالسلف، هؤلاء الذي يطعن فيهم أولئك، ومن هم الخلف، وأوضح أن هؤلاء الخلف هم ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأن أكثرهم وقع في: الحيرة، والشك، والتردد.

يقول: كيف تفضل طريقة هؤلاء على طريقة أولئك السلف، الذين هم: أعلم الناس بما جاء به النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى، خاصة وأنهم عاصروا نزول الوحي، وأنهم أفصح الأمة لساناً، وأفقه الأمة علماً، وأقل الأمة تكلفاً؟.

ثم ذكر شيئاً من أدلة علو الله ﷻ على خلقه من الكتاب والسنة، ثم أوضح أنه لا يوجد في كلام السلف ما يخالف ظاهر هذه النصوص، ومفهوم هذه النصوص، لا نصاً ولا ظاهراً.

ثم أوضح منهج النفاة في نفي الصفات، واللوازم الباطلة المترتبة على قولهم، ثم أشار إلى أصل مقالة التعطيل، وأن أصلها نابع من اليهود، فسند التعطيل الجهم بن صفوان، عن الجعد بن درهم، عن ها من؟ بيان بن سمعان التميمي، عن طالوت، عن ليبد بن الأعصم، الساحر الذي سحر النبي ﷺ ثم أوضح أن تأويلات الأشاعرة المبنية في كتبهم ككتاب "أساس التقديس" هي عينها: تأويلات المعتزلة، وتأويلات بشر المريسي الذي رد عليه



الأئمة، والذي يعتبره الأشاعرة، أو يعتبرون المعتزلة هم: عدوهم اللدود، فالشيخ بين أن التأويلات الموجودة عند الأشاعرة هي عينها: التأويلات الموجودة عند المعتزلة.

ثم أوضح أو ذكر بعض المصادر التي عنت بكلام السلف في باب الاعتقاد، ثم أوضح الطوائف المنحرفة عن طريقة السلف، وأنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: أهل التخييل، وأهل التأويل، ها والقسم الثالث؟ أهل التشبيه.

ثم بدأ يذكر بعض النقول عن السلف في تحقيق صفات الله ﷻ وذكر جملة من هذه النقول، وتوقفنا على النقل، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم، ننبه الإخوة على أن لا يكون هناك أسئلة تطرح على الشيخ رغبة في إنهاء المتن، وذلك بناء على اتفاق مسبق مع الشيخ، وتستأنف الأسئلة - بمشيئة الله تعالى - في الوقت الذي يراه الشيخ.

نعم، لعلنا نلتبس منكم عذرا، أننا نؤجل الأسئلة والإجابة عليها إلى الدروس المتأخرة، إلى أن نقطع شوطا في المتن؛ لأن عندنا الأصل إنهاء هذا المتن، والأسئلة أمر طارئ، إضافة إلى أن الأسئلة يمكن الإجابة عليها عن طريق الهاتف، يمكن الإجابة عليها عن طريق المشائخ الشيخ عبد الله بن جبرين، الشيخ عبد العزيز الراجحي، بقية المشائخ، فإذا قطعنا مرحلة لا بأس بها من المتن، عدنا - إن شاء الله - إلى الأسئلة، نعم.



الإيمان بالعرش

قال المصنف - رحمه الله تعالى -: وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمِين - الإمام المشهور من أئمة المالكية - في كتابه الذي صنفه في أصول السنة، قال فيه: باب: الإيمان بالعرش. قال: ومن قول أهل السنة: أن الله وَعَلَى خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) فسبحان من بعد، وقرب بعلمه، فسمع النجوى، وذكر حديث أبي رزين العقيلي؛ قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: ﷻ في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء ﷻ قال محمد: العماء: السحاب الكثيف المطبق - فيما ذكره الخليل - وذكر آثارا أخر.

نعم. يقول الشيخ: وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمِين، المتوفى سنة ثلاثمائة وتسعة وتسعين، الإمام المشهور من أئمة المالكية، وكما ذكرت لكم سابقا، مما زاد هذه الفتوى قوة، وشرق بها أعداء الشيخ، ولهذا وقفوا منها موقف العداء، بل إن بداية الفتن التي افتن بها الشيخ: من السجن، ومن التشهير، ابتدأت بتأليف هذه الرسالة، والسبب في ذلك: القوة الذي تضمنه، أو تضمنته هذه الفتوى، وذلك أن الشيخ رد على هؤلاء المتكلمين هؤلاء المعطلة بكلام أسلافهم ممن يعظمونهم.

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة الحديد آية : ٤.



ولهذا نلاحظ الشيخ نقل عن أئمة الحنفية: كالإمام أبي حنيفة، ومحمد بن يوسف، أيضا نقل عن أئمة المالكية: كالإمام مالك، وابن أبي زمنين، كذلك عن أئمة الشافعية، أئمة الحنابلة، فإن كان هذا المخالف شافعيًا قيل: هذا كلام أئمتك، وإن كان مالكيًا قيل: هذا كلام أئمتك الذين تعظمهم، الذين تقلدهم في باب الفروض، فلم لا تقلدهم في باب الأصول؟! توافقهم في مسائل: الصلاة، والطهارة، والحج، وأحكام النكاح، وتخالقهم في مسائل الاعتقاد، في باب: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله؟! هذا تناقض، وإن كان صوفيا هذا المتأول فقد رد عليه بكلام أئمة الصوفية المعظمين عند الصوفية، وسيأتي طرف من ذلك.

الشاهد أن هذا المنهج ينبغي على طالب العلم أن يتسلح به في الموقف من المخالف، وذلك أن يرد على المخالف بكلام من يعظمه، ومن يقدمه هذا المخالف، فهذا المنهج فيه من القوة الشيء الكثير، وذلك أنه ربما يخالفك هذا المخالف لما تقول مثلا -إذا كان حنفيًا- وقلت له: هذا كلام الله، وهذا كلام رسوله، قال: أنت لا تفهم كلام الله، ولا تفهم رسوله، أنت فهمت هذه الآية، أو فهمت هذا الحديث على غير مراده، قلت له: قال الإمام أحمد، قال: نعم، أن تستدل مثلا -إذا صنفك أنك حنبلي، أو شافعي- قد تستدل بكلام الأئمة، لكن إذا قلت له: قال الإمام أبو حنيفة النعمان بالذات، إمامك، عن هذه الآية، أو عن هذه الصفة، لا شك أنه سيقف، إما أن يسلم، أو يحدد.

فهذا المنهج ينبغي أن يتنبه إليه طالب العلم، خاصة من ابتلي ببعض المخالفين في باب الاعتقاد، ويتمذهب بأحد هذه المذاهب.

يقول -رحمه الله- في كتابه الذي صنفه في "أصول السنة"، وهذا الكتاب قد طبع، وحقق برسالة علمية، قال فيه: باب الإيمان بالعرش. العرش الذي جاء ذكره في نصوص الكتاب والسنة، والذي هو في لغة العرب: سرير الملك، وهذا العرش جاءت بعض صفاته في نصوص الوحيين أنه أعظم المخلوقات، وأنه أعلى وأرفع المخلوقات، بل هو سقف المخلوقات على الإطلاق، فلا مخلوق فوقه، وأنه كما جاء في السنة أنه كالقبة على المخلوقات، وأن له قوائم، كما جاء في الحديث: ﷺ فإذا أنا بموسى باطش بقائمة من قوائم العرش، وممسك بقائمة من قوائم العرش



وَأَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمْدَحُ بِهِ ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(١) ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ ^(٢) ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ ^(٣) وَفِي هَذَا رَدُّ عَلَى مَنْ أَوَّلَهُ بِالْمَلِكِ، فَكَيْفَ يَكُونُ؟! هَلْ مُوسَى مَمْسُوكٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْمَلِكِ؟!

بعض المعطلة أول العرش، قال: معناه: الملك، وهذا قول باطل، تردده الأدلة.

قول أهل السنة بأن الله خلق العرش، واختصه بالعلو

يقول: قال: ومن قول أهل السنة: إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلَقَ الْعَرْشَ، وَاخْتَصَّهُ بِالْعُلُوِّ، وَالْإِرْتِفَاعِ فَوْقَ مَا خُلِقَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَلِهَذَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ سَقْفَ الْفَرْدُوسِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ، وَالْإِسْتَوَاءُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، وَمَا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ هُوَ: الْعُلُوُّ، وَالْإِرْتِفَاعُ، وَالصُّعُودُ، وَالْإِسْتِقْرَارُ، فَكَلِمَاتُ السَّلَفِ تَدُورُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْبَعِ الْفَاضِلَةِ: عِلَا، وَارْتَفَعَ، وَاسْتَقَرَّ، وَصَعِدَ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ الْمُسْلِمُ أَنَّ هَذَا الْإِسْتَوَاءُ اسْتَوَاءٌ يَلِيْقُ بِجَلَالِ اللَّهِ، وَعَظَمَتِهِ، لَيْسَ كَاسْتَوَاءِ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ^(٤).

بل تثبت هذه الصفة على حد قول الإمام مالك -رحمه الله-: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به -أي: بالاستواء- واجب، والسؤال -أي: السؤال عن الكيفية- بدعة، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى:

١ - سورة التوبة آية : ١٢٩.

٢ - سورة المؤمنون آية : ١١٦.

٣ - سورة البروج آية : ١٥.

٤ - سورة الشورى آية : ١١.



﴿الَّرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(١) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾
^(٢) وجاء ذكر استواء الله على عرشه في القرآن في سبعة مواضع.

القرب وأقسامه

فسبحان من بعد، وقرب بعلمه، سبحان من بعد، بمعنى: أنه بان من خلقه، لم يمتزج بالخلق، لم يختلط بالخلق كما يزعم الحلولية، من بعد بذاته سبحانه وتعالى، وقرب بعلمه فسمع النجم.
 المؤلف هنا كأنه يميل إلى أن القرب ينقسم إلى قسمين، القرب الموصوف به الله ﷻ كأنه يذهب إلى قول من قال: إن القرب ينقسم إلى قسمين، كحال أيش ها؟ المعية، كحال المعية، المعية تنقسم إلى قسمين: معية عامة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ^(٣) بالعلم، الإحاطة، القدرة، الاطلاع، ومعية خاصة، خاصة بالمؤمنين ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ^(٤) ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ^(٥) بالنصر.

هناك من العلماء من قال: إن القرب أيضا ينقسم إلى قسمين: قرب عام: أن الله قريب من الخلق عموما بعلمه وقدرته، وقرب خاص، لكن القول الراجح -والذي قرره شيخ الإسلام -رحمه الله-: أن القرب لم يرد في الكتاب ولا في السنة إلا قريبا خاصا، ليس هناك ثمة قرب عام، قريب ممن دعاه بالإجابة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة الحديد آية : ٤.

٣ - سورة الحديد آية : ٤.

٤ - سورة طه آية : ٤٦.

٥ - سورة التوبة آية : ٤٠.



عَنِّي ﴿^(١) أَيْش؟﴾ ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ﴿^(٢) قَرِيبٌ مِمَّنْ؟ مِمَّنْ دَعَانِي، ولهذا لما قال الصحابة -رضي الله عنهم-: أَقْرَبُ رَبَّنَا فَنَجَاهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنَادِيهِ؟ هَا مَاذَا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ﴾ ﴿فَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّنْ دَعَاهُ، كَذَلِكَ قَرِيبٌ مِمَّنْ عَبْدُهُ وَأَطَاعَهُ بِالْإِثَابَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾﴾ ﴿^(٣) .

شيخ الإسلام -رحمة الله عليه- يقول: القرب في الكتاب والسنة لم يرد إلا من هذا النوع؛ ولهذا يقول: أخطأ من أثبت قرباً عاماً من جميع الخلق، كما هي الحال في المعية العامة، ولعل سائل يسأل، ويورد ويقول: إذن قول الله ﷻ ﴿وَحَنَّنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿^(٤) .

أجاب الشيخ عن هذا، وأوضحه، وجلاه تلميذه ابن القيم في "مختصر الصواعق" في الجزء الثاني، أن القرب هنا ليس قرب الله ﷻ إنما قرب الملائكة، وهذا سائر، فإن العظيم من الناس -ولله المثل الأعلى- أحياناً ينسب عمل الجند إلى نفسه، فيقول: نحن فتحنا، والذي فتح وياشر الفتح: الجند، والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ﴿^(٥) مَنْ الَّذِي قَرَأَ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-؟ جبريل، ويقول في الملائكة، نعم، لا في القتل، في القتل في بدر، لا ليس هذا.

١ - سورة البقرة آية : ١٨٦ .

٢ - سورة البقرة آية : ١٨٦ .

٣ - سورة هود آية : ٦١ .

٤ - سورة ق آية : ١٦ .

٥ - سورة القيامة آية : ١٨ .



.....

الشاهد أن الله ﷻ نسب إلى نفسه ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ ^(١) الشاهد أن الله ﷻ ينسب فعل الملائكة إلى نفسه، وهذه عادة العظماء، فقول الله ﷻ ﴿ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(٢) هذا قرب الملائكة، يدل على ذلك تكملة الآية التي تليها: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ ^(٣) لو كان المقصود قرب الرب - سبحانه وتعالى - لم يقيد بهذا الوقت فقط، الظرف متعلق بالمعنى الذي في قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(٤) يقول: وقرب بعلمه، فسمع النجوى.

حديث: كان في عماء

وذكر حديث أبي رزين العقيلي، قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: ﴿ كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء ﴾ ^(٥) الحديث مداره على وكيع بن حُدس، أو حَدس، أو عَدس، وهو ضعيف، لكن معناه صحيح، فقلوه: ﴿ كان في عماء ﴾ ^(٦) فسر ابن أبي زمنين - رحمه الله - هذا العماء بأنه السحاب الكثيف المطبق، ونقل ذلك عن الخليل بن أحمد.

وقيل: هو: السحاب الرقيق، وقيل: العماء هو: السحاب الممطر، وقيل: السحاب الأسود، الشاهد أن العماء بالمد هو: السحاب، ﴿ كان في عماء ﴾ ^(٧) بمعنى: على العماء، على السحاب، وسيأتي الكلام - إن شاء الله - بعد

١ - سورة الأنفال آية : ١٢.

٢ - سورة ق آية : ١٦.

٣ - سورة ق آية : ١٧.

٤ - سورة ق آية : ١٦.



.....
قليل في أن في بمعنى: على، وهذا تكلمنا عليها أيضا في العام الماضي، ﴿٢٤﴾ في عماء ما تحته هواء ﴿٢٥﴾
الضمير يعود على العماء، ﴿٢٦﴾ ما تحته ﴿٢٧﴾ أي: تحت العماء، تحت السحاب هواء، ﴿٢٨﴾ وما فوقه هواء، ثم
خلق عرشه على الماء ﴿٢٩﴾ .

وكما قال أبو عبيد -رحمه الله-: نحن نؤمن أن الله ﷻ قبل أن يخلق السماوات والأرض كان في عماء،
على هذا السحاب، مثل ما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾
(١) والله أعلم بمقدار، وحجم هذه الظلل، وكيفية هذه الظلل، كذلك هذا العماء، نحن نشبث كما جاء في النص،
كيفية مقداره، ما هو؟ الله أعلم.

الإمام الترمذي -رحمه الله- روى الحديث، لكنه رواه مقصورا: ﴿٣٠﴾ في عما ﴿٣١﴾ وقال: معنى العما: العدم،
أن الله كان في لا شيء، وهذا القول مرجوح لأن الحديث جاء بالمد ﴿٣٢﴾ في عماء ﴿٣٣﴾ نعم.



باب الإيمان بالكُرسي

قال -رحمه الله- ثم قال: باب: الإيمان بالكُرسي. قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة: أن الكُرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين. ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه: [١٠٠] فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كُرسِيه، ثم يحف بالكُرسي منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها [١٠١]. وذكر ما ذكره يحيى بن سلام صاحب التفسير المشهور: حدثني المعلى بن هلال، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إن الكُرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه. وذكر حديث أسد بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكُرسي خمسمائة عام، وبين الكُرسي والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

نعم، ثم ذكر بعد ذلك محمد بن أبي زمنين -رحمه الله- قال: باب: الإيمان بالكُرسي، والكُرسي كما جاء عن ابن عباس، وغيره: أنه الذي بين يدي العرش كالمِرْقاة، كالمِرْقاة بالعرش، كالدرجة للعرش، وأنه موضع القدمين، ثم استدل على ذلك بحديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وهذا رواه جمع من الأئمة، ممن رواه: ابن أبي شيبه -رحمه الله- في مصنفه، والشافعي في "الأم"، وفي مسنده، وعبد الله بن الإمام أحمد ب "السنة"، وأبو يعلى في مسنده، والطبري في تفسيره، والدارمي في "الرد على الجهمية"، وغيرهم، وقد صححه جمع من الأئمة منهم: الإمام الذهبي، والهيتمي، وشيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، والحافظ الضياء. وعلى كل حال ففي هذا الحديث تصريح بأيش؟ بإثبات الكُرسي، ثم ذكر ما ذكره يحيى بن سلام صاحب التفسير المشهور، وتفسيره لا يزال مفقوداً، وله مختصر طبع قد اختصره ابن أبي زمنين -صاحبنا هذا- ساق أثراً



عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: إن الكرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه، وهذا الأثر سبق معنا في الجزء الأول، فقد رواه: ابن أبي شيبه، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن جرير أيضا في تفسيره، وعبد الله بن الإمام أحمد بـ "السنة"، وابن منده في "التوحيد"، وعبد الرزاق في مصنفه، والحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي. وممن صححه أيضا: ابن أبي حاتم -رحمه الله- والهيتمي، وقد أيضا صححه من المعاصرين: الشيخ ناصر -رحمة الله عليه- في "مختصر العلو" للإمام الذهبي، ويروى أيضا هذا الأثر عن أبي موسى، وهو من المسائل التي لا يقال فيها بالرأي، فلها حكم أيش؟ الرفع.

إذن أوضح ابن عباس رضي الله عنه أن الكرسي الذي بين يدي العرش قد وسع السماوات والأرض، وهو موضع القدمين، فإذا كان هذا الكرسي، فما الظن بالعرش؟ ! لهذا جاء في الأثر الآخر أن نسبة السماوات والأرض للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة، فإذا كان هذا الكرسي فما الظن بالعرش؟ ! والله فوق العرش، وأعظم من العرش، بل هو الممسك بالعرش سبحانه وتعالى.

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه، يعني: لا يمكن للعقل أن يتصور قدر حقيقة هذا العرش، نعم، نحن نشبته على ما ورد به النص، لكن كيفية هذا العرش، حقيقة هذا العرش، واقع هذا العرش - الله أعلم - لا يمكن للعقل أن يتصور ذلك، كما أن العقل لا يمكن أن يتصور حقيقة ما في الجنة، وحقيقة ما في النار: ﴿فِيهَا مَا لَا عَيْن رَأَتْ، وَلَا أَذُن سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾ .

وذكر حديث أسد بن موسى: حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها، الشاهد من الحديث إثبات الكرسي، وأيضاً يؤخذ من الحديث هذا: أن الله فوق



.....

المخلوقات، عال على المخلوقات؛ لأنه قال في آخر الحديث: ﴿والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه﴾ الحديث أخرجه: ابن خزيمة، والدارمي في "الرد على الجهمية"، والبيهقي في "الأسماء والصفات"، وغيرهم، وحكم عليه الهيثمي بأن رجاله رجال الصحيح، وأورده الحافظ ابن حجر في "الفتح"، وسكت عنه ، نعم.



الإيمان بالحجب

قال - رحمه الله - ثم قال: باب: الإيمان بالحجب، قال: ومن قول أهل السنة: أن الله بائن من خلقه، يحتجب عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(١) وذكر آثارا في الحجب.

نعم، من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الله محتجب عن الخلق بحجب؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾^(٢) وجاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس، وذكر منها: ﷺ إن الله ﻻ ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، -وفي رواية: النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﷻ.

والمؤلف أورد ذلك للرد على من ها؟ ولهذا قال: فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(٣) يرد على الحلولية؛ الحلولية يزعمون أن الله مختلط مع البشر، تعالى الله عن ذلك، ممتزج بالبشر، ممتزج بالخلق، مختلط مع الخلق، فالمؤلف قال: من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الله ﻻ محتجب.

وقال الدارمي: لا يقدر أحد قدر هذه الحجب، ولهذا لما سئل النبي ﷺ كما في "صحيح مسلم": هل رأيت ربك؟ ماذا قال؟ ﷻ نور أنى أراه ﷻ وفي رواية: ﷻ حال بيني وبينه النور ﷻ الذي هو: الحجاب الذي بين الله وبين

١ - سورة الكهف آية : ٥ .

٢ - سورة الشورى آية : ٥١ .

٣ - سورة الكهف آية : ٥ .



.....
الخلق، وذلك أن الخلق خلقهم الله ﷻ في الدنيا للفناء، خلقهم بأيش؟ ركبهم للفناء، ليس ثمة هناك من سيخلد، ستنهي كل هذه المخلوقات، هذا الكون، ومن على هذا الكون، فهي لا يمكن أن تتحمل الباقي الدائم سبحانه وتعالى، ولهذا لما سأل موسى ربه أن ينظر إليه -لما سمع صوته مباشرة- طمع فيما هو أعلى من ذلك، وهو: الرؤيا.

تأكد أن هذا هو الله. هذا صوت الله ﷻ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾^(١) ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾^(٢) فطمع في رؤية الله ﷻ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي ﴿^(٣) في الدنيا، ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي﴾^(٤) أعطاه دليلاً حسيًا مشاهدًا، هذا الجبل أعظم منك خلقًا، وأصلب منك خلقًا، ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾^(٥) أيش؟ ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾^(٦) صار ترابًا، ما استطاع هذا الجبل بقوته وصلابته أن يصمد لرؤية الله ﷻ مباشرة، فكيف بهذا المخلوق البسيط الضعيف؟ ! فإذا ركبنا الأجسام يوم القيامة للبقاء، ركبنا للخلود، احتملت رؤية الباقي الدائم سبحانه وتعالى، ولهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الله محتجب بهذه الحجب، لا يمكن أن يختلط بالخلق، فهو بائن من الخلق، والخلق منه بائون، نعم.

١ - سورة طه آية : ١٢ .

٢ - سورة طه آية : ١٤ .

٣ - سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٤ - سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٥ - سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٦ - سورة الأعراف آية : ١٤٣ .



الإيمان بالنزول

ثم قال في باب: الإيمان بالنزول، قال: ومن قول أهل السنة: أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً، وذكر حديثاً من طريق مالك، وغيره. إلى أن قال: وأخبرنا وهب، عن ابن وضاح، عن زهير بن عباد، قال: من أدركت من المشايخ: مالك، وسفيان الثوري، وفضيل بن عياض، وعيسى، وابن المبارك، ووكيع، كانوا يقولون: النزول حق. قال ابن وضاح: سألت يوسف بن عدي، عن النزول؟ قال: نعم. أو من به، ولا أحد فيه حداً. وسألت عنه ابن معين؟ فقال: أقر به، ولا أحد فيه حداً.

قال محمد: وهذا الحديث يبين أن الله ﷻ على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضاً بين في كتاب الله، وفيما غير حديث عن رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (٢) أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿٤﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ قُلِّبْنَا وَرَفَعْنَا ۚ وَرَافِعُكَ إِلَيْنَا﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (٦).

١ - سورة السجدة آية : ٥ .

٢ - سورة الملك آية : ١٦-١٧ .

٣ - سورة فاطر آية : ١٠ .

٤ - سورة الأنعام آية : ١٨ .

٥ - سورة آل عمران آية : ٥٥ .

٦ - سورة النساء آية : ١٥٨ .



وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية: ﴿أين الله؟﴾، قالت: في السماء. قال: من أنا؟، قالت: أنت رسول الله. قال: فأعتقها؛ فإنها مؤمنة ﴿٥٢﴾ .

وقال: والأحاديث مثل هذا كثيرة جدا، فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض، لا إله إلا هو العلي العظيم.

نعم، ذكر بعد ذلك باب في النزول، أو في الإيمان بالنزول، والنزول: صفة من الصفات التي ثبتت بما تواتر عن النبي ﷺ في صحيح السنة، فقد روى حديث النزول جمع من الصحابة، ولهذا ألف أهل العلم في هذا الحديث بعض المؤلفات المستقلة، كما صنع الإمام الدارقطني في كتابه "النزول"، وساق في هذا الحديث روايات، حديث النزول الثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وغيره ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، حيث يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟﴾ ﴿٥٣﴾ .

وصفة النزول كسائر الصفات، تثبت لله ﷻ لكن بلا كيف، نعم، النزول من أعلى إلى أسفل، هذا هو النزول المعهود في كلام العرب، والذي جاء القرآن بلغته، وجاءت السنة أيضا بلغته، فنحن نثبت لله ﷻ أنه ينزل كل ليلة، وجاء أيضا في حديث آخر عند البيهقي: ﴿ينزل عشية عرفة﴾ ﴿٥٤﴾ وفي رواية أخرى: "يدنو"، فهذا النزول لائق به سبحانه وتعالى، وقد أنكر ذلك المعطلة، وزعموا أن الذي ينزل أمره، أو ينزل ملك من الملائكة، لكن آخر الحديث كاف في الرد عليهم في هذا التأويل الباطل، وذلك أن الله ﷻ يقول إذا نزل: ﴿من يدعوني فأستجيب له﴾ ﴿٥٥﴾ هل يمكن أن يقول ملك هذا الكلام؟ ! هل يمكن لملك أن يقول: من يستغفرني فأغفر له؟ !

فنحن نثبت أن الله ينزل، لكن نزول يليق بجلاله، لا يلزم منه أن يكون كنزول المخلوق من المخلوق، يعني: المخلوق إذا نزل من شيء إلى شيء صار هذا الشيء الذي نزل منه أعلى منه، لكن نحن نعتقد أن الله هو:

العلي



.....
الأعلى، وإذا نزل لا يكون شيء من مخلوقاته أعلى منه، لأنه نزل ليس كنزول المخلوق، نزل يليق بجلاله سبحانه وتعالى كسائر الصفات، كما أننا ثبت له العلم وليس كعلم المخلوق، وثبت له السمع وليس كسمع المخلوق، ثبت له القدرة والإرادة وليس كقدرة وإرادة المخلوق، كذلك ثبت أنه ينزل كما أخبر عنه أعلم الناس به نبيه ﷺ النبي ﷺ يقول: ﴿يُنْزِلُ رَبُّنَا ﴿٢١﴾﴾ فيأتي هؤلاء يقولون: لا، الله لا ينزل، يعني: كأنهم يريدون على رسول الله ﷺ وهذا واقع حالهم ومقالهم.

بعضهم قال أصلاً: لا أقبل بهذا الحديث، حديث آحاد، وأنا لا أقبل بها في باب العقائد، فهذا رد على رسول الله بقوله، والآخر أوله فرد على رسول الله بحاله، يقول: قال: ومن قول أهل السنة: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، يؤمنون، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً، بمعنى: من غير أن يكيفوه، أي: يبينوا كنه هذا النزول، الله أعلم، يشتون أنه ينزل، ينزل كما جاء النص، وذكر الحديث من طريق مالك، وغيره.

الحديث الذي ذكر إلى أن قال: وأخبرنا وهب، يعني: وهب بن مسرة الأندلسي الحجازي، عن ابن وضاح، عن زهير بن عباد، قال: من أدركت من المشايخ، نعم، لاحظ هؤلاء الأئمة: مالك، الذي هو: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وفضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، عيسى يعني: عيسى بن يونس المتوفى مائة وسبع وثمانين، وابن المبارك: عبد الله، ووكيع، يعني: ابن الجراح، كانوا يقولون أيش؟ النزول حق، بمعنى: أنهم يشتون النزول، يشتونه كما جاء، من غير أن يحدوا فيه حداً، يعني: لا يكيفون، لا يحددون كنه هذا النزول، أو كيفية هذا النزول.

قال ابن وضاح: سألت يوسف بن عدي - يعني: ابن زريق، المتوفى سنة مائتين واثنين وثلاثين - عن النزول؟ قال: نعم، أو من به، ولا أحد فيه حداً، يعني: أقر بالنزول، أثبت النزول، وسألت عنه ابن نعيم؟ فقال: أقر به، ولا أحد فيه حداً، فكل هؤلاء الأئمة وغيرهم أثبتوا حقيقة النزول لله ﷻ.

يقول: قال محمد: وهذا الحديث يبين أن الله ﷻ على عرشه في السماء دون الأرض، يعني: يؤخذ من حديث النزول إثبات صفة النزول، هذا واحد.



.....

ثانيا: إثبات صفة العلو؛ لأن النزول دائما من أعلى إلى أسفل، فكون الله ﷻ ينزل بمعنى: أنه عال على الخلق؛ ولهذا قال: وهذا الحديث يبين أن الله ﷻ على عرشه في السماء دون الأرض، لا كما يقول الحلولية: أن الله معنا في الأرض بذاته.

يقول: وهو أيضا بين في كتاب الله، وفي ما غير حديث عن رسول الله ﷺ ما هو هذا الشيء البين؟ وهو الضمير يعود على ماذا؟ لا العلو، انتهى من الكلام على النزول، الآن انتقل للكلام على صفة العلو، هذه الصفة الثابتة لله ﷻ بالكتاب، والسنة، والإجماع، ودلالة العقل، ودلالة الفطرة، بل في كتاب الله ﷻ - كما قال بعض أصحاب الشافعي -: في القرآن أكثر من ثلاثمائة دليل يدل على إثبات صفة العلو لله.

فشيخ الإسلام نقل عن بعض الأئمة، أنه قال: هناك أكثر من ألف دليل، وابن القيم قال: لو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألوف الأدلة على إثبات صفة العلو، هذه الصفة التي أنكرها أهل التعطيل، أنكرها: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ومن هذا حذوهم، أنكروها، وأولوها، ثابتة: بصريح القرآن، وبصريح السنة، وبصريح العقل، وبصريح الفطرة،

يذكر الآن ابن أبي زمنين بعض الأدلة على إثبات صفة العلو من القرآن.

ذكر من السنة حديث النزول، من القرآن قال: قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (١) هذا الأمر ينزل منه، ويعرج إليه، فالنزول دليل على أنه في العلو، والعروج إليه دليل على أنه في العلو، لاحظ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ﴾ (٢) يدبر من؟ الله، الضمير يعود على الله سبحانه وتعالى، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (٣) أي: إلى الله، وقال تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا

١ - سورة السجدة آية : ٥ .

٢ - سورة السجدة آية : ٥ .

٣ - سورة السجدة آية : ٥ .



هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾ هذه الآية صريحة أن الله في السماء، وتكلمنا على هذا في القسم الأول، ولا بأس أن نعيده باختصار.

قد يقول قائل -وهذا ما أورده المعطلة-: إنكم إن أخذتم بظاهر هذه الآية، أن الله في السماء، بمعنى: أن السماء تحيط به، وبناء عليه فلا يكون الله له العلو المطلق؛ فوَقَّه السماوات، أنت تقول: الله في السماء، بمعنى: في جوف السماء، رد عليهم شيخ الإسلام، قال: هذا قول باطل، ولا يمكن ليتبادر إلى ذهن وعقل إنسان عربي، يعرف ما يقول، ويقول ما يعرف؛ وذلك أن الله ﷻ لما قال: ﴿أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٢﴾ فأنتم بين أحد أمرين: القرآن يفسر بلغة من؟ بلغة الجهم بن صفوان ها، أو بلغة ابن سينا، أو بلغة الرازي، أو بلغة بشر المريسي الأعجمي؟ ! يفسر بما نزل به، نزل بأي لغة؟ باللغة العربية، يقال: ﴿أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٣﴾ أنتم بين أحد الأمرين: إما أن تفسر السماء بأن المقصود بها: العلو، فكل ما علاك يسمى عند العرب: سماء، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿٤﴾ من العلو، وبناء عليه تكون الآية ﴿أَمِنْتُمْ﴾ ﴿٥﴾ ها؟ من في العلو؛ لأننا فسرنا السماء بالعلو، وهذا سائر عند العرب.

فإن قال لنا هذا المعطل: لا، أنا أريد أن تحمل السماء على هذه السماء المبنية المعهودة، قلنا: ويمكن حمل ذلك على هذه السماء المبنية، لكن نأتي إلى في، ف في تأتي في لغة العرب بمعنى: على، فحروف الجر ينوب بعضها عن بعض في المعنى، فيكون معنى الآية: أأمنتم من على السماء، فإن قال لنا: ما دليلكم أن معنى في تأتي بمعنى:

١ - سورة الملك آية : ١٦-١٧.

٢ - سورة الملك آية : ١٦.

٣ - سورة الملك آية : ١٦.

٤ - سورة النور آية : ٤٣.

٥ - سورة الملك آية : ١٦.



.....
 علي؟ قلنا له: قول الله ﷻ ﴿وَلَا صَلَّيْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (١) هل سيصلبهم في جوف جذوع النخل، أو على جذوع النخل؟ على جذوع النخل، وقول الله ﷻ ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) أيش معناه؟ خاطب أي عربي، قل: ما معنى قول الله ﷻ ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣) في جوف الأرض؟ من على الأرض، إذن على أي شكل حملت هذه الآية لا تأتي إلا بمعنى: أن الله عال إلى السماء، ولا يتبادر إلى الذهن هذا المعنى الباطل الذي تبادر إلى ذهن هذا المعطل.

ثم قال: وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٤) ﴿إِلَيْهِ﴾ (٥) لمن؟ إلى الله، صريح، الصعود من أسفل إلى أعلى، ثم قال: وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (٦) الفوقية هنا: فوقية فوقية الذات، وفوقية العلم، وفوقية القهر، وفوقية القدر، جميع أنواع الفوقية نسبتها لله ﷻ في هذه الآية، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (٧) فوقية الذات، العلو المطلق لله، وفوقية القدر، وفوقية القهر، المعطلة فقط قصرها على أيش؟ القدر، والقهر، قالوا: نعم، الله فوق، لكن فوق بمعنى: بقدره، بجهده، قلنا: وبذاته، بالأدلة الصريحة، وما فيه ما يمنع من ذلك، لا عقل، ولا نقل، فلماذا لا نحمل هذه النصوص على ظاهرها؟ وهذا هو اللائق بالله سبحانه وتعالى، أن الله عال على الخلق.

١ - سورة طه آية : ٧١.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٣٧.

٣ - سورة آل عمران آية : ١٣٧.

٤ - سورة فاطر آية : ١٠.

٥ - سورة فاطر آية : ١٠.

٦ - سورة الأنعام آية : ١٨.

٧ - سورة الأنعام آية : ١٨.



ثم قال: وقال تعالى: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ﴾ (١) لمن؟ ﴿إِلَى﴾ (٢) الله ﷻ ما قال رافعك إلى الجنة، أو إلى الملائكة، أو إلى الفردوس، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ (٣) فهذا أيضا صريح في إثبات صفة العلو لله ﷻ وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (٤) ثم قال: وذكر من طريق مالك، قول النبي ﷺ للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: فأعتقها، فإنها مؤمنة ﷻ الحديث ثابت في "صحيح مسلم"، ولهذا شرق به المعطلة.

الحديث صريح، النبي ﷺ يسأل هذه الجارية الأعجمية، أين الله ﷻ؟ مباشرة، في السماء، وهذا دليل على أن كون الله ﷻ في السماء أمر مركوز في مبن؟ في الفطر، في الفطرة، لا يمكن للإنسان أن يتمرد على فطرته، ولهذا وقفوا من هذا الحديث مواقف شتى؛ لأنهم عندهم لا يجوز أن تسأل عن الله أين؛ لأنك لو سألت عن الله أين؟ بأين؟ فقد حددت له مكانا، وهم ليس لله عندهم مكان، فلا يسأل عن الله بأين عندهم !! النبي ﷺ يسأل بأين؟ وهم يقولون: لا يمكن السؤال عن الله بأين!

طيب هذا الحديث منهم من رده، وهذا ديدنهم دائما: رد الحديث، قال: الحديث آحاد، ولا نقبله، منهم من قال: الحديث من المتشابه، والمتشابه يوكل علمه إلى الله، ومنهم من فوضه جملة وتفصيلا، ومنهم من أوله تأويلات باطلة، فقيل: فقال: إن النبي ﷺ سأل هذه الجارية عن مكانة الله، وقدر الله في نفسها، فقالت: في السماء، يعني: مكانته وقدره في السماء، هذا تأويل بعيد، منهم من قال: لا، إن النبي ﷺ سألها أين الله ﷻ؟ يعني: أين يتجه

١ - سورة آل عمران آية : ٥٥.

٢ - سورة آل عمران آية : ٥٥.

٣ - سورة آل عمران آية : ٥٥.

٤ - سورة النساء آية : ١٥٨.



.....
الإنسان إلى الله في دعائه؟ قالت: إلى السماء، إلى غير ذلك من التأويلات البعيدة كل البعد، التي لا دليل عليها: لا من النقل، ولا من العقل، ولا من لغة العرب.

ثم قال: قال: والأحاديث مثل هذه كثيرة جداً، نعم، متواترة، بل ألف العلماء في مسألة العلو مؤلفات مستقلة، ألف الإمام الذهبي كتابه "العلو"، أو ألف ابن قدامة كتابه "العلو"، ألف ابن القيم كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية"، وساقوا في هذه الكتب بعض - وليس كل - الأدلة الدالة على إثبات علو الله ﷻ على خلقه، يقول: فسبحان من علمه بمن في السماء كعلمه بمن في الأرض، بمعنى: أن علم الله ﷻ شامل لكل شيء، لكنه بذاته عال على الخلق، لا إله إلا هو العلي العظيم، ونقف على هذا؛ لأن المؤلف سيدخل في باب الصفات، ونستأنف ذلك - إن شاء الله - غداً، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، قال المصنف - رحمه الله تعالى - وقال قبل ذلك: باب في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه، قال: واعلم بأن أهل العلم بالله، وبما جاءت به أنبيأؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به تعالى عن نفسه علما، والعجز عن ما لم يدع إليه إيماننا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ .

وقد قال الله تعالى - وهو أصدق القائلين - : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ^(٢) وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ^(٣) وقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ ^(٤) وقال: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٥) وقال: ﴿ وَلَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ^(٦) وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ^(٧) وقال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ ^(٨) وقال: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ^(٩) وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾

١ - سورة القصص آية : ٨٨.

٢ - سورة الأنعام آية : ١٩.

٣ - سورة آل عمران آية : ٢٨.

٤ - سورة الحجر آية : ٢٩.

٥ - سورة الطور آية : ٤٨.

٦ - سورة طه آية : ٣٩.

٧ - سورة المائدة آية : ٦٤.

٨ - سورة الزمر آية : ٦٧.

٩ - سورة طه آية : ٤٦.



تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿٢﴾ وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ﴿٣﴾ وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ﴿٤﴾ ومثل ومثل هذا في القرآن كثير.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لا زال المؤلف -رحمه الله- ينقل كلام ابن أبي زمنين -رحمة الله عليه- يقول: وقال قبل ذلك -أي: قبل الأبواب التي ذكرها سابقا -: باب: في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه.

قال: واعلم بأن أهل العلم بالله، وبما جاءت به أنبيائه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تعالى عن نفسه علما، والعجز عن ما لم يدع إليه إيمانا، فقولوه: أهل العلم بالله، وبما جاءت به أنبيائه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به تعالى عن نفسه علما، هذا كما قال الإمام أبو يوسف -رحمه الله-: الجهل بالكلام هو: العلم، والعلم به هو: الجهل، وأراد بالجهل بالعلم، أراد بالجهل بعلم الكلام: الإعراض عن هذا العلم، أو اعتقاد أنه لا ينفع، فالإعراض، والاعتقاد بأنه لا ينفع هو في حد ذاته علم.

ومعلوم أن العلم ينقسم إلى قسمين: شيء معلوم يتعلمه الإنسان، ويقول به، وشيء مجهول يقف الإنسان عنده، ويقول: لا أدري، والله أعلم، إذن الجهل والإعراض عن الشيء الذي لم يخبر الله ﷻ به ككيفية الصفات هذا في حد علمه، أو هذا في حد ذاته: علم، كذلك الدخول في هذه المسائل الشائكة التي شغب بها المتكلمون

١ - سورة النساء آية : ١٦٤ .

٢ - سورة النور آية : ٣٥ .

٣ - سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

٤ - سورة الحديد آية : ٣ .



.....
على الناس، وأحدثوها، وابتدعوها: مسألة الجسم، ومسألة العرض، ومسألة الحيز، ومسألة حلول الحوادث، وهل إثبات هذه الصفة يلزم منها هذا، أو لا يلزم؟ كل هذه مسائل، ومحارات، أعرض عنها السلف -رحمهم الله- لأن هذا هو العلم، إذ لو كان علما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة لأرشد إليه النبي ﷺ ولحرص عليه أصحابه - رضي الله عنهم-.

ثم قال: والعجز عن ما لم يدع إليه إيماننا، نعم، كون الإنسان يقف عند النصوص، ويسلم لها، فهذا دليل على إيمان هذا الشخص، فإذا أخبر الله ﷻ عن نفسه بهذه الصفات، وآمن بها الإنسان، ولم يحاول أن يبحث عن الكيفية، وعن حقيقة، وكنه هذه الصفات، فهذا هو: حقيقة الإيمان، كذلك ما أخبر الله به ﷻ عما يجري في يوم القيامة، لا يأتي ويقول إنسان: هذا لا يمكن عقلا أن يكون، أو هذا يستحيل عقلا أن يحدث، أو هذا لا يمكن للعقل أن يتصوره، بل يؤمن، ويسلم، ويسلم لعجز العقل في هذه المسائل؛ لأن العقل ليس له مطلق العلم، بمعنى: أنه يعلم كل شيء.

العقل عضو كسائر أعضاء ابن آدم، له حد وطاقه، خلقه الله ﷻ ليكون سببا لهداية الشخص، سببا لمعرفة ما هو في حدوده، فإذا استخدمه الإنسان فوق هذا الأمر، وحاول أن يقحمه في أمور لا مجال للعقل فيها، عاد عليه هذا العقل بالضرر والضلال، ثم قال: وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ نعم، وهذه هي القاعدة العامة، والأصل الأصيل في باب الأسماء والصفات، أن الأسماء والصفات أيش؟ توقيفية، ما معنى: توقيفية؟ متوقفة على ورود النص.

وهذا أعظم ما ميز منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، أنهم يدورون مع النص حيث دار، ويقفون مع النص حيث وقف، أثبت الله لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله أنه استوى على العرش، يثبتون، كيفية هذا الاستواء لم يرد في الكتاب، ولا في السنة، فأمسكوا، هل علم الله ﷻ عرب، أو ليس بعرب؟ لم يرد في الكتاب، ولا في السنة إثبات ذلك، ولا نفيه، فتوقفوا، وهذا معنى التوقيف، بمعنى: أن الإنسان يسلم لنصوص الوحيين،



.....
وإذا التزم المؤمن هذا المنهج سلم - بإذن الله - في دينه، سلم في معتقده، ولهذا تميز أهل السنة والجماعة بقلّة الاختلاف والتفرّق.

والسبب في ذلك: أن المصدر الذي يردون عليه واحد، ولهذا منذ زمن الصحابة إلى يومنا هذا، بل - إن شاء الله - إلى قيام الساعة قولهم قولاً واحداً في باب الاعتقاد، لا تجد عندهم اختلاف، لا تجد عندهم تفرّق، نعم، هناك مسائل وقع فيها شيء من الاختلاف، لكن لا يلزم من هذا الاختلاف التبديع، أو التفرّق، مسائل بسيطة، مسائل محدودة، لكنهم في الجملة اتفقوا في مسائل الاعتقاد، بخلاف أهل البدع، أهل البدع لما تعددت مصادرهم اختلفوا، وتفرّقوا في وقت مبكر، فالمعتزلة منذ أن نشأت اختلفت على نفسها، تفرّقوا إلى فرق وأحزاب، كل فرقة تكفر الفرقة الأخرى، كذلك الخوارج، كذلك الرافضة، كذلك المرجئة، كذلك الجهمية، حتى الأشاعرة تفرّقوا فيما بينهم، والسبب؟ أبرز سبب لذلك: أنهم لم يلتزموا مصدراً واحداً، كما هي الحال عند أهل السنة.

ثم انتقل - رحمه الله - وقال: وقد قال الله تعالى - وهو أصدق القائلين -، يريد أن يورد بعض الأمثلة على بعض الصفات التي جاء النص عليها في كتاب الله ﷻ فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (١) هذه الآية دليل على إثبات صفة الوجه لله ﷻ فأهل السنة يشبّهون الله وجهاً حقيقياً، لكن كيفية هذا الوجه؟ الله أعلم، لا يماثل، ولا يشابه وجه المخلوق، وجه يليق بجلاله، وعظمته، وجاء أيضاً إثبات الوجه في السنة في أحاديث متعددة، ثم قال: وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (٢).

أورد المؤلف هذه الآية لأحد احتمالين: إما للاستدلال على أن الله ﷻ يخبر عنه بأنه شيء؛ خلافاً لمذهب الجهمية.

١ - سورة القصص آية : ٨٨.

٢ - سورة الأنعام آية : ١٩.



الجهمية النفاة نفوا أن يكون الله شيئاً، قالوا: لأننا إذا قلنا: إن الله شيء، والمخلوق شيء، شبهنا الخالق بالمخلوق، فربما أنه أورد هذه الآية للرد على هؤلاء، أن الله يخبر عنه بأنه شيء، وهذا ما صرح به الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه، واستدل بهذه الآية، وذكر ذلك أيضاً الأئمة بعده وقبله، وإما أنه أورد هذه الآية للاستدلال على أن الله يسمى، أيش؟ الشهيد، ويوصف بذلك، ومعنى الشهيد: المطلع على كل شيء، الذي لا يغيب عنه شيء، وقد جاء أيضاً في آية أخرى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١).

ثم قال: وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٢) يفهم من إيراد ابن أبي زمنين لهذه الآية أنه يثبت النفس لله ﷻ كصفة من الصفات، وهذا قول طائفة من أهل العلم، وممن ذهب إلى هذا الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، صاحب المذهب -رحمة الله عليه- وكذلك الإمام ابن خزيمة، صاحب الصحيح، وصاحب كتاب "التوحيد"، وممن ذهب أيضاً إلى إثبات النفس كصفة لله ﷻ أبو عبد الله بن الخطيب، من الأئمة المتقدمين، ومن المعظمين عند الصوفية، وكذلك ابن قدامة الموفق، صاحب "المغني".

وذهب بعض العلماء إلى أن النفس الواردة في النصوص المنسوبة لله ﷻ أو المضافة لله ﷻ كما جاء في

هذه الآية: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٣) وكقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (٤)

١ - سورة النساء آية : ٧٩.

٢ - سورة آل عمران آية : ٢٨.

٣ - سورة آل عمران آية : ٢٨.

٤ - سورة المائدة آية : ١١٦.



.....

وقوله سبحانه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ ﴿١﴾ وَقَوْلُهُ جَل وَعَز: ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۚ ﴿٢﴾ وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ﴿ إِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي ۚ ﴾ .

ذهب بعض العلماء إلى أن النفس هنا المقصود والمراد بها: الذات، وهذا ما ذهب إليه الإمام الدارمي، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام -رحمة الله عليه- ثم قال: وقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ۚ ﴿٣﴾ لَعَلَّهُ أورد هذه الآية لإثبات صفة الخلق، التي هي: صفة فعل لله -عز وجل-؛ بأن معنى ﴿ سَوَّيْتُهُ ۚ ﴿٤﴾ بأن معنى قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ۚ ﴿٥﴾ أي: فإذا خلقتَه، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ۚ ﴿٦﴾ الروح هي: الروح المخلوقة المعروفة، ونسبها الله ﷻ لنفسه في هذه الآية تشريفاً وتكريماً لها على سائر الأرواح، كما نسب إلى نفسه، ها؟ ﴿ نَاقَةُ اللَّهِ ۚ ﴿٧﴾ وبيت الله، قال العلماء: إن الله ﷻ إذا نسب لنفسه بعض الأعيان المخلوقة فالمقصود بذلك، أيش؟

١ - سورة الأنعام آية : ٥٤.

٢ - سورة طه آية : ٤١.

٣ - سورة الحجر آية : ٢٩.

٤ - سورة الحجر آية : ٢٩.

٥ - سورة الحجر آية : ٢٩.

٦ - سورة الحجر آية : ٢٩.

٧ - سورة الأعراف آية : ٧٣.



التشريف، والتكريم، والتميز، فقولهُ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (١) نسب الروح له سبحانه وتعالى تشريفا لهذه الروح، وإلا فهي من سائر الأرواح التي خلقها الله ﷻ وقد استدل في هذه الآية من قال: إن الروح قديمة، وهذا قول فاسد شرعا وعقلا، ولهذا رد عليه الإمام ابن القيم ردا وافيا في كتابه "الروح"، وهذا هو مذهب النصارى، النصارى يقولون: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (٢) أي: من روح الله ﷻ الذي هو جزء من الإله حل في عيسى، ثم قال: وقال: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾ (٣) هذه الآية تدل على إثبات الرؤية والعين لله ﷻ وعقيدة أهل السنة والجماعة: أن لله عينين، العين جاءت في القرآن مفردة ومجموعة، ففي هذه الآية ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾ (٤) جاءت بصيغة الجمع، وفي الآية التي تليها ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٥) جاءت بصيغة المفرد، لكن جاء في صحيح السنة أن النبي ﷺ قال في المسيح الدجال في وصفه: ﴿ إِنَّهُ أَعُورٌ، وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعُورَ ﴾ فهذا دليل صريح على أن لله عينين.

ثم قال: وقال: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۚ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٦) هذا فيه دليل على إثبات صفة اليدين لله ﷻ وجاء التصريح أيضا في آية أخرى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ

١ - سورة الحجر آية : ٢٩.

٢ - سورة الحجر آية : ٢٩.

٣ - سورة الطور آية : ٤٨.

٤ - سورة الطور آية : ٤٨.

٥ - سورة طه آية : ٣٩.

٦ - سورة المائدة آية : ٦٤.



تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ^ط ﴿١﴾ هذا لا يقبل التأويل الذي سلكه أهل التعطيل، فالآية صريحة في إثبات اليدين الحقيقيتين لله ﷻ .

ثم قال: وقال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ (٢) لعل المؤلف استدل بهذه الآية إما على إثبات صفة القبض لله، فالله ﷻ هو: القابض، الباسط، وهي: صفة فعلية، ولهذا جاء في الآية الأخرى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ ﴾ (٣) وجاء في الحديث الذي في الصحيحين: ﴿ " يقبض الله الأرض يوم القيامة " ﴾ (٤) وإما أنه أورد الآية لإثبات اليد لله ﷻ أو اليدين لله - عز وجل-؛ لأن هذه الآية جاءت مفسرة في السنة، فسرّها النبي ﷺ أن هذا يكون يوم القيامة عندما يقبض الله السماوات بيمينه، ويقبض الأرض باليد الأخرى، وبهذه، ويقول: ﴿ " أنا الله " ﴾ (٥) أو يكون المؤلف أورد الآية للاستدلال بهاتين، أو على هاتين الصفتين.

ثم قال: وقال تعالى: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٦) هذه الآية تضمنت إثبات ثلاث أنواع من الصفات، الصفة الأولى: المعية، والمعية - كما قلنا بالأمس - إنها تنقسم إلى قسمين، من أي أنواع المعية هذه الآية؟ الخاصة، التي هي معية: النصر، والتأييد، وأيضا تضمنت الآية إثبات صفة السمع، وأيضا الرؤية لله ﷻ وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (٧) إثبات صفة الكلام لله ﷻ بهذا رد على الجهمية والمعتزلة الذين يمحون عن الله صفة الكلام، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٨) استدل بهذه الآية على

١ - سورة ص آية : ٧٥.

٢ - سورة الزمر آية : ٦٧.

٣ - سورة البقرة آية : ٢٤٥.

٤ - سورة طه آية : ٤٦.

٥ - سورة النساء آية : ١٦٤.

٦ - سورة النور آية : ٣٥.



.....

أن من أسماء الله ﷻ النور، وأنه موصوف سبحانه بالنور، ولهذا ثبت في الصحيحين أن من دعاء النبي ﷺ ﴿ هـ ﴾ " أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات " ﴿ ط ﴾ ثم قال: وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(١) إثبات صفة الحياة، والقيومية لله ﷻ إضافة لإثبات اسمي: الحي، القيوم، وكذا ختمت فقال تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ ﴾ ^(٢) إثبات صفة: الأولية لله، والآخرة، والظاهر، والباطن، ومثل هذا في القرآن كثير، بمعنى: أن ما أورده المؤلف فقط للتمثيل، لا للحصر، نعم.

١ - سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٢ - سورة الحديد آية : ٣.



إثبات الصفات بلا تكييف ولا تحديد ولا تشبيه

وقال - رحمه الله -: فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، كما أخبر عن نفسه، وله وجه، ونفس، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع، ويرى، ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية، ولا شيء بعده، الظاهر العالي فوق كل شيء، والباطن بطن علمه بخلقه، فقال: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢١ ﴾ ^(١) حي قيوم، ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۝٢٢ ﴾ ^(٢).

قلنا: هذه الأسطر تقرير للنصوص التي سبق أن أوردتها، نعم.

ذكر أحاديث الصفات، ثم قال: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه ﷺ وليس في شيء منها: تحديد، ولا تشبيه، ولا تقدير، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٢٢ ﴾ ^(٣) لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رآته القلوب في حقائق الإيمان، وكلام الأئمة.

يقول: هذه النصوص تضمنت إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه بها نبيه ﷺ وليس في شيء من هذه النصوص تحديد، أي: تكييف، أو تشبيه، تشبيه لله ﷻ بخلقه، ولا تقدير، بمعنى: تحديد كنه هذه الصفة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٢٢ ﴾ ^(٤) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

١ - سورة البقرة آية : ٢٩.

٢ - سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٣ - سورة الشورى آية : ١١.

٤ - سورة الشورى آية : ١١.



.....
في مثل هذه الصفات؛ أنهم يشبتون على وفق ما جاء به النص.. من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه. على حد قول الله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) لم تره العيون فتحدده كيف هو؟ بمعنى: أن الله ﷻ لم تره العيون في الدنيا فتعرف كيفية هذه الصفات.

ولعلنا ذكرنا في العام السابق -إن كنتم تذكرون- أن كيفية الصفة، أو كيفية الشيء، يدرك عقلا بأحد طرق ثلاثة:

إما برؤية هذا الشيء. يعني: كيف تعرف كيفية -مثلا- هذا الكأس عقلا؟ إما أن تراه، أو ترى شبيهه ومثيله إذا لم يتيسر رؤيته، ترى شيء فيقال لك: إن الكأس الذي تسمع عنه هو شبيه ومثيل لهذا الشيء. ففي هذه الحالة يمكن للعقل أن يتصور كيفية هذا الكأس ولا ما يمكن؟ يمكن.

الطريق الثالث: الخبر الصادق. أن يأتي صادق فيخبرك -تحديدا- بكيفية هذا الكأس.

إذا لم تتأت هذه الطرق الثلاثة.. لا يمكن معرفة كيفية هذا الشيء.

فالمؤلف يقول: هذه الصفات.. لا يمكن لمخلوق أن يدرك كيفيتها، لماذا؟ لأن العيون لم ترى الله ﷻ والله لم يخبر عن كيفية صفاته، وليس له مثيل ولا شبيه. إذن.. فلا يمكن عقلا ولا شرعا إدراك كيفية هذه الصفات.

ثم قال: ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان. هذا ما يسمى بالرؤية الإيمانية، والرؤية القلبية. وقد ذكر شيخ الإسلام أنها -أحيانا- الرؤية القلبية أشد من الرؤية البصرية. وتتأتى هذه الرؤية القلبية.. إذا قوي إيمان الشخص؛ ولهذا.. كل ما ازداد الإنسان علما بأسماء الله وصفاته كلما ازداد إيمانا، وهذا مما حرم منه هؤلاء المعطلة، هؤلاء المعطلة لن يوفقوا إلى هذا الطريق الذي هو من أعظم الطرق للإيمان بالله ﷻ ولخشيتيه؛ لأن الإنسان كلما ازداد بالله معرفة كلما ازداد خشية له سبحانه؛ ولهذا يروى أن عروة بن الزبير خطب من ابن عمر



— رضي الله عنهما - ابنته وهو يطوف، فقال: أتكلمني في ابنتي، أو في أمر من أمور الدنيا، ونحن نتراء الله؟! ما معنا نتراء الله؟

هذه هي الرؤية القلبية، الحقائق التي تقوم بالقلب، فيزداد الإنسان علما ومعرفة بالله - عز وجل -؛ ولهذا قال النبي ﷺ في حديث الإيمان الطويل، أو في حديث جبريل الطويل، ماذا قال عن الإحسان: ﴿أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ - أَيْش؟ - كَأَنَّكَ تَرَاهُ﴾ ؛ ولهذا أعظم الناس خشية لله ﷻ وتقى لله ﷻ من؟ الأنبياء، لماذا؟ لأنهم أعلم الناس بالله؛ ولهذا النبي ﷺ لما قال نفر الثلاثة الذين جاءوا إلى بيته، وسئلوا عائشة عن عبادته - كما في صحيح البخاري -، الحديث طويل، فلما قام خطيبا في الناس لأن هؤلاء الثلاثة قالوا: هذا رسول الله، أو ذاك رسول الله، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقام النبي ﷺ خطيبا في الناس، وقال: ﴿أما والله إني لأعلمكم بالله، وأخشاكم لله، وأتقاكم لله﴾ هذا العلم يولد الخشية، يولد التقى، يولد الإيمان. نعم



مذهب السلف في الصفات

كلام الخطابي في الصفات

إثبات الصفات وإجراؤها على ظواهرها

قال - رحمه الله -:

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشرة، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم، مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في "الغنية عن الكلام وأهله"، قال:

فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف؛ وإنما القصد في السلوك: الطريقة المستقيمة بين الأمرين، دين الله تعالى بين الغالي فيه، والمقصر عنه.

نعم. يقول: وكلام الأئمة في هذا الباب -أي- باب الأسماء والصفات، وباب ما يجب لله وَعَلَيْكُمْ ما يجوز عليه، وما يمتنع، أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشرة، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم -يعني- ليس هذا مجال ذكر كلام هؤلاء الأئمة، وذكر كلام من نقل مذهبهم؛ لأن الكتاب عبارة عن أيش؟ فتوى، والفتوى - دائما - تقوم على الاختصار؛ ولهذا - رحمه الله - أورد شيئا من كلام هؤلاء الأئمة في كتبه المطولة الأخرى، كمثلاً: "نقض التأسيس"، "درء تعارض العقل والنقل"، أطال النفس، وأورد عشرات النقول عن هؤلاء الأئمة، وعن نقل كلامهم.



ومع ذلك يقول: لا يمكن حصرهم، ومن رجع لبعض المطولات التي اعتنت بنقل كلام السلف في هذا الباب؛ وقف على كثرة هذه الآثار، كمثلاً: "السنة" للإمام اللالكائي، قد ساق مئات الآثار في أبواب الاعتقاد، كذلك "الإبانة الكبرى" للإمام ابن بطة -رحمه الله-، وهو أوسع من "السنة" للالكائي، وكتاب "السنة" للخلال، وكتاب "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد؛ وإن كان أقل منهما.

ثم قال: مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي، ابن محمد المتوفى سنة ثلاثمائة وثمان وثمانون، صاحب "غريب الحديث"، و"معالم السنن" الذي شرح فيه سنن أبي داود، وكذلك له شرح على صحيح البخاري. الخطابي -رحمه الله- في الجملة أثبت كثير من الصفات؛ لكنه أول بعض الصفات، ومن رجع لكتابه "شرح صحيح البخاري" لاحظ هذه التأويلات، كتأويل -مثلاً- صفة الضحك، وصفة النزول، وصفة الفرح، ونحو ذلك.

يقول في رسالته المشهورة في "الغنية عن الكلام وأهلها". هذه الرسالة لا زالت مفقودة.

يقول: فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة؛ فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها. بمعنى: إثبات هذه الصفات وإجراؤها على ظواهرها من غير تعرض أيش؟ لتحريفها، أو تأويلها، أو صرفها عن هذا المعنى الظاهر.

فإذا قرؤوا قول الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ^(١) أجروا هذه الآية على ظواهرها، استوى: علا، ارتفع، صعد. أجروا الآية على ظواهرها.

كذلك قول الله ﷻ ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي﴾ ^(٢) أجروا هذا النص على ظاهره، فإن مذهب السلف: إثباتها

وإجراؤها على ظواهرها. يشبتون الاستواء، يشبتون اليدين، يشبتون الغضب، يشبتون الرحمة. نعم. ونفي الكيفية

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.



.....
والتشبيه عنه. وهذا يدل -هذه العبارة: ونفي الكيفية والتشبيه عنه- هذا يدل على أن مذهب السلف ليس هو التفويض كما ظنه بعض الناس، زعموا أن مذهب السلف هو التفويض، قالوا:

قولهم: إجراء النص على ظاهره، هذا يدل على أنهم يفوضون معنى النص؛ لكن لو كان هذا الكلام صحيحا لما قالوا، أو قيدوا ذلك ما نفي التكيف والتشبيه؛ لأن الذي يفوض النص لا يحتاج إلى أنه يقيد: مع نفي التكيف والتشبيه، خلاص أنت لا تفهم من النص شيء، كيف تقول: من غير تكيف ولا تشبيه؟

التفويض معناه: أن يقول: نفوض هذا النص، نترك هذا النص لله، لا نعلم منه شيء، لا ندري ما الله أراد بهذا النص، الله ﷻ يقول: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) ما ندري معنى الاستواء، طيب من كان يذهب إلى هذا القول، هل يقول: مع نفي الكيفية والتشبيه؟ لا؛ ولهذا أخطأ من زعم أن مذهب السلف هو التفويض؛ بل إن التفويض -ذكره بعض العلماء- شر من التأويل، سماه شيخ الإسلام: مذهب أهل التجهيل.

فقول المؤلف: والنفي الكيفية والتشبيه: هذا يدل على أن السلف لم يفوضوا هذه النصوص.

ثم قال: وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله. نفاها قوم -أي- نفوا هذه الصفات، نفوا دلالة هذه الصفات، فأبطلوا ما أثبتته الله ﷻ يقول: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢) هم يقولون: لم يستوي الله -عز وجل-؛ بل استولى على العرش.

فحقيقة هؤلاء، أو حقيقة قول هؤلاء أنهم أبطلوا ما أثبتته الله، الله ﷻ أثبت لنفسه يدين، وهؤلاء نفوا اليدين عن الله ﷻ قالو: المقصود باليد هنا: القدرة.

وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله. وهؤلاء المعطلة. وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكيف. وحققها، بمعنى: غلا في إثباتها. وهؤلاء هم المشبهة.

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة الأعراف آية : ٥٤.



لاحظ.. أهل التعطيل، وأهل التشبيه على طرفي نقيض.

هؤلاء نفوها؛ حتى أفضى بهم هذا الأمر إلى إبطال ما أثبتته الله، هم -لا شك- لا يصرحون بالنفي؛ وإنما يلبثون هذا النفي باسم آخر؛ وهو التأويل، أو التنزيه؛ لكن حقيقة الأمر.. هو إبطال دلالة هذا النص، صرف لهذا النص عن معناه الذي أراد الله وأراد رسوله إلى معنى آخر.

الطرف الآخر غلا في الإثبات، حققها، قال: لا. أنا أثبت لله الوجه، أثبت لله اليدين، أثبت لله القدم، أثبت لله الغضب؛ لكني لا أفهم وجهها، ولا يدين، ولا غضب؛ إلا من جنس غضب المخلوق، ووجه المخلوق، ويد المخلوق. إذن.. فيد الله كيد المخلوق -تعالى الله عن ذلك علو كبيرا-، وهذا مذهب من؟ المشبهة، ويكثر مذهب التشبيه عند الرافضة.

ومن أوائل من قال بمذهب التشبيه: هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي، وداود الجواربي.

وممن -أيضا- يكثر عندهم مذهب التشبيه: غلاة الصوفية؛ ولهذا يزعمون أنهم يصافحون الله، ويعانقونه، ويسامرونه، ويجالسونه -تعالى الله عن ذلك علو كبيرا-.

إذا.. مذهب التشبيه يكثر عند هاتين الطائفتين.

ثم قال: وإنما القصد.. العدل في السلوك، في سلوك الطريقة السليمة بين الأمرين. بمعنى: العدل. أن يتوسط الإنسان بين التشبيه، وبين التعطيل. يثبت، وينزه.

ينزه؛ لكن لا يغلو في التنزيه، فيفضي به هذا التنزيه إلى الخروج لمذهب المعطلة، فينفي ما أثبتته الله.

ويثبت؛ لكن لا يغلو في الإثبات، فيفضي به هذا الأمر إلى تشبيه الخالق بالمخلوق، كما هي الحال عند المشبه.



.....
فيجمع بين الإثبات، والتنزيه. يقول: أثبت لله وجهها، وأثبت لله يدين، وأثبت لله مجيء، وأثبت لله نزولا؛ لكن على الوجه اللائق به - سبحانه وتعالى -، لا كما ينزل المخلوق، وليس كوجه المخلوق، وليس كيدي المخلوق، كما جمع الله بينهما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ^(١) إثبات، وتنزيه.

ودين الله تعالى بين الغالي فيه، والمقصر عنه. نعم. في جانب العبادة، في جانب الاعتقاد، في جانب السلوك تجد أن الهدي النبوي، والمنهج الذي عليه أصحاب النبي ﷺ دائم وسط بين غالي وبين مقصر، كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم، وسط بين الملل الأخرى بين اليهودية والنصرانية فكذلك أهل السنة والجماعة، وهذا هو دين الله ﷻ دائما. نعم.



الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات

قال - رحمه الله -:

والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. ^{يُحْتَذَى} في ذلك حذوه وأمثاله.

فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري - سبحانه - إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها؛ فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد: القوة، أو النعمة. ولا معنى السمع، والبصر: العلم. ولا نقول: إنها جوارح. ولا نشبهها بالأيدي، والأسماع، والأبصار التي هي جوارح، وأدوات للفعل. ونقول: إنما وجب إثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنه؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ^ط (١) وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات. هذا كله كلام الخطابي.

نعم. ثم ذكر - رحمه الله - قاعدة من أقوى القواعد في الرد على المعطلة؛ ولهذا ذكرها - أيضاً - الخطيب البغدادي - كما سيأتي -، وذكرها شيخ الإسلام - هذه القاعدة - في "التدمرية"، جعلها قاعدة مستقلة، وهذه القاعدة ما هي؟

قالوا: والأصل في هذا.. أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. القاعدة عندنا: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. هذه القاعدة يمكن أن ترد بها على كل معطل؛ أي كان تعطيله، ابدء



.....
بالجهمي، المعتزلي، الأشعري، أكثر أو أقل من هؤلاء، فكل من عطل صفة لله ﷻ يمكن أن يرد عليه بهذه القاعدة.

قاعدة عقلية: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. ما معنى هذا الكلام؟ أنه يقال لهذا المعطل؛ الذي -مثلا- نفترض أن هذا المعطل الذي أمامنا أشعري، ينفي أن يتصف الله -سبحانه وتعالى- بالغضب، فيقول: أنا لا أثبت لله صفة الغضب. طيب، نقول له: هل تثبت لله ذات؟ فلا بد أن يقول: ها. نعم؛ لأنه إذا نفى الذات عن الله ﷻ نفى وجود الله ﷻ قال: إن الله عدم. طيب، هل ذات الله ﷻ مثل ذات المخلوق؟ المخلوق له ذات، سيقول: لا. فنقول: لا، كذلك صفة هذه الذات، هذه الذات تغضب، فإذا كان ذات الرب لا تماثل ذات المخلوق؛ فكذلك غضب الرب لا يماثل غضب المخلوق. الصفة التي تتصف بها هذه الذات لا تماثل الصفة التي لذات المخلوق.

هي قاعدة مختصرة؛ لكنها من القوة بمكان؛ ولهذا نرد بها على أكبر معطل، أكبر معطل: الجهمي الذي ينفي عن الله كل الأسماء والصفات، نقول له: تثبت لله وجود، ولا ما تثبت لله وجود؟ فلا بد أن يقول: نعم. أثبت لله وجود؛ لأنه إذا قال: الله ﷻ لا وجود له. في معنى: أنه عدم، عند ذلك انتكص من الإسلام إلى الكفر، من الإيمان إلى الإلحاد، فإذا أثبت لله وجود، نقول: كذلك المخلوق موجود ولا ما موجود؟ قطعاً المخلوق موجود. هل وجود المخلوق مثل وجود الخالق؟ سيقول: لا. وجود الخالق وجود يليق به -سبحانه-، هو واجب الوجود، أزلي، دائم. نقول: كذلك بقية الصفات. خذ أي صفة تعطلها وطبق عليها نفس القاعدة، إذا كان وجود الخالق ليس كوجود المخلوق فكذلك صفة الخالق ليست كصفة المخلوق.

يقول: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. يحتذى في ذلك الحذو وأمثاله.



.....

فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري - سبحانه - إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية: نحن نثبت هذه الصفة لله ﷻ ونثبت وجوده من غير أيش؟ تكييف، كيفية وجود الله - عز وجل -؟ الله أعلم. كيفية هذه الصفة؟ الله أعلم.

يقول: فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحريف وتكييف. نعم. لو كنا نثبت هذه الصفة على وفق المعنى الثابت للمخلوق يلزمنا المحذور الذي يذهب إليه المعطلة؛ لكن نحن نقول: نثبت لله هذه الصفة؛ لكن على وجه يليق به - سبحانه وتعالى - لا نكيف، لا نحدد.

ثم ضرب أمثلة على ما سبق تقريره، فقال: فإذا قلنا: يد، وسمع، وبصر، وما أشبهها؛ فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولنا نقول: إن معنى اليد: القوة أو النعمة: وهذا تأويل المعطلة على وجه العموم، أنهم يؤولون اليد التي جاء ذكرها في النصوص المنسوبة لله ﷻ المتصف بها، يأولونها بالقوة، أو النعمة، أو القدرة. ولا معنى السمع والبصر: العلم كما أول ذلك المعتزلة، أولوا السمع والبصر المنسوب لله ﷻ الموصوف به، أولوه بالعلم. ولا نقول: إنها جوارح كما يقول ذلك من؟ المشبهة، يزعمون أن اليد الثابتة لله ﷻ كاليد الثابتة للمخلوق.

ولا نشبهها بالأيدي، والأسماع، والأبصار التي هي الجوارح، وأدوات الفعل، ونقول: إنما وجب إثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها؛ لأن النص ورد بها، ونحن متعبدون بما ورد به النص، جاءت النصوص بإثبات هذه الصفات، فنحن نثبتها، وننفي عن الله التشبيه، لماذا؟ لأن الله نفى عن نفسه التشبيه؛ ولهذا قال: ووجب نفى التشبيه عنه؛ لأن الله ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ^(١) وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات، بمعنى: في كل أحاديث الصفات. نعم.



كلام الخطيب البغدادي في إثبات الصفات تماثل كلام الخطيب البغدادي مع كلام الخطابي

قال - رحمه الله -:

وهكذا قال أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له، أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك.

—

نعم. الخطيب: اللي هو أحمد بن علي البغدادي، المتوفى سنة أربعمئة وثلاثة وستين، صاحب "التاريخ"، و"الفقيه والمتفقه"، و"الرحلة في طلب الحديث"، وله مؤلفات كثيرة، وهو على مذهب السلف - رحمه الله - في إثبات الصفات. وله كلام قريب جدا مما ذكره المؤلف عن الخطابي؛ بل إنه شبه تماثل، أورد هذا الكلام عنه الإمام الذهبي في كتابه "العلو للعلي الغفار". نعم. والكلام متماثل تماما مثل كلام الخطابي، يعني: لولا التماثل لأوردته؛ لكن اختصارا للوقت نكتفي بالإشارة إليه. نعم.



موافقة كلام كثير من العلماء لما ذكره الخطابي

قال - رحمه الله -:

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوه من العلماء ما لا يحصى، مثل: أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيى بن عمار السجزي، شيخ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي، ومثل: أبي عثمان الصابوني شيخ الإسلام، وأبي عمر بن عبد البر النمري إمام المغرب، وغيرهم.

نعم. هذا الكلام الذي ساقه المؤلف وأورده عن الإمام الخطابي، ذكر عن غيره، أو مضمونه ذكر عن غيره من الأئمة المتقدمين.

ومثل لذلك الشيخ: بأبي بكر الإسماعيلي الذي هو أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، المتوفى سنة ثلاثمائة وإحدى وسبعين.

وكذلك الإمام يحيى بن عمار السجزي، المتوفى سنة أربعمائة واثنين وعشرين، شيخ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري عبد الله بن محمد، صاحب كتاب "منازل السائلين" الذي شرحه ابن القيم في أيش؟ في "مدارج السالكين"، وصاحب كتاب "ذم الكلام".

ومثل: أبي عثمان الصابوني شيخ الإسلام المعروف إسماعيل بن عبد الرحمن، المتوفى سنة أربعمائة وتسع وأربعين، صاحب الرسالة التي هي صغيرة الحجم؛ لكن كبيرة القدر: "عقيدة السلف أصحاب الحديث".

يقول: وأبي عمر بن عبد البر النمري الذي هو يوسف بن عبد الله صاحب "التمهيد في شرح الموطأ"، المتوفى سنة أربعمائة وثلاثة وستين، وغيرهم. نعم.



كلام أبي نعيم الأصبهاني في الصفات

إثبات الصفات بلا تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه

وقال أبو نعيم الأصبهاني -صاحب "الحلية"- في عقيدة له، في أولها: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال: فمما اعتقدوه: أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها، ويشتبونها من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه.

نعم. هذا الكلام أبو نعيم أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة أربعمائة وثلاثين، صاحب الكتاب "الحلية" المشهور؛ ولعل المؤلف أورد الكلام عنه -هنا-؛ للرد على الصوفية؛ وذلك أن أبا نعيم ممن يعظمه أهل التصوف، فأراد أن يرد عليهم بقوله في مسألة العلو؛ وذلك أن الصوفية ينفون عن الله العلو، ويقولون بالحلول، وأن الله مختلط، حال، ممتزج بالخلق -تعالى الله عن ذلك علو كبيرا-.

يقول: في عقيدة له، في أولها: نقل ابن كثير عن ابن الجوزي أن أبا نعيم كان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد، وذكر ابن عساكر أنه من أصحاب أبي الحسن الأشعري؛ لكن إذا نظرنا إلى عقيدته التي نقلها شيخ الإسلام وأوردها في مواضع متعددة ونقلها -أيضا- ابن القيم؛ نلاحظ أنه على عقيدة أهل السنة في الجملة. فربما أنه كان يميل إلى تأويل بعض الصفات، ويوافق الأشاعرة؛ ولهذا صنفه هؤلاء ضمن الأشاعرة، وربما أنه كان يقول بهذا القول في أول حياته ثم رجع عن ذلك. الشاهد: أن هذا القول المنقول إلينا الذي بين أيدينا هو على مذهب أهل السنة والجماعة.



يقول: في عقيدة له، في أولها: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة. وهذا هو منهج السلف الصالح. أنهم يلتزمون الكتاب والسنة على وفق مفهوم سلف الأمة.

قال: فمما اعتقدوه: أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها، ويشتونها من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه. بمعنى: يشتون الاستواء لله ﷻ من غير تشبيه ولا تكيف كما يشتها جمهور أهل السنة.

وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائون منه. بمعنى: ليس بحال، ولا ممتزج بالخلق؛ ولهذا قال: لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه. هذا تصريح من أبي نعيم -رحمه الله- في إثبات صفة الاستواء، وفي إثبات صفة العلو؛ خلافا لما يذهب إليه كثير من مدعي التصوف. نعم.



إثبات صفة الاستواء والعلو لله ﷻ

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه "محجة الواثقين ومدرجة الوامقين" - تأليفه -: وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عالٍ على عرشه، مستو عليه، لا مستول عليه كما تقول الجهمية، أنه بكل مكان خلافا لما نزل في كتابه: ﴿ ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن تَخَنَسَ بِكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ ﴾ ^(١) ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ ﴾ ^(٢)، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝١٧ ﴾ ^(٣) له العرش المستوي عليه، والكرسي الذي وسع السموات والأرض، وهو قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَهُوَ يُبْصِرُ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝١٨ ﴾ ^(٤) وكرسيه جسم، والسموات السبع والأراضون السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية؛ بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبي ﷺ وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفا صفا، كما قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝١٩ ﴾ ^(٥) وأنه - تعالى وتقدس - يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبين الموحيين، ويعذب من يشاء، كما قال تعالى: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ ﴾ ^(٦).

١ - سورة الملك آية : ١٦.

٢ - سورة فاطر آية : ١٠.

٣ - سورة طه آية : ٥.

٤ - سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٥ - سورة الفجر آية : ٢٢.

٦ - سورة آل عمران آية : ١٢٩.



نعم. ثم انتقل أيضا -رحمه الله- ليورد نقل آخر عن أبي نعيم في كتابه "محجة الواثقين ومدرجة الوامقين" - أي- المحبين، وهذا الكتاب وهذه الرسالة لا تزال مفقودة.

يقول: وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عال على عرشه، مستو عليه. وهذا -أيضا- تصريح منه في إثبات صفة الاستواء والعلو لله ﷻ لا مستول عليه كما تقول الجهمية، الجهمية يؤولون الاستواء: بالاستيلاء؛ ولهذا تبعهم على هذا كثير من الأشاعرة، وأنكر بعض الأشاعرة هذا التأويل، فالبغدادي في "أصول الدين" قال: وتأول بعض أصحابنا الاستواء: بالاستيلاء؛ موافقة للمعتزلة. ولهذا خالفه -رحمه الله- هذا التأويل، وأول بتأويل آخر.

يقول: كما تقول الجهمية: إنه بكل مكان. ذكر شيخ الإسلام أن الجهمية ينقسمون إلى قسمين:

قسم يرون أنه بكل مكان. وهذا يغلب على الصوفية والعباد منهم.

وقسم يذهب إلى النفي المطلق، فينفون عن الله ﷻ الوصفين المتقابلين، فيقولون: لا هو فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا داخل العالم ولا خارجه. وهذا فيه رفع للنقيضين.

يقول: خلافا لما نزل في كتابه. بمعنى: أن الجهمية زعمت أن الله في كل مكان، خلاف ما ورد في

النصوص.

ثم أورد الأدلة: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾^(١) وسبق الكلام عليها

بالأمس، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢) هذا في التصريح أن الله في العلو، ﴿

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣) له العرش المستوي عليه، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض،

١ - سورة الملك آية : ١٦ .

٢ - سورة فاطر آية : ١٠ .

٣ - سورة طه آية : ٥ .



وسع السماوات والأرض، وهو قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ ﴾ ^(١) وكرسیه: جسم. وسبق -

أيضا- الكلام عليه، أنه جسم، وأنه بين يدي العرش كالمراقبة كما ذكر ابن عباس.

والسماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي كحلقة في فلاة. وهذا جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي، فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده.. ما السماوات والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ﻋﻨﻪ وجاء موقوفا، وهو أصح عن ابن عباس وأبي موسى - كما ذكرنا بالأمس-.

وليس كرسيه وعلمه كما قالت الجهمية، الجهمية يؤولون الكرسي: بالعلم؛ بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كما قاله النبي ﷺ وهذا جاء في حديث، بمجموع طرقه صالح -إن شاء الله- كما ذكر الذهبي، وكما ذكره من المعاصرين الشيخ ناصر -رحمه الله-، والحديث جاء عن جابر رضي الله عنه قال: ﻋﻨﻪ لما رجعت مهاجرة الحبشة سألهم النبي ﷺ أخبروني عن أعجب ما رأيتم؟ فقالوا: بلى. أو قال: فتية منهم؟ بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس.. مرت بنا عجوز من عجائز رهايينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل.

قال: يقول رسول الله: أقرها على هذا الكلام، ثم قال: صدقت.. صدقت.. كيف يقدر الله أمة لا يأخذ لضعيفهم من شديدهم؟! ﻋﻨﻪ فالشاهد من الحديث: إثبات أن الكرسي يوضع يوم القيامة لمجيء الله ﻋﻨﻪ لفصل القضاء بين الخلق.



ثم قال: وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، والملائكة صفا صفا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ^(١) فمن عقيدة أهل السنة: إثبات مجيء الرب - سبحانه وتعالى -؛ لكن على الوجه اللائق به - سبحانه وتعالى -، وأنه - تعالى وتقدس - يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنب الموحدين، ويعذب من يشاء، كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ ^(٢) وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

١ - سورة الفجر آية : ٢٢.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٢٩.



كلام العارف الأصبهاني في أسماء الله وصفاته

بسم الله الرحمن الرحيم.

قال المصنف - رحمه الله تعالى -:

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني - شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده - قال: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين. قال فيها: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل. والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول.

وأنه **وَعَلَّكَ** بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول ولا مازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه المنفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق. وأن الله **وَعَلَّكَ** سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، فيقول: هل من داعٍ فاستجب له؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر. ونزول الرب إلى السماء بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال. وسائر الصفوة من العارفين على هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ينقل المؤلف - رحمه الله - هنا عن وصفه: الإمام العارف معمر بن أحمد الأصفهاني، المتوفى سنة أربعمائة

وثمانية عشر.



يقول الشيخ: يصف معمر بأنه: شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده، وكما أسلفت الشيخ حرص أن ينقل عن أئمة متعددين، فهنا ينقل -وما سيأتي من النقول- عن بعض الأئمة المعظمين عند طائفة أهل التصوف؛ وذلك كي يرد على هذه الطائفة التي تعتقد أن الله في كل مكان، فيقول الإمام معمر: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين.

قال فيها: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل. والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول. هذا هو مذهب أهل السنة في هذه الصفة؛ على حد قول الإمام مالك -الذي سبق ذكره مرارا-: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فهذا تصريح من هذا الإمام بإثبات صفة الاستواء، وأن الله عال على العرش.

ثم قال: وأنه ﷻ بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ خلافا لمذهب الحلولية، وهذا المذهب ينتشر كثيرا عند أهل التصوف.

معنى بائنون بمعنى: منفصل. البينونة: هي الانفصال، بان الشيء من الشيء: انفصل عنه. فالله ﷻ بائن: منفصل عن الخلق، غير ممتزج، غير حال في الخلق، والخلق -أيضا- منفصلون عنه -سبحانه وتعالى- بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه المنفرد البائن من خلقه، الواحد الغني عن الخلق. وأن الله ﷻ سميع بصير، عليم خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة. وهذا جاء في أحاديث متعددة، أن الله ﷻ يتجلى للعباد يوم القيامة، يتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا؛ وذلك في الجنة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، بمعنى: أنه موصوف بهذه الصفات التي يتأولها المعطلة. كيف يشاء، بمعنى: ب بالكيفية التي لا يعلمها البشر.



ثم قال: فيقول: هذا في الحديث -الذي سبق ذكره- الثابت في الصحيحين عن النبي ﷺ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر [٢١] وقلنا: هذا لا يجوز أن يتأول؛ لأن الذي ينزل ملك من الملائكة كما تأول ذلك بعض أهل التعطيل، أو ينزل أمره؛ لأن هذه الأمور لا يجوز، ولا يعقل، أنها تقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ والحديث صريح، ينزل ربنا، ينزل الله، النبي ﷺ هو أفصح الخلق، وأحرص الخلق على بيان الحق للأمة، يستطيع أن يقول: ينزل أمره، أو ينزل ملك من الملائكة؛ لو كان يريد هذا المعنى الذي أراده أولئك المعطلة؛ لكن لما قال: ينزل الله، أو ينزل ربنا. دل على أن الله حقيقة ينزل، ففي كيفية هذا النزول الله أعلم.

ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه. يعني: لا وكيف ولا يشبه، ليس كنزول المخلوق من المخلوق، المخلوق إذا نزل من شيء إلى شيء صار هذا الشيء الذي نزل منه أعلى منه، أما الله ﷻ فإنه ينزل نزولا يليق بجلاله وعظمته؛ ومع ذلك لا يعلوه شيء من خلقه، فهو العلي الأعلى. ولا تأويل، يعني: لا يشبه نزول الله ﷻ بنزول الخلق، ولا تأول نزول الله ﷻ كما أول ذلك المعطلة، فمن أنكر النزول، أو تأول فهو مبتدع ضال، بمعنى: من زعم أن الله لا ينزل، ورد هذا الحديث، ودلالة هذا الحديث؛ بناء على -مثلا- أنه خبر آحاد؛ علما بأنه من الأحاديث المتواترة، أو تأوله، بمعنى: صرفه عن ظاهره. فحكمه: أنه مبتدع ضال، لماذا؟ لأنه فهم النص، أو تعامل مع هذا النص على خلاف ما فهمه الصحابة -رضي الله عنهم-، وليس له مسوغ لا في الشرع، ولا في العقل، ولا في لغة العرب؛ أن يصرف هذا النص عن ظاهره.

ثم قال: وسائر الصفوة من العارفين على هذا. يعني: سائر أئمة الصوفية، الأئمة المعتبرون، ليس أولئك الذين أحدثوا هذه البدع، كابن عربي المكي الطائي، وكالحلاج، وكابن سبعين، وكالسهرودي، أولئك الذين جاءوا للأمة بعقيدة الحلول والاتحاد، هؤلاء ليسوا في الواقع ممن يعينهم أو ليس من النوع الذي يعينهم معمر -رحمه



.....

الله-؛ إنما يقصد بأئمة الصوفية العارفين المتقدمين؛ الذين كانت التصوف عندهم عبارة عن أيش؟ الزهد، كان التصوف أول ما ظهر في أمره عبارة عن الزهد والانقطاع عن الدنيا، ولم يختلط بالمفاهيم الفلسفية؛ إلا في وقت متأخر؛ ولهذا ظهر عند المتصوفة عقيدة الحلول، عقيدة الاتحاد، هذه العقائد الفاسدة. نعم.



كلام الفضيل بن عياض في أسماء الله وصفاته

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في كتاب "السنة": حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا إبراهيم بن الحارث -يعني العبادي- حدثنا الليث بن يحيى، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر -وهو صاحب الفضيل- قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله تعالى وصف نفسه بأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ^(١)، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه.

وكل هذا: النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الإطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟ فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برّب يزول عن مكانه. فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء. ونقل هذا عن الفضيل جماعة؛ منهم البخاري في "خلق أفعال العباد"، ونقله شيخ الإسلام بإسناده في كتابه "الفاروق"، فقال: حدثنا يحيى بن عمار، حدثنا أبي، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا حرمي بن علي البخاري، وهانئ بن النضر عن الفضيل.

نعم. وهذا -أيضا- نقل عن إمام من الأئمة الذين يعظمهم الصوفية؛ وهو الإمام الفضيل بن عياض أبو علي، المتوفى سنة مائة وثمان وسبعين، نقل عنه أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، المتوفى سنة ثلاثمائة وإحدى عشرة في كتابه "السنة"، وهذا الكتاب طبع جزء منه؛ ولا يزال، منه أجزاء لا زالت مفقودة، يقول الفضيل:



ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ٢ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ٣ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤ ١) ليس للمسلم أن يتوهم كيفية صفات الله - عز وجل -؛ لأن هذا مما استأثر الله بعلمه. نعم. صفات الله لها كيفية؛ لكن الله اعلم بكيفيتها. يقول: لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ، بمعنى: أبلغ في الوصف، وساق على ذلك سورة الإخلاص التي تضمنت الإثبات والنفي؛ وذلك أن وصف الله ^{عز وجل} ينقسم إلى قسمين:

أن يوصف بالإثبات، كأن يوصف بالسمع، البصر، الكلام، العلم، القدرة، الإرادة، الضحك، النزول، المجيء، الاستواء. هذه صفات ثبوتية. ويوصف بالنفي، بأن ينفي عنه صفات النقص، كأن ينفي عنه صفة السنة - النوم - ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ٥ ٢) صفة الظلم، صفة التعب.

فسورة الإخلاص تضمنت الإثبات، والنفي:

فقله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٦ ٣) هذا صفة ثبوتية.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ٧ ٤) -أيضا- صفة ثبوتية، والصمد معناه - كما ذكره بعض أهل العلم -: هو الذي لا جوف له. أو لا يأكل، ولا يشرب. أو السيد الذي كمل في السؤدد. أو الباقي الدائم. وكل هذه المعاني تصلح أن تكون معنى للصمد.

١ - سورة الإخلاص آية : ١-٤.

٢ - سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٣ - سورة الإخلاص آية : ١.

٤ - سورة الإخلاص آية : ٢.



ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ^(١) هنا نفى عن نفسه - سبحانه وتعالى - أن يكون مولودا، أو أن يلد؛ وذلك أن الولادة تدل على الحاجة، والله هو الغني - سبحانه وتعالى -.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ^(٢) هذا نفى مجمل - أي - ليس لله مثل، ليس له مكافئ.

يقول: فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه. فالله أعلم بنفسه؛ ولهذا هو أعلم بما يجوز عليه، وما يمتنع عليه. فلا يجوز أن نتحكم في ذلك، فنقول: هذه الصفة.. لا يجوز أن يوصف الله بها؛ لأنه يلزم ويلزم كما قال المعطلة. لا. الله **تعالى** أعلم بما يجوز عليه، وما يلزم؛ ولهذا وصف نفسه بهذه الصفات، ونفى عن نفسه هذه الصفة.

يقول: وكل هذا النزول. يعني: كل هذه الصفات التي ثبتت، النزول، والضحك، وهذه المباهاة التي جاءت في حديث عائشة - رضي الله عنها - كما في صحيح مسلم، أن النبي **ﷺ** قال: ﴿ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفه، وأنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟﴾ ^(٣) فالشاهد: أن الله **تعالى** يباهي بهم الملائكة. والمباهاة في لغة العرب: هي المفاخرة.

ثم قال: وهذه المباهاة والاطلاع كما جاء - أيضا - في الصحيحين من حديث حاطب بن أبي بلتعة **رضي الله عنه** الطويل، الذي فيه: فقال عمر: دعني أضرب عنقه؛ فقد نافق. فماذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: ﴿لا يا عمر؛ إنه شهد بدرا؛ ولعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم.. فقد غفرت لكم﴾ ^(٤) هذا الحديث يدل على أن الله موصوف بأيش بالاطلاع، كما أنه موصوف بالضحك والنزول والمباهاة، أيضا موصوف بأنه يطلع، اطلاعا يليق بجلاله وعظمته، لا نكيف ولا نشبه.

يقول: كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع. بمعنى: على الوجه اللائق به - سبحانه وتعالى -، كيف شاء، ومتى شاء.

١ - سورة الإخلاص آية : ٣.

٢ - سورة الإخلاص آية : ٤.



ثم قال: فليس لنا أن نتوهم كيف.. وكيف؟ يعني: لا يأتينا قائل ويقول: كيف يضحك؟ الضحك يلزم منه كذا، ويلزم منه كذا، كيف يلزم؟ يلزم منه أن يكون شيء من الخلق أعلى منه. نقول له: أثبت ما ثبت، ودع ما خفي إلى الله ﷻ. لست متعبد بهذه الاعتراضات، أنت متعبد أن تثبت ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له للرسول.

أما ما لم يرد فأمسك كما أمسك أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ولهذا رووا هذه الأحاديث إلى الأمة، وسمعوها قبل ذلك من النبي ﷺ وتقبلوها دون أي اعتراض، كما هي الحال عند هؤلاء المتأخرين، عند هؤلاء الذين استقوا هذه العقائد، أو أصول هذه العقائد من غير المسلمين، تقول له: يقول الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ^(١) يقول لك: لا. لا يجوز أن نصف الله بالاستواء؛ لماذا؟ لأنه يلزم أن يكون الله جسم، أن يكون الله متحيز، أن يكون.. أن يكون.. أين هذه اللوازم الباطلة؟

لم يردّها الصحابة على النبي ﷺ. أبو رزين -رضي الله عنه وأرضاه- يسمع النبي ﷺ في الحديث الحسن، يقول: ﴿يضحك ربنا لقنوت عباده، وقرب﴾. لم يكن الصحابة يعترضوا على النبي ﷺ ويقولون: كيف نصف الله ﷻ بالضحك، والضحك: خفة في النفس، أو خفة في الروح -كما قاله المتأخرون-؟! لا. سلموا، أبو رزين فقط يريد أن يتأكد، هل الله فعلا يوصف بهذه الصفة؟ فيقول: ﴿أو يضحك ربنا.. يا رسول الله؟! فيقول النبي ﷺ نعم. لا حظ ماذا قال، هل قال ما قاله المتأخرون؟ قال: ﴿لن نعدم من رب يضحك خيرا﴾ فهم هذه الصفة على ظاهرها، وأجراها على ظاهرها، لم يعترض عليها، ثم أثبت أن لهذه الصفة آثار، من آثارها: رحمة الله ﷻ الرحمة بالعباد، وهكذا المؤمن مع مثل هذه النصوص.

ثم قال: فإذا قال الجهمي: هذه قاعدة يمكن أن تستخدم مع المعطل.

يقول: فإذا قال الجهمي: -أي- المعطل، أنا أكفر برب يزول عن مكانه. ماذا يقصد هذا الجهمي من هذا الكلام؟ نفي الصفات المتعلقة بالفعل، كالنزل، والمجيء، ونحو ذلك. لا حظ هذا الجهمي، هذا المعطل، كما

قال



.....

شيخ الإسلام - رحمه الله -: المعطل يجمع بين التشبيه والتعطيل؛ وذلك أنه لم يعطل إلا بعد أن شبه. لما تبادر إلى ذهنه، أول ما تبادر إلى ذهنه من ظاهر هذا النص التشبيه؛ انتقل إلى مرحلة أيش التعطيل، هذا الجهمي لما سمع الله ﷻ يقول: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(١) وسمع قول النبي ﷺ ينزل ربنا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ﴿ ٥٢ ﴾ ما الذي تبادر إلى ذهنه من ظاهر هذا النص؟ أنه إذا نزل، أو جاء فقد زال عن مكانه. واضح، وهذا عين التشبيه.

ثم انتقل بعد ذلك إلى التعطيل، قال: لا. إذن لا أثبت لله صفة النزول، لا أثبت لله صفة المجيء. يقول الفضيل: يمكن أن نرد على هذا؛ ولهذا جاء بهذا الكلام المبهم: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. ماذا قال؟ فقل له: وأنا أو من برب يفعل ما يشاء. ينزل كما يشاء، ويحيى كما يشاء؛ لكن هل يتحرك من مكانه؟ هل يزول من مكانه؟ الله أعلم. هذا نزول البشر، وهذا مجيء البشر، أما نزول رب البشر فيختلف تماما، ليس هناك أدنى تشابه أو أدنى تماثل بين صفة المخلوق وصفة الخالق؛ لأجل أن يرد إلى أذهاننا هذا المعنى الفاسد. يقول: فقل: بل أو من برب يفعل ما يشاء. يعني: أعكس عليه القضية، قل: أنت تريد أن تتحكم في صفات الله ﷻ الله ﷻ يشب له نبيه ويقول: ينزل ربنا. وأنت تقول: لا ينزل.

ثم ذكر أن هذا الأثر نقله جماعة عن الفضيل بن عياض، منهم: الإمام البخاري: محمد بن إسماعيل، صاحب "الصحيح" في كتابه "خلق أفعال العباد"، وهذا الكتاب طبع عدة طبعات، وأيضا نقله شيخ الإسلام - يعني - أبا إسماعيل الهروي، صاحب "منازل السائرين" في إسناده في كتابه "الفاروق"، وقلت لكم بالأمس: أن هذا الكتاب لا يزال - أيضا - مفقودا، وينقل عنه الأئمة كثيرا. نعم. قول الفضيل: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: بل أو من برب يفعل ما يشاء. وهذا ما حصل - أيضا - مع أحد القدريّة النفاة، وأظنه القاضي عبد الجبار، لما دخل في مجلس الخليفة، وقال: سبحان من تنزه عن الفحشاء. ففهم منه الإمام - أظنه - الاسفراييني، فهم أنه أراد بهذه



الكلمة نفي أن الله يخلق أفعال العباد، نفي عموم مشيئة الله، نفي عموم خلق الله -عز وجل-؛ لأنه بزعمه أن الله إذا خلق فعل العبد، وحاسبه عليه؛ يكون ظالم له، فقال: سبحان من تنزه عن الفحشاء.

مباشرة رد عليه أبو إسحاق الاسفراييني، فقال: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، يعني: كأنك تريد أيها القدري.. أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، بمعنى: أنه يخلق أمر لا يستطيع الله ﷻ عليه، ويقع في ملك الله ما لا يريده الله -عز وجل-؛ لأنه على حد قول هذا القدري أن الله ﷻ لا يريد كفر الكافر، والعبد أراد كفر نفسه، فغلبت أي الإرادتين -على حد قول القدري-؟ غلبت إرادة العبد إرادة الرب -سبحانه وتعالى-؛ ولهذا مباشرة رد عليه قال: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. نعم.



كلام عمرو بن عثمان المكي في الصفات

التحذير من وسوسة الشيطان بالتشكيك في توحيد الله أو صفاته

وقال عمرو بن المكي في كتابه الذي سماه: "التعرف بأحوال العباد والمتعبدين"، قال: ما يجيء به الشيطان للتائبين. وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور، وطول الأمل، ثم في التوحيد.

فقال: من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكيك، أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجمحد لها والتعطيل.

قال بعد ذكر حديث الوسوسة: واعلم -رحمك الله تعالى- أن كل ما توهمه قلبك، أو سنع في مجارى فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن، أو بهاء، أو ضياء، أو إشراق، أو جمال، أو شبح مائل، أو شخص متمثل: فالله تعالى بغير ذلك؛ بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر؛ ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) -أي- لا شبيهه، ولا نظير، ولا مساوي، ولا مثل. أو لم تعلم أنه تعالى لما تجلّى للجبل تدكدك؛ لعظم هيئته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك، فَرُدَّ بما بين الله في كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفء.

١ - سورة الشورى آية : ١١ .

٢ - سورة الإخلاص آية : ٤ .



نعم. هذا -أيضا- نقل عن عمرو بن عثمان المكي، المتوفى سنة مائتين وسبع وتسعين، وهو -أيضا- من الأئمة الذين لهم مكانة وقدر عند عموم أهل التصوف، يقول في كتابه الذي سماه: "التعرف بأحوال العباد المتعبدين"، وهذا الكتاب -أيضا- لا يزال مفقودا؛ علما بأن بعض الأئمة ينقل عنه، يقول: قال: ما يجيء به الشيطان للتائبين. يعني الطرق التي يوسوس بها الشيطان، ويتسلل منها الشيطان إلى نفوس التائبين. يقول: وذكر أنه يوقعهم في القنوط: وهو اليأس من رحمة الله ﷻ ثم في الغرور وطول الأمل. بمعنى: أنه يحاول أن يوقع هذا الإنسان في اليأس، وهذا باب شر على الإنسان؛ فإن ظفر بذلك؛ وإلا انتقل إلى نقله إلى المقابل إلى الضلال الآخر وهو أيش؟ الغرور؛ ولهذا المؤمن الحق بين هذين الطرفين، ويحذر هذين الداءين العضالين: الغرور، واليأس. اليأس داء، والغرور داء؛ ولهذا صار المؤمن الحق في مسيره إلى الله والدار الآخرة بين الخوف والرجاء، انظر إلى قول الله ﷻ وهو يصف صفوة عباده: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾^(١) فهم متوسطون، وقال في وصف أنبيائه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾^(٢) ؛ ولهذا قال العلماء: يجب أن يكون المؤمن بين هذين الأمرين: بين الخوف، والرجاء.

كالطائر، إذا رأى من نفسه يأساً ونصباً في عبادة الله ﷻ استحضر نصوص الرجاء، نصوص الوعد. وإذا رأى من نفسه تخاذلاً وتكاسلاً عن طاعات الله، أو دعت نفسه للوقوع في معصية من المعاصي، أو في كبيرة من الكبار استحضر نصوص الخوف، نصوص الوعيد. كذلك الحال في قضية اليأس والغرور، الشيطان يضل طائفة من الناس باليأس؛ ولهذا يغلب عليهم جانب الوعيد، لا ينظرون إلى نصوص الوعد، إلى سعة مغفرة الله ﷻ إلى رحمته؛ ولهذا جاء عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: ﴿ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه ﴾^(٣) وفي الحديث الآخر: ﴿ أنا عند حسن ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء ﴾^(٤).

١ - سورة السجدة آية : ١٦.

٢ - سورة الأنبياء آية : ٩٠.



فالمؤمن مطلوب منه أن يحسن ظنه بالله ﷻ . وهناك طائفة من بني آدم قد يوقعهم الشيطان في الغرور، وهذا -أيضا- داء؛ ولهذا جاء عن الإمام أحمد -رحمه الله- أنه قال: هنيئا لمن لم يعرف ولا يعرف. وذلك لخشيته على نفسه من هذا الباب الخطير، الإمام الشافعي يقول: وددت أن الناس استفادوا من العلم الذي عندي وأنا في شعب من الشعاب. لا يعرفني أحد، فلا يغتر المسلم لا بعبادة أداها، ولا بعمل قدمه، لا يغتر بدعوته إذا رأى كثرة المستجيبين له، لا يغتر بعلمه إذا رأى كثرة الأتباع؛ لأنها -كما قال ابن عباس-: فتنة للتابع والمتبوع. فباب الغرور باب خطير، وداء عضال، وكم أرضى الشيطان طوائف من بني آدم من هذا الباب، قد يوفق -مثلا- بشيء من العلم، بشيء من الفهم، بشيء من الفصاحة؛ لكن يعود عليه ذلك وبالا؛ لأنه يغتر بما معه من العلم، يغتر بما معه من هذه العبادة، أو كذا، فنسأل الله السلامة، يدلي على الله ﷻ بهذا الأمر، فيصير هذا سبب لانحرافه وضلاله.

وغالبا مسألة الغرور قد ترد كثيرا بعض الذين آتاهم الله ﷻ أو حباهم بشيء من العلم؛ مع ذكاء في أول العمر، فلا يحكم هذا الأمر بالعلم الشرعي الصحيح، وأيضا لا يحاول أن يعقل هذا الجموح عنده بالقرب من أهل العلم، وبمطالعة سير العلماء المتقدمين، فيعود عليه هذا الشيء وبالا؛ ولهذا كارهون، هناك ممن برع في أول حياته في جانب العلم الشرعي، هناك من ألف كتاب الآن -الكتاب موجود ومتداول- لما ألفه قال بعض أهل العلم: قدم فلان مهره إلى الجنة. فعلا كتاب إذا قرأته ونظرت فيه كتبه بقلم سيال؛ لكنك تلاحظ في كتاباته الأخرى جانب الاعتزاز بالنفس؛ ولهذا صارت نهاية هذا الشخص -نسأل الله السلامة- نهاية مأساوية؛ إن لم يتداركه الله ﷻ برحمته، تنكر لما كتبه في أول حياته، ورأى أن ما كتبه في أول حياته هو عين الضلال؛ علما أنه عين الحق، والسبب؟ الغرور، والاعتزاز بالنفس.



.....
وقصة الإمام أحمد مع الشيطان، لما سأله ابنه عبد الله -والقصة معروفة مشهورة- وهو في النزاع، في سكرات الموت؛ لما جاءه وقال: فتني يا أحمد. وهو يقول: لا. بعد.. لا. بعد.. أراد أن يوقعه في الغرور في هذه اللحظة؛ لكن سلم الله الإمام أحمد من ذلك.

يقول: ثم في التوحيد. بمعنى: أن الشيطان يوقع هذا المتعبد في الغرور، أو في اليأس، ثم ينتقل بعد ذلك ليحاول أن يوسوس له في التوحيد، في هذا الباب الخطير -باب الاعتقاد-.

فمن أنواع هذه الوسوسة التي يوسوس بها الشيطان على هؤلاء المتعبدين يقول: من أعظم ما يوسوس في التوحيد في التشكيك. بمعنى: الشك، والاضطراب. وأمور العقائد لا تقبل الشك، أمور العقائد مبنها على أيش؟ على اليقين: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾^(١) لم يشكوا، لم يترددوا. الشك والتردد ربما يقبل في المسائل العملية، قد يشك الإنسان، قد يتردد هل يجب الوضوء من أكل لحم جذور أو لا؟ ولا يؤثر هذا على دينه، قد يتردد ويشك هل المبيت ليلة مزدلفة ركن من أركان الحج أو واجب من واجبات الحج؟ لا يؤثر هذا على دينه، قد يشك هل هذا المال حرام أو حلال؟ هل هذا الطعام حلال أو حرام؟ لا يؤثر هذا على أصل دينه؛ لكن يشك هل موسى نبي أو رجل صالح؟ هذا كفر؛ إذا وصل إلى مرحلة الشك في هذا الأمر، يشك في وجود الجنة والنار أو لا؟ يشك في عذاب القبر أو لا؟ يشك في وجوب صرف العبادة لله أو لا؟ لا.

هذه الأمور لا تقبل الشك، لا بد فيها من اليقين التام؛ ولهذا سمي هذا الباب: باب الاعتقاد. عقيدة، يعني: لا بد فيها من الجزم التام، مأخوذة من عَقَدَ، كقول القائل: عقدت البيع، وعقدت النكاح. أمور لا تقبل، أمور مبنها على الجزم والاستيثاق، كذلك أمور العقيدة، أمور العقيدة لا تقبل الشك والتردد. فالشيطان يأتي للإنسان من هذا الباب، يحاول أن يشككه في عقيدته، يشككه في توحيده، وهذا ما أوقع بعض من تعمق في علم الكلام؛



أوقعهم الشيطان في أيّش؟ في الشك والحيرة؛ ولهذا أخذنا أمثلة في القسم الأول لبعض أساطين علماء أهل الكلام، الذين بلغوا درجة عالية في هذا العلم؛ ومع ذلك صرحوا أنهم لم يصلوا إلى اليقين الذي كانوا ينشدونه، كالرازي، الشهرستاني، الغزالي. الغزالي يقول: أكثر الناس شكاً عند الموت: أهل الكلام.

ثم يقول: أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه. بمعنى: أن التشبيه، تشبيه صفات الرب بصفات الخلق باب من أبواب وسوسة الشيطان، مما يمليه الشيطان على ابن آدم، فهذا نوع من الإلحاد. أو بالجحد لها والتعطيل. بمعنى: أن يأتي الشيطان إلى هذا الإنسان فيوقعه: إما في التشبيه، أو في التعطيل. وكلاهما انحراف في باب الاعتقاد.

يقول: فقال بعدما ذكر حديث الوسوسة الذي جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله.. إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجتموه؟ قالوا: نعم. قال: فذاك صريح الإيمان ﴿١﴾ وفي رواية: ﴿٢﴾ الحمد لله الذي رد أمرهم إلى الوسوسة ﴿٣﴾

يقول: فقال -بعد ذكر حديث الوسوسة-: واعلم -رحمك الله تعالى- أن كل ما توهمه قلبك. لاحظ.. أصحاب النبي ﷺ جاءوا يشكون إلى النبي ﷺ أن الواحد منهم قد يختلج في قلبه وفي صدره ما إن يخر من السماء أحب إليه من أن يتكلم به، فذكر -الآن- الشيخ -هنا- بعض هذه الوسوس التي ممكن أن يأتي الشيطان إلى الإنسان بها.

فقال: أن كل ما توهمه قلبك، أو سنح في مجاري فكرك. أي: عرض في مجاري فكرك، عرض في فكرك. أو خطر في معارضات قلبك من حسن، أو بهاء، أو ضياء، أو إشراق، أو جمال، أو شبح مائل، أو شخص متمثل. يعني: كل هذه الأمور لو جاء الشيطان ومثلها في قلبك على أن هذا هو الله، أو هذه هي صفة الله ﷻ يقول:



فالله تعالى بغير ذلك؛ بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر؛ ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) بمعنى: مهما تصوره في نفسك، مهما تمثلته في نفسك، مهما تخيلته في عقلك، فالله **عَلَيْهِ السَّلَام**.

قال: ومثلها في قلبك على أن هذا هو الله، أو هذه هي صفة الله **عَلَيْهِ السَّلَام** يقول: فالله تعالى بغير ذلك؛ بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر؛ ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) بمعنى: مهما تصوره في نفسك، مهما تمثلته في نفسك، مهما تخيلته في عقلك، فالله **عَلَيْهِ السَّلَام** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) لا يمكن أن يماثله شيء، وضرب شيخ الإسلام مثالا لذلك -ذكرته أنا مرارا-: موجودات الجن، وهي مخلوق من مخلوقات الله **عَلَيْهِ السَّلَام** أنهار الجنة الله **عَلَيْهِ السَّلَام** ذكر أن في الجنة لبنا وعسلا وماء وأنهارا وفاكهة. نعم. الاسم هو الاسم، العسل كعسل هو الموجود عندنا كمسمى عسل؛ لكن حقيقة هذا العسل الذي في الجنة، هل يمكن للعقل أن يتصور حقيقة ذلك؟ الجواب: لا؛ ولهذا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: ﴿فِيهَا مَا لَا عَيْن رَأَتْ، وَلَا أذن سمعت، وَلَا خطر على قلب بشر، اقْرءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٤)﴾ يعني: مهما تصورت حقيقة نعيم الجنة لا يمكن أن تصل إلى الحقيقة، إذا كان هذا مخلوق مع مخلوق فما الظن بأيش؟ بالخالق -سبحانه وتعالى-.

١ - سورة الشورى آية : ١١ .

٢ - سورة الشورى آية : ١١ .

٣ - سورة الشورى آية : ١١ .

٤ - سورة السجدة آية : ١٧ .



يقول: وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١) أي: لا شبيهه، ولا نظير، ولا مساو، ولا مثل. لا شبيهه لله، ولا نظير بالله، ولا مثل لله، ولا مساو لله ﷻ وكل هذه الأمور نفاها الله ﷻ عن نفسه؛ لقطع الطريق على النفس أن تصل إلى أن تتصور حقيقة الله ﷻ.

ثم ذكر دليلاً على ذلك: أنه لا يمكن للعقل، ولا يمكن للنفوس أن تصل إلى حقيقة ذلك، بقوله: أو لم تعلم أن الله -تعالى- لما تجلى للجبل تدكدك؛ وذلك في قصة موسى -عليه السلام-، لما قال: ﴿رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرْنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرْنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا^(٢) إذا كان هذا الجبل بصلابته وقوته ما استطاع أن يصمد لله ﷻ فما الظن بهذا المخلوق؟ لا يمكن لعقل المخلوق، ولا لخيال المخلوق، أن يتصور حقيقة هذا الرب -سبحانه وتعالى-؛ لعظم هيئته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك؛ كذلك لا توهمه أحد إلا هلك. بمعنى: لو جاء الإنسان، وأراد أن يتوهم صفات الله ﷻ أن يتوهم استواء الله ﷻ بصر الله -عز وجل-؛ لهلك، بمعنى: لأنه شبه الخالق بالمخلوق، ومن شبه الخالق بالمخلوق فقد هلك، فرد بما بين الله، يعنى: يخاطب هذا المتكلم، أو المكلم.

يقول: فرد بما بين الله في كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفاء. بمعنى: إذا سئح في عقلك هذا التشبيه؛ فمباشرة ارجع إلى هذه الأدلة الصريحة النافية عن الله ﷻ التمثيل والتشبيه ونحو ذلك. نعم.

١ - سورة الإخلاص آية : ٤ .

٢ - سورة الأعراف آية : ١٤٣ .



وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته كما وردت

فإن اعتصمت به، وامتنعت منه، أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب -تبارك وتعالى وتقدس- في كتابه، وسنة رسوله محمد ﷺ فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا، أو وصفته، أوجب لك التشبيه. فأكذبه؛ لأنه اللعين إنما يريد أن يستذلك ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفات الرب -تعالى-.

فاعلم -رحمك الله تعالى-: أن الله واحد -تعالى-، لا كالأحاد، فرد صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد... إلى أن قال: خلصت له الأسماء السنية، فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث -تعالى- صفة كان منها خلياً، أو اسماً كان منه برياً -تبارك وتعالى-، فكان هادياً سيهدى، وخالقاً سيخلق، ورازقاً سيرزق، وغافراً سيغفر، وفاعلاً سيفعل، لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل، فهو يسمى به في جملة فعله، كذلك قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ^(١) فمعنى: أنه سيحيى، فلم يستحدث الاسم بالحيى، وتخلف الفعل لوقت الحيى، فهو جائي سيحيى، ويكون الحيى منه موجوداً بصفة لا تلاحقه الكيفية ولا التشبيه؛ لأن ذلك فعل الربوبية، فتحصر العقول، وتنقطع النفس عن إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين: لا معطلاً، ولا مشبهاً.

وارض لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلماً مستسلماً مصداقاً، لا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنفير.



نعم. على كل حال.. ستلاحظون في هذا النقل، وفي الذي يليه عن الحارث المحاسبي، وعن أبي عبد الله بن خفيف شيء من الغموض في بعض العبارات، وربما -أحياناً- عدم الترابط الواضح بين العبارات؛ وذلك أنه غلب على مثل هؤلاء العبارات الصوفية -رحمهم الله-.

يقول: فإن اعتصمت به، وامتنعت منه، أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب -تبارك وتعالى وتقدس-. بمعنى: إن سلمت من التشبيه نقلك إلى المقابل إلى التعطيل، وحاول أن يدخل عليك من هذا الباب.

يقول: فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا، أو وصفته، أوجب لك التشبيه. فأكذبه. بمعنى: كما هي الحال عند المعطلة، المعطلة لماذا نفوا عن الله هذه الصفات؟ لماذا عطلوا؟ لأنهم قالوا: نخشى أننا إذا وصفنا الله بالاستواء، أو بالمحيى، أو بالنزول، أو بأن له يدين. نعم. وقعنا في التشبيه. فهذا مدخل من مداخل الشيطان، وحاول أن يوقعهم في التشبيه بادئ ذي بدء، ثم نقلهم إلى التعطيل؛ بحجة الخوف من الوقوع في التشبيه؛ ولهذا يقول: فأكذبه. بمعنى: لا تقبل منه هذا الأمر، رد إليه هذا الاعتقاد الفاسد، فأثبت لله ما يجب له من الصفات، ونزه الله ﷻ عن مماثلة المخلوقات، وعند ذلك تسلم من التشبيه، وتسلم من التعطيل، ويحفظك الله من وسوسة الشيطان.

يقول: فأكذبه؛ لأنه اللعين إنما يريد أن يستدلك، ويغويك، ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفات رب العالمين. يعني: يريد أن يوقعك في جحد ما وصف الله به نفسه.

ثم قال: فاعلم -رحمك الله تعالى-: أن الله واحد -تعالى- لا كالأحاد. بمعنى: أن نشبت له الأحدية؛ لكن تفرد به بذلك ليس كتفرد المخلوق بذلك.

فرد صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. يعني: لاحظ هذه الصفات لا يتصف بها المخلوق؛ وإن كان واحداً، ليس بفرد، ولا صمد، ولم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، هذه لا يجوز أن يوصف بها المخلوق، فدل على أن أحدية الله ﷻ لا ثقة به سبحانه، ولا تماثل أحدية المخلوق.



يقول: إلى أن قال: خلصت له الأسماء السنية. السنية: من السناء: وهو الضوء والنور؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾^(١).

خلصت له الأسماء السنية. لا شك أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى التي بلغت الغاية في الحسن والجمال. فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق -تبارك وتعالى- واقعة في قديم الأزل، بمعنى: أن الله متسم بهذه الأسماء منذ الأزل، يعني: لم يتجرد عن هذه الأسماء في وقت من الأوقات -كما سيبينه-، ثم حدثت له هذه الأسماء، لا. فالله بأسمائه وصفاته هو الأول، واضح؟ يعني: سيورد المعتزلة، ويقولون: هل الصفات قديمة أو ليست بقديمة؟ وإذا كانت قديمة والله قديم، إذن. يلزم منه تعدد القدم. هذه من الشبه الفاسدة التي يوردونها، المؤلف، أو الإمام يريد أن يرد عليهم، فيقول: فكانت واقعة في قديم الأزل، فالله بأسمائه وصفاته هو الأول. بمعنى: لا يمكن أن نتصور أن الله في وقت من الأوقات كان مجرد عن هذه الأسماء، أو مجردا عن هذه الصفات.

لم يستحدث -تعالى- صفة كان منها خليا، أو اسما كان منه برياً. بمعنى: خليا: أنه كان خال من هذه الصفة. وبرياً: من برأ، يبرأ: وهو كمعنى خليا، بمعنى: أنه لم يكن متبري من هذه الأسماء، لم تكن له هذه الأسماء والصفات في وقت من الأوقات، لا. لا يمكن أن نتصور ذلك؛ بل الله، أن لا نفرق بين الصفة والموصوف في هذه المسألة، نقول: الله بأسمائه وصفاته هو الأول. فكان هاديا سيهدي، وخالقاً سيخلق، ورازقا سيرزق، وغافرا سيغفر، وفاعلا سيفعل. بمعنى: أن الله ﷻ متصف بهذه الصفات أزلاً وأبداً؛ سواء وجد المخلوق أو لم يوجد المخلوق، فالله موصوف بأنه خالق؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) وعند قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣) قال: كان ولم يزل ولا يزال. كان عليماً، كان ولا يزال عليماً،

١ - سورة النور آية : ٤٣.

٢ - سورة النساء آية : ٩٦.

٣ - سورة النساء آية : ١٧.



ولم يزل، ولن يزل مستقبلاً، كذلك كونه خالق رازق فهو موصوف بذلك - سبحانه وتعالى - في كل وقت؛ سواء وجد هذا الشيء أو لم يوجد هذا الشيء.

ثم قال: وفاعلاً سيفعل، لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل، فهو يسمى به في جملة فعله كذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(١) بمعنى: أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلف الفعل لوقت المجيء، بمعنى: أن الله ﷻ موصوف بذلك - بالمجيء - وإن كان هذا المجيء لم يأت بعد، فقلوله سبحانه: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٢) وصف سبحانه بالمجيء؛ لتحقيق وقوع هذا الأمر؛ كقلوله سبحانه: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(٣) متى سيأتي؟ يوم القيامة. وعبر عنه بالفعل الماضي وهذا سائر في لغة العرب، عندما يريد الإنسان أن يعبر عن أمر متحقق، نعم. فيمكن أن يستخدم الفعل الماضي، فالله ﷻ لما قال: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٤) وهو سيأتي؛ فهذا لتحقيق وقوع هذا الشيء منه - سبحانه وتعالى -، فهو جاء، سيجيء، ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلاحقه الكيفية ولا التشبيه. بمعنى: أن ثبت له صفة المجيء على الوجه اللائق به سبحانه؛ لأن ذلك فعل الربوبية، فتحصر العقول، وتنقطع النفوس عن إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود. بمعنى: أن العقول مهما حاولت معرفة كيفية هذه الصفة فستعود على نفسها خاسئة أيش؟ وهي حسير. فإذا كان البصر لا يمكن أن يدرك هذه السماوات، يحيط بهذه السماوات، فكيف يمكن للعقل وللنفس أن تدرك حقيقة خالق السماوات والأرض، خالق الخلق؟!

١ - سورة الفجر آية : ٢٢.

٢ - سورة الفجر آية : ٢٢.

٣ - سورة النحل آية : ١.

٤ - سورة الفجر آية : ٢٢.



وتنقطع النفس عن إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين: لا معطلا، ولا مشبها. بمعنى: احذر أن يوقعك الشيطان في أحد هذين الطريقين المنحرفين، في أحد هذين الضالين: التعطيل، أو التشبيه.

لا معطلا، ولا مشبها، وارض لله بما رضي به لنفسه. بمعنى: لست أعلم بالله من الله، الله عز وجل أعلم بنفسه، فوصف نفسه بهذه الصفات، ونفى عن نفسه مشابهة المخلوقات.

فارض بما رضي الله لنفسه، وقف عند خبره لنفسه؛ مسلما مستسلما مصدقا بلا مباحثة التنفير. بمعنى: لا تفرق، وهذه حقيقة المؤمن.. الإيمان بهذه الأمور الغيبية، هذه هي المحك التي يتضح فيها المؤمن من الملحد، المؤمن من المخالف، أن الإنسان يقف أمام هذه النصوص - كما قال المؤلف -؛ مسلما مستسلما مصدقا بلا مباحثة التنفير. بمعنى: ألا يفرق، لا يفرق بين نصوص العبادات ونصوص العقائد، يقبل بهذه ويحرف تلك، لا يثبت لله بعض الشيء وينفي عنه بعض الشيء، يفرق بين التماثلات؛ كما هي الحال عند المعتزلة عندما أثبتوا لله الأسماء ونفوا عنه أيش؟ الصفات، فهذا تفريق بين تماثلات، الله المتسمي بهذه الأسماء هو الموصوف بهذه الصفات، وأيضا لا تكون حاله كحال الأشاعرة الذين أثبتوا لله بعض الصفات ونفوا البعض الآخر، ففرقوا بين التماثلات، فالذي يقتضيه العقل أن تجمع بين التماثلات، وتفرق بين المتفرقات أو المتباينات.

ولا مناسبة التنفير. التنفير: التفطيش، والبحث في دقائق الأمور، لماذا كذا؟ ولماذا كذا؟ وكيف؟ إذا أثبتنا لله الاستواء كيف استوى؟ وإذا أثبتنا لله النزول كيف ينزل؟ ويلزم منه كذا.. نعم.



إثبات ما أثبتته الله لنفسه

إلى أن قال: فهو -تبارك وتعالى- القائل: أنا الله.. لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائيا، لأمره المتجلي لأوليائه في الميعاد، فتبيض به وجوههم، وتفلج به على الجاحدين حجتهم، المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان -تبارك وتعالى-، الذي كلم موسى تكليما، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله؛ لأنه قربه نجيا، تقدس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدثا أو مربوبا، والوارث لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسادهم، يدها مبسوطتان وهما غير نعمته، خلق آدم، ونفخ فيه من روحه وهو أمره، تعالى وتقدس أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم، أو يلاصق به -تعالى عن ذلك علوا كبيرا-، الشائي له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا؛ ليتقرب إليه خلقه بالعبادة؛ وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشفع في الناس... إلى أن قال:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ^(١) القائل: ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ^(٢) أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ^(٣)

تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما في السماء -جل عن ذلك علوا كبيرا-.

نعم. يقول: إلى أن قال: فهو -تبارك وتعالى- القائل: أنا الله.. لا الشجرة. في هذا رد على المعتزلة النافين لصفة الكلام لله ﷻ الزاعمين أن الله خلق الكلام في الشجرة عندما كلم موسى؛ وذلك في قوله سبحانه:

١ - سورة فاطر آية : ١٠.

٢ - سورة الملك آية : ١٦-١٧.



﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَّىٰ إِيَّيَ - أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) زعموا أن الله خلق الكلام في الشجرة؛ لكن يرد عليهم: بأنه لا يمكن ذلك؛ لأنه قال: إني أنا الله.. إني أنا ربك فاخلع..، فهل يمكن للشجرة أن تقول هذا الكلام؟ لا يمكن.

إذا.. يقول: الجائي قبل أن يكون جائيا. نعم. سبق الكلام على ذلك أنه موصوف بالمجيء. لا أمره المتجلي لأوليائه في الميعاد. بمعنى: أن الله يتجلي لعباده، وليس أمره - كما يزعم المعطلة-، المعطلة يؤولون هذا التجلي بأنه: تجلي الأمر، أو تجلي ملك من الملائكة. فتبيض به وجوههم -أي- عباده المؤمنين، وتفلج به على الجاحدين حجبتهم، المستوي على عرشه بعظمة جلاله، فوق كل مكان -تبارك وتعالى-. وفي هذا رد على من نفى عن الله صفة العلو، أو قال بالحلول والاتحاد -كما هي الحال عند غلاة المتصوفة-.

الذي كلم موسى تكليما، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله. بمعنى: سمعه مباشرة، سمعه بصوت، لم يخلق في الشجرة، ولم يخلق في الهواء، ولم يفهمه موسى فهما دون أن يسمع كلامه -كما قال الأشاعرة والكلابية-. يقول: لأنه قربه نجيا. يعني: ناجاه ربه -سبحانه وتعالى- وناداه. تقدس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدثا أو مربوبا -كما يزعم المعتزلة والجهمية-.

قوله: أو مربوبا -أي- أن يكون كلام الله مملوكا له، الرب هو المالك، وليس بصفة من صفات الله ﷻ فيقول: الكلام صفة لله، وليس مخلوق مملوك لله كسائر المملوكات، هذا معنى قوله: مربوبا. والوارث لخلقه؛ لقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ ^(٢) ؛ وذلك أن الله ﷻ إذا أفنى العباد، ونادى: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ^(٣) فلا أحد يجيب، فكأنه هو الوارث لهذا الملك.

١ - سورة القصص آية : ٣٠.

٢ - سورة مريم آية : ٤٠.

٣ - سورة غافر آية : ١٦.



الوارث لخلقه، السميع لأصواتهم. بمعنى: إثبات السمع لله حقيقة. الناظر بعينه إلى أجسادهم. فثبت لله ﷻ صفة النظر؛ لما ثبت أن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَامِكُمْ﴾ [١] أيضا إثبات العينين لله - كما ذكرنا بالأمس، وذكرنا الأدلة على ذلك-.

﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ^(١) إثبات اليدين حقيقة لله ﷻ وهما غير النعمة؛ وذلك أن المعطلة أولوا اليدين المنسوبتين لله ﷻ بالنعمة، أو القدرة، فلا يجوز أن تؤول اليدان بذلك، فهل يقول عاقل: أن قول الله ﷻ ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ ^(٢) أي: بنعمتي، أو بقدرتي، الله ﷻ له قدرة.

ثم قال: خلق آدم، ونفخ فيه من روحه، وهو أمره. وهذا سبق الكلام عليه بالأمس، وقلنا: أن نسبة الروح لله ﷻ هذا من باب التشريف كما قال سبحانه: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ ^(٣) وبيت الله .

تعالى وتقدس أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم. وربما استدل الحلولية، واستدل النصارى بمثل هذه الآيات: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ^(٤) فقالوا: فيه جزء من الإله. وقلت لكم بالأمس: أن الإمام ابن القيم رد على ذلك ردا وافيا في كتابه "الروح".

أو يلاصق به -تعالى عن ذلك علوا كبيرا-. بمعنى: أن يلاصق بهذه الأجسام، أو يمازج هذه الأجسام، أو يحل بهذه الأجسام.

الشائي له المشيئة. -أي الموصوف بالمشيئة -سبحانه وتعالى-، العالم له العلم -الموصوف بالعلم-، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا؛ ليتقرب إليه خلقه بالعبادة؛ وليرغبوا إليه بالوسيلة -أي يتقربوا إليه

١ - سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.

٣ - سورة الأعراف آية : ٧٣.

٤ - سورة الحجر آية : ٢٩.



بأنواع القرب-، القريب في قربه من حبل الوريد. وتكلمنا على هذا -أيضا- بالأمس، قضية مسألة القرب، وهل هو عام وخاص كما هي الحال في المعية؟ وقلنا: أن الرأي الراجح الذي رجحه شيخ الإسلام: أن القرب لم يرد في الكتاب ولا في السنة إلا خاصا.

البعيد في علوه عن كل مكان بعيد. وفي هذا رد على هؤلاء الحلولية. ولا يشبه بالناس... إلى أن قال:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١) القائل: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾^(٢) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا^(٣) تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما في السماء، جل عن ذلك علوا كبيرا. كأنه يقول: هذه الأدلة.. صريحة في إثبات أن الله عال على الخلق، وأنه لا يجوز أن يقول قائل: أنه بذاته في الأرض -كما يزعم هؤلاء الحلولية-. وبالله التوفيق.

وصلى الله على وسلم على نبينا محمد.

١ - سورة فاطر آية : ١٠.

٢ - سورة الملك آية : ١٦-١٧.



كلام الحارث المحاسبي في الصفات

عدم دخول النسخ في أسماء الله وصفاته

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-:

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى "فهم القرآن"، قال في كلامه على النسخ والمنسوخ: وأن النسخ لا يجوز في الأخبار. قال: لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسمائه وصفاته يجوز أن ينسخ منها شيء... إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب، بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم، ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش -جل وعلا عن ذلك-.

نعم. بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه

أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ينقل المؤلف -رحمه الله- عن الإمام أبي عبد الله الحارث به إسماعيل بن أسد المحاسبي، المتوفى سنة

مائتين وثلاثة وأربعين، الإمام المشهور، وهذا الإمام قد دخل في شيء من علم الكلام، وكان يقول بقول ابن

كلاب في



نفي الصفات الاختيارية عن الله، إضافة لدخوله في بعض مسائل التصوف؛ ولهذا هجره الإمام أحمد، ويقال: أنه رجع عن رأي ابن كلاب، فالله أعلم.

وقد أورد المؤلف كلامه الآتي؛ ليبين أن الحارث المحاسبي كان يثبت صفة العلو لله ﷻ وينفي أن يكون الله حالا في الخلق - كما يزعم الحلولية من أهل التصوف -، فيأمره لكلام الحارث المحاسبي؛ لأجل أن يرد على هؤلاء الصوفية، فيقول: هذا إمام ممن تعظمونه، وتذهبون إلى أقواله، وهو يخالفكم الرأي في هذه المسألة. يقول:

قال في كتابه المسمى "فهم القرآن". وهذا الكتاب مطبوع، نعم. فيه بعض الغموض في بعض عباراته؛ لأن الرجل - كما قلت لكم - دخل في شيء من علم الكلام، وفي شيء من علم التصوف، فأثر هذه على عباراته، يقول: قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ، وأن النسخ لا يجوز في الأخبار، نعم. الخبر الخالص لا يجوز نسخه، لماذا؟ لأنه يستلزم الكذب؛ بخلاف الإنشاء، الأمر أو النهي، فإذا قلت لكم: حضر زيد البارحة. هذا خبر ولا إنشاء؟ خبر، ثم قلت لكم اليوم: لم يحضر زيد البارحة. نسخت كلامي السابق، فهذا يعتبر كذب، يعني: كأني كذبت في المرة الماضية، فلا يجوز نسخ الأخبار؛ بخلاف الإنشاء، إذا قلت لأحدكم: تذهب كل يوم إلى السوق، أو إلى المسجد الساعة -مثلا- الرابعة عصرا، ثم بعد مدة قلت له: لا تذهب. قال: ألم تأمرني سابقا أذهب في هذا الوقت؟ فقلت له: نسخت أمري السابق. هذا يجوز فيه النسخ، ولا يترتب عليه الكذب.

إذا.. الأخبار الخالصة لا يجوز أن يدخلها النسخ؛ ولو دخلها النسخ لكان هذا كذبا، والله ﷻ منزه عن ذلك. سيأتي مناسبة ذكر هذا الكلام، أن نصوص العلو لم تنسخ، يقول الحارث المحاسبي: النصوص المثبتة لصفة العلو هي من باب الإخبار، أو من باب الإنشاء؟ من باب الإخبار، فهي خبر، لم تنسخ بالنصوص المثبتة للمعية، أو القرب، ونحو ذلك، وسيأتي الكلام -إن شاء الله-.

يقول: قال: لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسماءه وصفاته يجوز أن ينسخ منها شيء، لماذا؟ لماذا لا يجوز نسخ شيء من أسماء الله وصفاته وأفعاله؟ لأنها من باب الخبر، فالكلام ينقسم إلى: خبر، وإنشاء. كذلك التوحيد



ينقسم إلى: خبر، وإنشاء. فالله ﷻ إذا أمرنا بإخلاص العبادة له، فهذا من باب الخبر أو من باب الإنشاء؟ من باب الإنشاء، والإنشاء: أمر، أو نهى، أو إباحة. أما الخبر: فكما يخبر عن نفسه، وكما يخبر عن أسمائه وصفاته، وكما يخبر عن اليوم الآخر، وكما يخبر عن أحوال الأمم السابقة، والرسل السابقين، هذا كله من باب الخبر.

فيقول: إذا مدح الله نفسه بأسمائه وصفاته فلا يجوز أن ينسخ من ذلك شيء. لا يجوز أن يثبت له - سبحانه وتعالى - السمع، ثم يأتي فيما بعد وينسخ هذا الأمر، وينفي عنه صفة السمع، لماذا؟ لأنه من باب الخبر، فلو نسخ ذلك لكان هذا كذبا، والله منزّه عن الكذب. كذلك إذا أخبر أنه يتكلم، فلا يجوز أن يأتي فيما بعد خبر آخر وينسخ هذا الخبر المتقدم؛ بخلاف الأوامر، فنحن نلاحظ أن الله ﷻ أمر ببعض الأمور في أول الإسلام، ثم نسخها في الآخر، واضح؟

يقول: إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب. بمعنى: أن هذا كله من باب الخبر، ولا يدخله النسخ، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم، ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش - جل وعلا عن ذلك - سيوضح هذا الكلام في الأسطر القادمة. نعم.



نفي استئناف علمه تعالى

فإذا عرفت ذلك واستيقنته، وعلمت ما يجوز عليه النسخ، وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون: ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾^(٢) وقال: قد تأول قوم أن الله تعالى عني أن ينجيه ببدنه من النار؛ إذ قد آمن عند الغرق، وقالوا: إنما ذكر الله قوم فرعون يدخلون النار دونه، وقال: ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾^(٣) وقال: ﴿ وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾^(٤) ولم يقل بفرعون، وقال: وهكذا الكذب على الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾^(٥) وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾^(٦) فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله وَعَلَيْهِ عن أن يستأنف علما بشيء؛ لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورة.

نعم. يقول: فإذا عرفت ذلك واستيقنته. بمعنى: عرفت أن النسخ لا يدخل باب الأخبار. عملت ما يجوز عليه النسخ، وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره؛ كقوله عن فرعون.

١ - سورة يونس آية : ٩٠.

٢ - سورة محمد آية : ٣١.

٣ - سورة هود آية : ٩٨.

٤ - سورة غافر آية : ٤٥.

٥ - سورة النازعات آية : ٢٥.

٦ - سورة العنكبوت آية : ٣.



قول الله ﷻ وإخباره عن فرعون هو من باب الإخبار: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ ﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ ^(٢) هذا سيأتي الكلام عليه، بدأ الكلام على الآية الأولى، قال: وقد تأول قوم أن الله تعالى عني أن ينجيه ببدنه من النار؛ إذ قد آمن. هناك آيات ذكرت أن فرعون كفر، وأنه ادعى الربوبية، نعم. كآية -مثلا- التي أوردها المؤلف: ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ ^(٣) فهل يقول قائل: إن هذه الآيات منسوخة بقوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ ﴾ ^(٤) ؟ الجهمية، أو أو غلاة المرجئة، أو حتى المرجئة بعضهم يزعم أن فرعون مؤمن، وقالوا: أن الله ﷻ توعد آل فرعون، ولم يتوعد فرعون، وألف ابن كمال باشا في هذا رسالة مستقلة؛ في إيمان فرعون، المؤلف يقول: لا يمكن أن يحصل النسخ في أخبار الله ﷻ وهذه الآيات التي ذكرها هؤلاء: ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ ^(٥) ﴿ وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ ^(٦) لا يدل على أن فرعون آمن، وأنه نجا من العذاب، أما قوله سبحانه: ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ^(٧) ذكر ابن كثير أن بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، يعني: شككوا في حقيقة وفاة فرعون، فأراد الله ﷻ أن يبين لهم حقيقة هذا الأمر، فأخرج لهم أو أمر البحر أن يقذف بجسد فرعون دون روحه، روحه خلاص، توفي، هلك، أما إيمانه في هذه اللحظة فالله ﷻ أخبره -أخبر في سورة يونس- أنه لا ينفعه هذا الإيمان، إذن.. ليس هناك نسخ في هذا الخبر.

١ - سورة يونس آية : ٩٠.

٢ - سورة محمد آية : ٣١.

٣ - سورة النازعات آية : ٢٥.

٤ - سورة يونس آية : ٩٠.

٥ - سورة هود آية : ٩٨.

٦ - سورة غافر آية : ٤٥.

٧ - سورة يونس آية : ٩٢.



ثم قال: وكذلك قوله تعالى. هذا هو الشاهد، ما يتعلق بصفات الله ﷻ يعني: الشاهد من إيراد المؤلف لكلام الحارث المحاسبي، يقول: وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ ^(١) فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله ﷻ عن أن يستأنف علما بشيء. الكلام الذي سيأتي الآن، سيأتي بعد أسطر ستلاحظون فيه شيء من صعوبة العبارة، وهذه من عبارات المتكلمين، وهذا مما وقع فيه الحارث المحاسبي -عفا الله عنا وعنه-. الآن ظاهر الآية: ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ ^(٢) الحارث يقول: أن ظاهر الآية يدل على أن علم الله ﷻ مستأنف، بمعنى: أنه لم يكن عالما في الوقت الماضي، ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ ﴾ ^(٣) مستقبلا ﴿ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ ^(٤) ؛ ولهذا جاء تكملة العبارة في "فهم القرآن": فظاهر التلاوة على استئناف العلم من الله بجهد المجاهدين، وصدق الصادقين، وكذب الكاذبين، وجل الله أن يستأنف علما بشيء. بمعنى: الحارث يقول: يستحيل، ولا يمكن أن يكون الله عالما بشيء قد جهله سابقا، وقد أخبر في آيات أخرى أنه عالم بكل شيء، عالم بما مضى وما سيأتي، إذن.. لا يمكن أن يكون هناك نسخ، إذن.. ما تأويل هذه الآية؟ ما معنى هذه الآية؟ يقول: لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورة. يقول: الله ﷻ متصف بالعلم السابق، ولا يمكن أن يخلق أو يوجد شيئا إلا وقد سبق به علمه؛ لأن الشيء المجهول، الشيء الذي تجهله أنت -ولله المثل الأعلى- لا يمكن أن تصنعه، أو توجده، الآن هل يمكن للإنسان أن يؤلف كتابا متناسقا المعاني، مترابط الألفاظ وهو لا يجيد الكتابة، ولا يعرف الكتابة؟ هل يمكن؟ إذن.. لا بد أن يسبق ذلك العلم بالشيء المكتوب، ثم يكتبه الإنسان، والله ﷻ أجل وأعلم، فعلمه ليس مستأنف -هنا-، يعني: ليس أنه علم بشيء لم يكن عالما به سبحانه، نعم.

١ - سورة العنكبوت آية : ٣.

٢ - سورة العنكبوت آية : ٣.

٣ - سورة العنكبوت آية : ٣.

٤ - سورة العنكبوت آية : ٣.



بيان معنى قوله تعالى: حتى نعلم المجاهدين

قال: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(١) قال: وإنما قوله: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ﴾ ^(٢) إنما يريد حتى نراه، فيكون معلوما موجودا؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوما من قبل أن يكون، ويعلمه موجودا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوما موجودا؛ وإن لم يكن، وهذا محال.

نعم. يقول: فقول الله ﷻ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ بِسْمِ ﴿ ^(٣) هذا رد على هذا الوهم الفاسد، هذا الوهم الذي يتوهمه أو ربما يتوهمه بعض الناس أن الله لا يعلم بالشيء إلا بعد وجوده، يقول: الله ﷻ يرد عليه بقوله: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ ^(٤) لا يمكن أن يخلق وهو لا يعلم هذا الشيء، إذن.. علمه سبحانه سبق الخلق. طيب، إذن.. ما معنى قوله: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ﴾ ^(٥) المؤلف فسرهما، أو الحارث المحاسبي فسرهما بقوله: إنما يريد حتى نرى. وهذا هو الذي فسرهُ ابن عباس -رضي الله عنه-؛ وذلك أن العلم يتعلق بالشيء المعدوم والشيء الموجود، فأنا -الآن- أعلم أن غدا -ياذن الله- سنجتمع في هذا المسجد، هذا -الآن- موجود في علمي، وإذا اجتمعنا بالغد فهذا علم، نعم. علم بشيء محسوس وهو الشيء الواحد؛ بخلاف الرؤية، الرؤية لا تكون إلا في الشيء الموجود ليس في الشيء المعدوم؛ ولهذا لم يقل الله ﷻ حتى نرى المجاهدين منكم؛ لو قال: حتى نرى المجاهدين؛ لتعلق هذا الأمر فقط بالشيء الموجود المحسوس؛ لكن لما قال: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ

١ - سورة الملك آية : ١٤ .

٢ - سورة محمد آية : ٣١ .

٣ - سورة الملك آية : ١٤ .

٤ - سورة الملك آية : ١٤ .

٥ - سورة محمد آية : ٣١ .



الْمُجَاهِدِينَ ﴿١﴾ دل هذا على أن علم الله كان في الشيء المعلوم قبل أن يوجد، وبالشئ الموجود إذا وجد، نعم. يقول: نعم. إنما يريد حتى نرى، بمعنى: حتى نعلم المجاهدين -أي- حتى نرى فعلا صدق هؤلاء المجاهدين؛ حتى يظهر صدق هؤلاء، يتبين أن هؤلاء هم المجاهدون حقا، وأن أولئك هم المنافقون؛ وإلا فالله ﷻ سبق علمه بذلك؛ ولهذا ابن جرير فسرهما بتفسير آخر، قال: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ ﴿٢﴾ حتى يعلم أوليائي المجاهدين. الرسول ﷺ قبل غزوة أحد، هل ظهر له المنافقون؟ ها. الجواب: لا. لما دعاهم إلى الخروج لغزوة أحد نكص عبد الله بن أبي بثلث الجيش، فظهر أهل النفاق للنبي ﷺ وأصحابه، فابن جرير فسره بهذا التفسير ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ ﴿٣﴾ أي: حتى يعلم أوليائي، ويعلم عباد الله المؤمنين المجاهدين حقا ويعلم المنافقين.

يقول: فيكون معلوما موجودا؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوما من قبل أن يكون ويعلمه موجودا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوما موجودا؛ وإن لم يكن، وهذا محال. يعني: يستحيل أن يعلم الله ﷻ الشيء الواحد في آن واحد معدوم موجود؛ لأنه جمع بين النقيضين، إذن.. علمه الله ﷻ معدوما، ثم لما وجد علمه موجودا، ولا يعني هذا أن الله علم بالشئ بعد أن لم يكن عالما به -سبحانه وتعالى-، نعم. على كل.. هذه من المحارات نرى الإخوان ربما يعني ثقل عليهم فهم مثل هذا الكلام، هذه من الأمور التي أنكرها الإمام أحمد على الحارث المحاسبي، دخوله في مثل هذه المباحث العقلية الصرفة التي الأصل أن المسلم في غنى عنها حقيقة؛ ولو كان المسلم بحاجة لمثل هذا العلم لبين ذلك النبي ﷺ فلما أعرض النبي ﷺ عن هذا العلم، وأعرض عنه الصحابة، دل على أن الدخول في هذا العلم لا فائدة فيه؛ لكن لما ابتلي المسلمون بمن دخل في هذا العلم، وجاءوا إلى الناس بهذه البدع، وهذه المحدثات، اضطر أهل العلم أن يردوا عليهم، نعم.

١ - سورة محمد آية : ٣١.

٢ - سورة محمد آية : ٣١.

٣ - سورة محمد آية : ٣١.



الله تعالى لا يتحدث سمعا أو بصرا محدثا

وذكر كلاما في هذا في الإرادة إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ (١) ليس معناه: أن يحدث له سمعا، ولا تكلف لسمع ما كان من قولهم، وقد ذهب قوم من أهل السنة أن الله استماعا حادثا في ذاته، فذهبوا إلى أن ما يعقل من الخلق أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ (٢) لا يتحدث بصرا محدثا في ذاته؛ وإنما يحدث الشيء فيراه مكونا كما لم ينزل، يعلم قبل كونه.

نعم. هذه العبارات.. عبارات مستحدثة، قضية هل سمع الله ﷻ هل بصر الله ﷻ يستلزم من إثباته حلول الحوادث لله -عز وجل-؟ وهل الله محل الحوادث؟ كل هذا الكلام من بدع أهل الكلام، فنحن نشيت لله السمع، ونشيت لله البصر، ونشيت لله العلم، ونشيت لله الرؤية على الوجه اللائق به -سبحانه وتعالى-، ولا يلزم من ذلك أن يكون الله محلا للحوادث؛ ولهذا.. الإعراض عن مثل هذه العبارات هو الأولى، فهو الآن يحاول أن يقرر أن إثبات السمع، وإثبات البصر، وإثبات الرؤية لله ﷻ لا يلزم منها أن يحدث ذلك شيء في ذات الله -عز وجل-؛ بخلاف المخلوق؛ ولهذا قال: إلى أن قال: ما يعقل من المخلوق أنه يحدث منهم علم استماع لما كان من قوله؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم... إلى آخر هذا الكلام، الشاهد: أن هذه من المسائل التي أنكرها السلف -رحمهم الله-، وقالوا: هذه مسائل لم يتكلم الله ﷻ بها، ولم يتكلم بها النبي ﷺ ولم يتكلم بها الصحابة، فالأولى.. الإعراض عنها، ومن أطلقها على الله ابتداء دخلنا معه في الاستفسار عن مراده؛ ولهذا لا نطيل الكلام

١ - سورة الشعراء آية : ١٥ .

٢ - سورة التوبة آية : ١٠٥ .



.....

في هذه الأسطر، ومن كان عنده إشكال أنا موجود في أي وقت أشرح له نفس العبارة؛ لكن ما بودي أن ندخل في تفصيل هذه العبارات؛ ربما بعض الإخوان يصعب عليهم فهمها، وأيضا يضيع علينا الوقت في أمر أهم من ذلك، نعم. الشاهد من إيراد المؤلف في النقل عن الحارث المحاسبي: هذه الأسطر القادمة، شيخ الإسلام أورد هذا النقل عن الحارث المحاسبي؛ لأجل هذه الأسطر القادمة، نعم.



عدم نسخ صفة العلو

إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ ﴾ ^(١) وقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٢) وقوله: ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٣) وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ ﴾ ^(٤) وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ ^(٥) وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ ^(٦) وقال لعيسى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ^(٧) وقال تعالى: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ ^(٨) وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ۚ ﴾ ^(٩) وذكر الآلهة، أن لو كانوا آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا، إلى طلبه حيث هو

حيث: الله ﷻ يعني: الله ﷻ فوق العرش؛ لو كان هؤلاء آلهة لراموا الوصول إلى العرش، إلى الله ﷻ.

١ - سورة الأنعام آية : ١٨ .

٢ - سورة طه آية : ٥ .

٣ - سورة الملك آية : ١٦ .

٤ - سورة فاطر آية : ١٠ .

٥ - سورة السجدة آية : ٥ .

٦ - سورة المعارج آية : ٤ .

٧ - سورة آل عمران آية : ٥٥ .

٨ - سورة النساء آية : ١٥٨ .

٩ - سورة الأعراف آية : ٢٠٦ .



فقال: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ^(١) وقال
وقال تعالى: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك أبدا. كذلك
قول.

نعم. هذا هو الشاهد من إيراد المؤلف، هذه النصوص التي أثبت بها الحارث المحاسبي صفة العلو لله ﷻ حقيقة، وهذه النصوص مرت معنا سابقا: ﴿ وَهُوَ أَلْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ^(٣) ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٤)
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ^(٥) هذه نصوص صريحة في إثبات صفة العلو لله ﷻ وهذه من الأدلة الدالة على إثبات علو الله ﷻ علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، جميع أنواع العلو ثابتة له - سبحانه وتعالى - بهذه الأدلة، يقول الحارث: فلن ينسخ ذلك أبدا؛ لأنه من باب أيش؟ الخبر، الله أخبر عن نفسه أنه عال عن الخلق، فلا يمكن أن ينسخ. طيب، الآيات التي الآن سيوردها المؤلف هل يمكن أن تنسخ ما سبق؟ لا. نعم.

١ - سورة الإسراء آية : ٤٢ .

٢ - سورة الأعلى آية : ١ .

٣ - سورة الأنعام آية : ١٨ .

٤ - سورة طه آية : ٥ .

٥ - سورة فاطر آية : ١٠ .



إثبات العلو لا يتعارض مع النصوص الدالة على القرب ونحوه

كذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ وَخُنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾^(٤) فليس هذا بناسخ لهذا، ولا هذا ضد لذلك.

نعم. هذه النصوص الأخيرة التي: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾^(٥) وقوله سبحانه: ﴿ وَخُنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(٦) وقوله جل وعز: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾^(٨) الآيات، أو الآية. هذه الآيات الآيات ليست بناسخة لآيات ماذا؟ العلو السالفة الذكر التي -الآن- أوردتها، وليست بضد، يعني: ليس هناك تعارض ولا نسخ، إذن.. ما معنى قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾^(٩)

١ - سورة الزخرف آية : ٨٤.

٢ - سورة ق آية : ١٦.

٣ - سورة الأنعام آية : ٣.

٤ - سورة المجادلة آية : ٧.

٥ - سورة الزخرف آية : ٨٤.

٦ - سورة ق آية : ١٦.

٧ - سورة الأنعام آية : ٣.

٨ - سورة المجادلة آية : ٧.

٩ - سورة الزخرف آية : ٨٤.



؟ أحسنت. وهو المعبود في السماء، المعبود في الأرض؛ لأن معنى: "إلاه": من أله، يأله، فهو مألوه. إلاه على وزن فعال، والعرب تأتي باللفظ الذي على وزن فعال ويكون معناه على وزن مفعول، إلاه -أي- مألوه، معبود، مثال ذلك: "ركاب" الذي يوضع على ظهر الجمل، على وزن فعال، ومعناه: مركوب، فمعنى الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ﴾^(١) أي: المعبود المدعو في السماوات وفي الأرض. قد استدل الحلولية بهذه الآية وأمثالها على أن الله حال في كل مكان، وهذا استدلال باطل؛ أولاً: لأن ظاهر الآية لا يدل على هذا المعنى الفاسد. الأمر الثاني: أنه لو حملناه على هذا المعنى لأبطلنا أيش؟ عشرات؛ بل مئات الأدلة الدالة على علو الله ﷻ على خلقه.

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢) هذا تقدم الكلام عليها مرارا، أن القرب -هنا- قرب الملائكة؛ ولعل الحارث المحاسبي يميل -أيضا- إلى أن القرب في هذه الآية قرب الرب -سبحانه وتعالى-.
وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾^(٣) أيضا كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ﴾^(٤) بمعنى: أن الله هو المعبود في السماوات وفي الأرض، نعم. وأما قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(٥) هذه مسألة المعية، وسيتكلم عليها المؤلف استقلالاً في نهاية الكتاب، فترجى الكلام عليها هنا، نعم.

١ - سورة الزخرف آية : ٨٤.

٢ - سورة ق آية : ١٦.

٣ - سورة الأنعام آية : ٣.

٤ - سورة الزخرف آية : ٨٤.

٥ - سورة المجادلة آية : ٧.



نفي حلول الله تعالى بشيء من خلقه أو اتحاده به

واعلم أن هذه الآيات ليس معناها: أن الله أراد الكون بذاته، فيكون في أسفل الأشياء، أو ينتقل فيها لاستفالتها، ويتبعض فيها على قدرها، ويزول عنها عند فنائها -جل وعز عن ذلك-. وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال، فرعموا أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائنا كما هو في العرش، ولا فرق بين ذلك عندهم، ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه؛ لأن كل من ثبت شيئا في المانع ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه، واحتجوا بهذه الآيات، أن الله -تعالى- في كل شيء بنفسه كائنا، ثم نفوا معنى ما أثبتوه، فقالوا: لا كالأشياء في الشيء.

نعم. يقول: فهذه الآيات ليس معناها كما ذهب إليه الحلولية: أن الله أراد بها أن ذاته في أسفل الأشياء -تعالى الله عن ذلك-، أو أنه ينتقل فيها لاستفالتها، بمعنى: إذا انتقلت من أعلى إلى أسفل فهو ينتقل؛ لأنه حال فيها، أو يتبعض، بمعنى: أن هؤلاء، أو هذه المخلوقات أبعاض، فهو يتبعض بأبعاضها -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، ويتبعض فيها على أقدارها، ويزول عنها عند فنائها، بمعنى: أنها إذا فنيت انتقل منها إلى شيء آخر -جل وعز-، وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال. المراد بهم: حلولية الجهمية، والصوفية كما جاء ذلك في "فصوص ابن عربي"، و"فتوحاته المكية"، وممن ذهب إلى ذلك -أيضا-: ابن سبعين، والحلاج، وغيرهم من أرباب أهل الحلول والاتحاد؛ ولهذا يروى عن بعضهم أنه قال: ما في الجبة إلا أنا، وما في الجبة إلا الله -تعالى الله عن ذلك-. والتفت أحدهم إلى تلاميذه، وقال: لا إله إلا أنا.. فاعبدون. -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-؛ لأنه يزعم أن الله حال في ذاته؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام: ليس هناك ثمة كفر أعظم من هذا الكفر، ولا إلحاد أعظم من هذا الإلحاد؛ لأن هذا الكلام، أو هذا الاعتقاد يلزم عليه.. أنه ليس هناك ثمة شرك على وجه الأرض، فكل ما عبد من دون الله فهو عبادة لله على حد قول هؤلاء، فالذين عبدوا العجل قالوا: ما عبدوا إلا الله، الذين عبدوا الأصنام، الذين عبدوا



عزير، الذين عبدوا المسيح، الذين عبدوا الأشجار، والذين عبدوا الأحجار، وأي شرك أعظم من هذا الشرك؟ وأي كفر أعظم من هذا الكفر؟ يقول: وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله -تعالى- في كل شيء بنفسه كائنا كما هو في العرش. يزعمون أن الله فوق العرش وفي كل مكان، في هذا المسجد، في السوق، في السيارة -كما سيأتي-؛ حتى في الحشوش -تعالى الله عن ذلك-.

يقول: ولا فرق بين ذلك عندهم. يعني: ما فيه فرق، كونه فوق العرش، أو في أسفل الأشياء. ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه، بمعنى: أنهم أرادوا أن يلبسوا على الناس، فقالوا: أن الله في كل شيء؛ لكن ليس كالشيء في الشيء، أيش الكلام ده؟ من كان في الشيء فهو مثل هذا الشيء؛ ولهذا قال: أحالوه بألفاظهم. يعني: أرادوا أن يدفعوا أو يلبسوا على الناس بأقوالهم؛ لكن معنى كلامهم يؤدي إلى هذا الشيء الفاسد؛ لأن كل من يثبت شيئاً في المعنى، ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه؛ لأن المقصود والمراد المعنى ولا اللفظ؟ المعنى الذي يؤدي إليه هذا اللفظ.

يقول: واحتجوا بهذه الآيات -أي- احتجوا على حلول الله ﷻ في خلقه بهذه الآيات السابقة، أن الله تعالى في كل شيء بنفسه -أي- بذاته -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- كائناً، ثم نفوا معنى ما أثبتوا، فقالوا: لا كالشيء في الشيء؛ ولهذا قال في "فهم القرآن": فأحالوا، يعني: هذا أمر محال، لا يمكن، إذا أثبت أن الشيء في الشيء فقد جعلت هذا الشيء كهذا الشيء ولا لا؟ ولهذا قال: لأن ما كان في الأشياء فهو كالشيء، وإن نفوه بألسنتهم. نعم.



بيان معنى قوله: حتى نعلم، وقوله: فسيري الله

أما قوله: ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ ﴾^(١) و ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ ﴾^(٢) و ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾^(٣) فإنما معناه: حتى يكون الموجود فيعلمه موجودا، ويسمعه مسموعا، ويبصره مبصرا، لا على استحداث علم، ولا سمع، ولا بصر.

نعم. وهذا الأولى ترك مثل هذه المسائل، هل الله ﷻ يستحدث بصر، أو لا يستحدث بصر؟ نحن نعتقد كما جاء النص، أن الله يسمع، ويرى، ويعلم ما كان وما يكون، نعم. إذا وجدت الأشياء رآها، وإذا تكلم المتكلم، أو حدثت الأصوات سمعها - سبحانه وتعالى -، كيف يسمعها؟ وكيف يراها؟ وكيف يعلمها؟ ها، ماذا نقول؟ الله أعلم. ثبت ولا نكيف، قضية يحدث أو لا يحدث هذا أمره إلى الله، والله ﷻ منزّه عن مشابهة المخلوقين، إذا كان رؤية المخلوق للشيء، وسماع المخلوق للشيء يحدث له هذا الأمر شيء جديد هذا بالنسبة للمخلوق، أما الله ﷻ فسمع، ورؤيته، وعلمه لا يثق به - سبحانه وتعالى - على الوجه الذي أراد، نعم.

١ - سورة محمد آية : ٣١.

٢ - سورة التوبة آية : ١٠٥.

٣ - سورة الشعراء آية : ١٥.



إثبات أن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾ ^(١) إذا جاء وقت الكون المراد فيه، وأما قوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ ^(٢) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ^(٣) ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ ^(٤) ﴿إِذَا لَابَتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ^(٥) فهذا وغيره مثل قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ^(٦) ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ^(٧) هذا منقطع، يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها، منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عبادته؛ لأنه قال: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ^(٨) يعني: فوق العرش، والعرش فوق السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك، قال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٩) يعني: على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ ^(١٠) يعني: فوقها، عليها.

١ - سورة الإسراء آية : ١٦ .

٢ - سورة طه آية : ٥ .

٣ - سورة الأنعام آية : ١٨ .

٤ - سورة الملك آية : ١٦ .

٥ - سورة الإسراء آية : ٤٢ .

٦ - سورة المعارج آية : ٤ .

٧ - سورة فاطر آية : ١٠ .

٨ - سورة الملك آية : ١٦ .

٩ - سورة التوبة آية : ٢ .

١٠ - سورة طه آية : ٧١ .



نعم. إذاً.. هذه الآيات التي ذكرها الحارث المحاسبي على العرش: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ ﴾^(١) ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢) كلها أدلة صريحة في إثبات أن الله عال بذاته على خلقه؛ ولهذا قال: يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها، منزّه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية. نعم. هو عال عن الخلق؛ لكنه مطلع عليهم، عالم بهم - سبحانه وتعالى -؛ لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده. وهذا تصريح من الحارث المحاسبي - رحمه الله - أن الله بذاته، عال على خلقه؛ خلافاً لحلولية الصوفية، ومن هنا نحاولهم؛ لأنه قال: ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾^(٣) يعني: فوق العرش، ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾^(٤) أي: على السماء، على العرش؛ لأن الله ﷻ أخبر أنه مستو على العرش، والعرش فوق السماء؛ لأنه من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك. هو يبين أن معنى "في" - هنا - لا تدل على أن الله داخل السماوات، كما توهمه بعض أهل البدع - وتكلمنا على هذا سابقاً -، أن قول الله ﷻ ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾^(٥) معناها: أأمنتم من على السماء، واضح؟ أو أأمنتم من في العلو. اللغة العربية لا تقتضي غير هذين المعنيين في هذه الآية.

١ - سورة الأنعام آية : ١٨ .

٢ - سورة الملك آية : ١٦ .

٣ - سورة الملك آية : ١٦ .

٤ - سورة الملك آية : ١٦ .

٥ - سورة الملك آية : ١٦ .



.....

وضرب على ذلك أمثلة، كقوله تعالى: ﴿ فَسَيُحْوَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) يعني: على الأرض، ومنه -أيضا- قوله الله - سبحانه تعالى-: ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٢) أي: يتيهون على الأرض، وكذلك قوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ ^(٣) يعني: فوقها، عليها. نعم.

١ - سورة التوبة آية : ٢٠.

٢ - سورة المائدة آية : ٢٦.

٣ - سورة طه آية : ٧١.



دلالة قوله: "أأمنتُم من في السماء..." على ذلك العلو

وقال: ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(١) ثم فصل فقال: ﴿أَنْ تَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾^(٢) ولم يصل، فلم يكن لذلك معنى؛ إذ فصل بقوله: ﴿مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(٣) ثم استأنف التخويف بالخشف؛ إلا أنه على عرشه فوق السماء.

ولهذا.. يعني: لو كان في السماء والأرض لما كان لتمييز كونه في السماء -هنا- فائدة: ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾^(٤) بمعنى: أن الأرض شيء، والسماء شيء آخر، والله **عَلَمٌ** على السماء؛ ولهذا هو يهدد ويخوف العباد أن يخسف بهم الأرض، نعم.

١ - سورة الملك آية : ١٦ .

٢ - سورة الملك آية : ١٦ .

٣ - سورة الملك آية : ١٦ .

٤ - سورة الملك آية : ١٦ .



دلالة قوله: "...ثم يعرج إليه" على ذلك العلو

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ^(١) وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ^(٢) فبين عروج الأمر، وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه، فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ^(٣) فقال: صعودها إليه، وفصله من قوله: إليه، كقول القائل: اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم؛ وذلك أنه في العلو، أن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله ﷻ وإن كانوا لم يروه، ولم يساوه في الارتفاع في علوه؛ فإنهم صعدوا من الأرض، وعرجوا بالأمر إلى العلو، قال الله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ^(٤) ولم يكن عنده.

نعم. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ^(٥) وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ^(٦) دليل على أن هناك انفصال، الروح، الملائكة، المخلوقات منفصلة عن الله - عز وجل-؛ ولو كانت - كما يزعم هؤلاء- أن الله حال فيها، إذن.. يصعدون لمن؟ الله يصعد لنفسه؟ يعرج لنفسه؟ واضح ولا ما هو واضح؟ فكونه خص هؤلاء بالصعود والعروج إليه دل على أن المخلوقات منفصلة عنه - سبحانه وتعالى-، ليس بحال فيها، إذن.. عندنا شيء يعرج، وشيء يصعد، وشيء يصعد إليه ويعرج إليه، الله ﷻ هو الذي يصعد إليه، ويعرج إليه،

١ - سورة السجدة آية : ٥ .

٢ - سورة المعارج آية : ٤ .

٣ - سورة المعارج آية : ٤ .

٤ - سورة النساء آية : ١٥٨ .

٥ - سورة السجدة آية : ٥ .

٦ - سورة المعارج آية : ٤ .



فلو كان أو لم يكن ثم إلا الله لم يكن هناك صاعد ولا مصعود إليه، واضح ولا ما هو واضح؟ ولهذا يقول: واضح ذلك.. وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه، فقال: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ^(١) ومثل لذلك بقول القائل: اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم، بمعنى: يبين أن هناك انفصال، ومباينة تامة بين الخالق والمخلوق.

يقول: وأما كون هؤلاء، أو هذه الأشياء صعدت إلى الله ﷻ فهذا لا يلزم منه أن يكونوا ساووا الله ﷻ في علوه، أو رأوه - سبحانه وتعالى -؛ لأنه - كما سيأتي، وكما سبق - أن الله احتجب في هذه الدنيا عن الخلق، لا يمكن أن يراه مخلوق في الدنيا. يقول: نعم. قال تعالى: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ^(٢) إذن.. عندنا شيء مرفوع، وشيء مرفوع إليه، الله ﷻ هو الذي رفع عيسى إليه، إذن.. ليس هناك ثم حال ولا محلول فيه - سبحانه وتعالى -.

يقول: ولم يقل عنده. جاءت في بعض الروايات تثبت أن بعض المخلوقات عند الله ﷻ كما جاء في حديث: ﴿ إِنْ اللَّهَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ عَنْهُ أَنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ﴾ وجاء في قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ^(٣) يعني: الملائكة، واستدل أهل العلم بهذه النصوص على إثبات صفة العلو لله - عز وجل -؛ إذ لو لم يكن عال على الخلق لما خص هذه المخلوقات بالعندية، واضح؟ لو كانت المخلوقات كلها سواء عند الله ﷻ على قول الحلولية، فهل يكون لتخصيص هذه المخلوقات وجه؟ الجواب: لا. لكن لا يلزم من كون هذه المخلوقات عند الله ﷻ أن تكون مساوية له - سبحانه وتعالى - في علوه. نعم.

١ - سورة المعارج آية : ٤ .

٢ - سورة النساء آية : ١٥٨ .

٣ - سورة الأعراف آية : ٢٠٦ .



دلالة قوله: "ابن لي صرحا..." على ذلك العلو

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿٣٧﴾ ﴾^(١) ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾^(٢) فيما قال لي أن إلهه فوق السماوات، فبين الله سبحانه أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه؛ حيث قال هو من الظن بموسى أنه كاذب؛ ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته؛ لطلبه في بيته أو بدنه أو حشه.

يعني: موضع قضاء الحاجة -تعالى الله عن ذلك-؛ لأن أصل الحش: البستان. وأطلق على مكان قضاء الحاجة الحش؛ لأنهم سابقا لم يكن عندهم أماكن مخصصة لذلك في البيوت التي تسمى سابقا الكنف، وفي الوقت الحاضر الحمامات، كانوا يقضون الحاجة في البساتين، فأطلق على مكان قضاء الحاجة: حش. ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته؛ لطلبه في بيته أو بدنه أو حشه -فتعالى الله عن ذلك-، ولم يجهد نفسه ببيان الصرح.

نعم. هذه الآية الصريحة في إثبات علو الله ﷻ وأن موسى أخبر فرعون أن ربه فوق السماوات؛ وإلا لما رام فرعون طلوع السماوات، والصعود إلى السماوات ليطلع إلى إله موسى؛ لو أن موسى أخبره أن الله في كل مكان؛ لبحث عنه في هذه الأماكن؛ لكن لما قال: ﴿ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿٣٧﴾ ﴾^(٣) فهم من ذلك أن موسى أخبره أن ربه فوق السماوات، نعم.

١ - سورة غافر آية : ٣٦-٣٧.

٢ - سورة غافر آية : ٣٧.

٣ - سورة غافر آية : ٣٦-٣٧.



نفي دلالة آية المعية على الحلول

قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ^ط ﴾ ^(١) فأخبره بالعلم، ثم أخبر أنه مع كل مناج، ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^ط ﴾ ^(٢) فبدأ بالعلم، وختم بالعلم، فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم؛ ولو اجتمع القوم في أسفل ونظر إليهم في العلو فقال: إني لم أزل أركم، وأعلم مناجاتكم؛ لكان صادقا - والله المثل الأعلى أن يشبه الخلق -، فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة، وقالوا: هذا منكم دعوى. خرجوا عن قولهم: في ظاهر التلاوة؛ لأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم، ومن كان مع الشيء فقد خلا منه جسمه، وهذا خروج من قولهم.

نعم. هذه الآية التي هي آية المعية، أو هي العمدة في مسألة معية الله ﷻ لخلقه، وهذا سيتكلم عنها المؤلف استقلالا؛ لكن لا بأس بالإشارة إليها - هنا - باختصار.

يقول: فإن استدلووا بهذه الآية - آية المجادلة -: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ^ط مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ ^ط مَعَهُمْ ^ط أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ^ج إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^ط ﴾ ^(٣) استدلووا بظاهر هذه الآية على أن

١ - سورة المجادلة آية : ٧.

٢ - سورة الأنفال آية : ٧٥.

٣ - سورة المجادلة آية : ٧.



الله حال في الخلق. المؤلف، أو الحارث المحاسبي رد عليهم، قال: لا. الله معنا بالعلم؛ ولهذا بدأ بالعلم ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾^(١) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) وختم بالعلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) فدل على أن المعية -هنا- معية العلم. وهذا ما أجاب به الإمام أحمد لما سأل عن هذه الآية، قال: اقرأ أول الآية وآخر الآية، ويتضح لك معنى الآية، بدأها بالعلم وختمها بالعلم. وكذلك قبل الإمام أحمد الإمام مالك -رحمه الله- ذكر أن كون هذه الآية بدأت بالعلم وختمت بالعلم فدل على أن المعية -هنا- معية العلم، وسيأتي -إن شاء الله- أدلة عقلية، وإن أشار إليها -هنا- الحارث المحاسبي، أو أدلة حسية تدل على أن المعية -هنا- معية العلم.

يقول: فإن قالوا: هذا منكم دعوى. يعني: لا نقبل منكم تفسير المعية -هنا- بمعية العلم؛ بل لا بد أن نحمل الآية على ظاهرها، ونقول: أن الله معنا حقيقة بذاته. يقول: خرجوا عن قولهم: في ظاهر التلاوة. يعني: هذا فيه نقض -أيضا- لمذهبهم؛ حتى لو سلمنا لكم جدلا أن الله معنا بذاته فهذا لا يدل على مذهبكم، ولا على اعتقادكم، لماذا؟ لأنهم ذهبوا أن الله أيش؟ حال في كل شيء، وكون الشيء مع الشيء هذا يدل على أنه ليس حال فيه، إذن.. هذه الآية -أيضا- ترد عليكم، وتنقض مذهبكم. يقول: لأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم. هم مذهبهم: أن الله حال في الخلق -تعالى الله عن ذلك-، فهذه الآية -أيضا- تنقض مذهبهم؛ لأنه معهم ليس فيهم.

١ - سورة البقرة آية : ١٠٦.

٢ - سورة المجادلة آية : ٧.

٣ - سورة المجادلة آية : ٧.



يقول: ومن كان مع الشيء فقد خلا منه جسمه. كون هذا الجهاز معي هذا يدل على أنه ليس في، واضح؟ فكون الله -ولله المثل الأعلى- مع الخلق، مع الاثنين والثلاثة والأربعة فهذا يدل -لو سلمنا لكم جدلا- على أن الله مع هؤلاء وليس فيهم، فلا يدل على ما ذهبتم إليه، وهذا خروج من قولهم. نعم.



نفي دلالة قوله: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" على الحلول

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(١) ؛ لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد.

نعم. لو قالوا -أيضا- على قول من قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(٢) أن القرب -هنا- قرب الله ﷻ لو قالوا: نريد -أيضا- أن نستدل بهذه الآية، ونحملها على ظاهرها. قال المؤلف، أو قال الحارث المحاسبي: هذه الآية -أيضا- لا تدل على مذهبكم؛ وذلك أن كون الشيء قرب الشيء لا يدل على أنه فيه. نعم.

١ - سورة ق آية : ١٦.

٢ - سورة ق آية : ١٦.



نفي دلالة قوله: "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" على الحلول

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ ^(١) لم يقل: في السماء ثم قطع، كما قال: ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٢) ثم قطع فقال: ﴿ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ ^(٣) فقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ ^(٤) إله أهل السماء وإله أهل الأرض؛ وذلك موجود في اللغة، تقول: فلان أمير في خراسان، وأمير في بلخ، وأمير في سمرقند؛ وإنما هو في موضع واحد، ويخفى عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره؟! فهو إله فيهما إذا كان مدبرا لهما، وهو على عرشه فوق كل شيء -تعالى عن الأمثال-.

—

نعم. كذلك رجع للكلام على آية: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ ^(٥) يرد على هؤلاء الحلولية الذين استدلوا بهذه الآية على أن الله حال في كل شيء، فقال: معناها: إله أهل السماء، وإله أهل الأرض. وهذا محسوس، تقول: فلان أمير هذه البلد، وأمير هذه البلد، وأمير هذه البلد، وهو في مكان واحد، ويخفى عليه ما وراء هذه البلاد، نعم. فكيف بالله **وَكَلَّ** العالي على خلقه، المطلع عليهم، العالم بأحوالهم - سبحانه وتعالى؟! -

١ - سورة الزخرف آية : ٨٤.

٢ - سورة الملك آية : ١٦.

٣ - سورة الملك آية : ١٦.

٤ - سورة الزخرف آية : ٨٤.

٥ - سورة الزخرف آية : ٨٤.



.....

إذاً.. فلا دلالة في هذه الآية على مذهب الحلولية، وبهذا نأخذ أن الحارث المحاسبي -رحمه الله- يقرر ويصرح بإثبات صفة العلو؛ خلافاً لحلولية الصوفية، ومن هنا نحوهم، أو اعتقد مذهبهم؛ لعلنا نقف على نهاية النقل عن الحارث المحاسبي. وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حقيقة.. أخذ علينا الكلام السابق شيئاً من الطول؛ لعل الكلام اللاحق يكون فيه يسر وسهولة في العبارات؛ مما يساعد -إن شاء الله- أن نقطع مرحلة أكثر مما مضى. والله أعلم.



كلام الإمام محمد بن خفيف في الأسماء والصفات

بيان أن الصحابة لم يختلفوا في ذلك

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ كِتَابَهُ الَّذِي سَمَاهُ اعْتِقَادَ التَّوْحِيدِ بِإِثْبَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ: فَاتَّفَقَتْ أَقْوَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَجَلِّيٍّ وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَقَضَائِهِ؛ قَوْلًا وَاحِدًا، وَشَرْعًا ظَاهِرًا.

وَهُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ حِينَ قَالَ: [١] عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي [٢]؛ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَحَدِيثٌ: [٣] لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَّثًا، أَوْ آوَى مُحَدَّثًا [٤].

وَقَالَ: كَانَتْ كَلِمَةُ الصَّحَابَةِ عَلَى اتِّفَاقٍ مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ، وَهُمْ الَّذِينَ أَمَرْنَا بِالْأَخْذِ عَنْهُمْ؛ إِذْ لَمْ يَخْتَلَفُوا - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى - فِي أَحْكَامِ التَّوْحِيدِ، وَأَصُولِ الدِّينِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي الْفُرُوعِ.

وَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ لَنَقَلَ إِلَيْنَا كَمَا نَقُلُ سَائِرَ الْاِخْتِلَافِ؛ فَاسْتَقَرَّتْ صِحَّةُ ذَلِكَ عَنْ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ؛ حَتَّى أَدَّوْا إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ فَاسْتَقَرَّتْ صِحَّةُ ذَلِكَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْمَعْرُوفِينَ؛ حَتَّى نَقَلُوا ذَلِكَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ؛ لِأَنَّ الْاِخْتِلَافَ كَانَ فِي الْأَصْلِ عَنْدهُمْ كُفْرًا. وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.



ينقل شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- عن الإمام أبي عبد الله محمد بن الخطيب الضبي الفارسي؛ المتوفى سنة ثلاثمائة وإحدى وسبعين، وهو من الأئمة الذين ينتسب إليهم الصوفية ويعظمونه؛ فقد عرف بالعبادة، وله مؤلفات كثيرة.

يقول في كتابه الذي سماه (اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات)؛ هذا الكتاب لا يزال مفقودا- يقول: قال: في آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه - أي: في القضاء والقدر - قولاً واحداً، وشرعاً ظاهراً.

وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك؛ أي نقلوا عنه هذه المسائل؛ حتى قال: ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ﷺ وذلك في حديث العرياض بن سارية الصحيح الذي رواه الأئمة الأربعة وأحمد، وابن أبي عاصم، والدارمي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، وغيرهم.

وذكر الحديث؛ الحديث ﷺ عليكم بسنتي ﷺ ثم قال: وحديث ﷺ لعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ﷺ وهذا الحديث في الصحيحين. وقال: فكانت كلمة الصحابة على اتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم.

الشاهد أنه في هذه الأسطر يقرر أن الصحابة -رضي الله عنهم- لم يختلفوا في هذه الأبواب؛ باب الأسماء، وباب الصفات، وباب القضاء والقدر؛ كما اختلفوا في مسائل الأحكام.

وقد أشار الإمام ابن القيم -رحمه الله- في (أعلام الموقعين) إلى ذلك؛ فقال: وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام؛ أي: في المسائل العملية، في المسائل الفرعية. وهذا معروف، ودواوين السنة مليئة بذلك. يقول: وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً. ولكن -بحمد الله- لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال؛ بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم. إلى آخر ما قال.



وذكر في أول (مختصر الصواعق) كلاما نحو من ذلك. فقد ذكر أن الصحابة والتابعين اتفقوا على إقرار آيات الصفات وأخبارها، وإمرارها مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها. ولم ينقل عنهم أنهم تنازعوا في ذلك في موضع واحد؛ مع اختلافهم في كثير من الأحكام.

يقول: وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا؛ بمعنى: هناك نصوص في الأحكام، ونصوص في الأسماء والصفات، وما يتعلق بالقضاء والقدر؛ فيقول: نصوص الأسماء والصفات والقضاء والقدر أعظم بيان؛ لأنهم لم يتنازعوا في ذلك كما تنازعوا في أيش؟! في نصوص الأحكام.

يقول: وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا، وأن العناية ببيانها أهم؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين. وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس. آيات الأحكام ونصوص الأحكام غالبا لا يتكلم فيها إلا أهل العلم.

ثم قال: وأما آيات الصفات فيشترك في فهمها الخاص والعام؛ ولهذا أشكل على بعض الصحابة قوله تعالى: ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ ^(١) وهذا معروف. ولم يشكل عليه وعلى غيره قوله سبحانه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ^(٢) ؛ فدل على أن آيات الصفات، وآيات الأسماء، وآيات القضاء والقدر - كانت مفهومة لدى الجميع. وقد اتفق عليها جميع الصحابة؛ فلم ينقل عن أحد أنه خالف في ذلك بخلاف نصوص الأحكام نعم.

١ - سورة البقرة آية : ١٨٧ .

٢ - سورة البقرة آية : ١٨٦ .



بيان سبب خروج أهل الفرق عن ما كان عليه الصحابة

ثم إني قائل -وبالله أقول-: إنه لما أحدثوا في أحكام التوحيد، وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين؛ فخاض في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار؛ فصار معولهم على أحكامها، وهجس النفوس المستخرجة من سوء الطوية ما وافق على مخالفة السنة، والتعلق منه بآيات لم يسعدهم فيها؛ فتأولوا على أهوائهم، وصححوا بذلك مذاهبهم؛ احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين منهاج المؤولين؛ خوفا من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته، ومنع المستجيبين له؛ حتى حذرهم.

ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه وحديث: ﴿ لا ألفين أحكم متكئا على أريكته ﴾ وحديث ﴿ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ﴾ وأن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.

نعم. ذكر أنه حدث بعد زمن الصحابة -في القرون المفضلة- أن ظهرت هذه الفرق التي نظرت في هذه النصوص بعقولها، ولهذا لم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار؛ بمعنى لم يستندوا في ذلك لنصوص الوحيين، بل صار معولهم على أحكام هواجس النفوس المستخرجة من سوء الطوية.

بمعنى صار عمدتهم -معولهم أي: عمدتهم- فقط على عقولهم، على أقيستهم، على اجتهداتهم؛ فخالفوا السنة، وخالفوا النصوص بذلك؛ ولهذا تأولوا نصوص الوحيين التي لم توافق عقولهم. تأولوا نصوص القرآن، ونصوص السنة، وصححوا بذلك مذاهبهم.



يقول: لما خرجت هذه الطائفة، أو خرج هذا النوع من الناس؛ احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين؛ أي: عن منهج الصحابة، ومنهج التابعين في هذه المسائل التي خاض فيها أولئك بعقولهم -هؤلاء المبتدعة-؛ خوفاً من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته، ومنع المستجيبين له حتى حذرهم.

ثم ذكر خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر. وذلك ما ثبت عند ابن ماجة، والإمام أحمد، واللالكائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: [٥٦] خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفتقأ في وجهه حب الرمان من الغضب؛ فقال: بهذا أمرتم؟! ولهذا خلقتم؟! تضربون القرآن بعضه ببعض؟! بهذا هلك الأمم قبلكم [٥٧] ثم ذكر حديثاً أيضاً: [٥٨] لا ألفين أحكم متكئاً على أريكته؛ يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري. ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه [٥٩].

وهذا الحديث رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والإمام أحمد، وصححه جمع من العلماء. ومعناه أنه سيأتي أناس من هذه الأمة؛ من يرد أحاديث النبي ﷺ ويزعّم أنه لا يقبل إلا بالقرآن، وهذا وقع من هؤلاء؛ فإنهم ردوا أكثر أحاديث النبي ﷺ خاصة في باب الاعتقاد؛ بحجة أنها أيش؟! أنها من باب الآحاد. ولا يقبلون خبر الآحاد في باب الاعتقاد.

ثم ذكر وقال: وحديث [٦٠] ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة [٦١] وهذا ثبت عن ابن عمر وغيره، كما في السنن الأربع أن النبي ﷺ لما ذكر افتراق الأمم: افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتراق النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، قال: [٦٢] وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة. قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي [٦٣] نعم.



النجاة منوطة بمعرفة منهج الصحابة

ثم قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثه. فيتصل ذلك قرنا بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة، والأمانة الحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة.

نعم. يقول: لما ذكر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أن الفرقة الناجية التي ستجو من عذاب الله ﷻ من بين ثلاث وسبعين فرقة؛ أنها هي التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة.

لماذا؟ لأن النجاة منوط بأيش؟! بمنهج هؤلاء، بطريقة هؤلاء، بمذهب هؤلاء. فيلزم الأمة أن يعرفوا مذهب هؤلاء؛ ليلحقوا بهذا الركب؛ ليسلموا من عذاب الله ﷻ. ولا طريق لمعرفة ما كان عليه الصحابة إلا عن طريق من؟ إلا عن طريق التابعين؛ لأنهم هم الذين نقلوا عن الصحابة هذا الأمر.

ممن لا يقبل المذاهب المحدثه؛ فيتصل ذلك قرنا بعد قرن. وهذا مما ميز الله ﷻ هذه الأمة به؛ أن خصها بأيش؟ بالإسلام. وهذا لا يوجد في جميع الأمم سوى هذه الأمة؛ أن شرعها، أن دينها منقول بالإسناد؛ بمعنى أن كل طائفة تسمع هذا الشرع وهذا الدين من الطائفة التي قبلها، وتبلغه لمن بعدها، إلى أن يصل إلى النبي ﷺ. إلى أن دونت السنة، ودونت الآثار، ممن عرفوا بالعدالة والأمانة الحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة. لا شك أن نقلة هذا الدين إلينا هم هؤلاء العدول الأخيار؛ ولهذا وجد ما عرف بعلم (الإسناد)، وبعلم (الجرح والتعديل)، وبعلم (المصطلح) لتمحيص الصحيح من الضعيف، السليم من السقيم.

ولهذا ينقلون لنا أحيانا الاختلاف في كلمة، في اللفظ؛ علما أن المعنى واحد، لكن لدقة النقل، ولشدة عنايتهم بهذا الأمر أنهم ينقلون لنا أحيانا اختلاف الألفاظ التي ليس بينها اختلاف في المعنى؛ فيقولون: رواه فلان عن فلان عن فلان بهذا اللفظ، ورواه فلان عن فلان عن فلان بهذا اللفظ نعم.



أسماء الله وصفاته لا ترد إلى أحكام العقول

إلى أن قال: فأول ما نبتدي به مما أوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر أسماء الله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وصفاته، مما ذكر الله في كتابه، وما بين وَعَلَيْهِ السَّلَامُ من صفاته في سنته، وما وصف به وَعَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه، مما سنذكر قول القائلين بذلك، مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، مما قد أمرنا بالاستسلام له.

نعم. يقول: أول ما سنبتدي بنقله وذكره؛ مما نقل عن أصحاب النبي ﷺ وأهل القرون الأولى صفات الله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ التي لا مجال للعقل فيها، ولا يجوز أن ندخل فيها بالتكييف أو التشبيه، وإنما المعول في ذلك على ورود النص نعم.



قبول ما وصف الله به نفسه كقبول أوائل التوحيد

إلى أن قال: ثم إن الله تعرف إلينا بعد إثبات الوجدانية وإقرار الألوهية؛ ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق بما بدا به من أسمائه وصفاته، وأكد عليه السلام بقوله فقبلوا منه؛ كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قول: لا إله إلا الله.

إلى أن تم أن الله ﷻ جاءنا في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ بإثبات الوجدانية له، والنهي عن الشرك؛ كذلك جاءنا بأسمائه وصفاته؛ ولهذا قبل الصحابة -رضي الله عنهم- من النبي ﷺ هذه الأخبار التي جاءت في الأسماء والصفات، كما قبلوا تلك الأخبار التي جاءت في إثبات الوجدانية، والنهي عن الشرك نعم.



إثبات صفة النفس

إلى أن قال: بإثبات نفسه بالتفصيل من الجمل؛ فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(١) وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٢) ولصحة ذلك واستقراره ناجى المسيح - عليه السلام - فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٣) وأكد - عليه السلام - صحة إثبات ذلك في سنته؛ فقال: يقول الله ﷻ من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ﷻ . وقال ﷺ كتب كتابا بيده على نفسه: إن رحمتي سبقت غضبي ﷻ وقال: ﷻ سبحانه الله رضا نفسه ﷻ وقال في محاجة آدم لموسى: ﷻ أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه ﷻ وقد صح بظاهر قوله: أنه أثبت لنفسه نفسا، وأثبت له الرسول ذلك؛ فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه؛ ويكون ذلك مبنيا على ظاهر قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤) .

نعم. ابتدأ بإثبات صفة النفس لله ﷻ وهذا سبقت الإشارة إلى أن هذا محل خلاف بين أهل العلم؛ منهم من يثبت هذه الصفة على أنها صفة زائدة على الذات، ويستدل بهذه النصوص التي استدل بها

١ - سورة طه آية : ٤١ .

٢ - سورة آل عمران آية : ٢٨ .

٣ - سورة المائدة آية : ١١٦ .

٤ - سورة الشورى آية : ١١ .



المؤلف هنا؛ قول الله ﷻ ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ ^(١) ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ^(٢) و ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ^(٣) .

وحديث يقول الله ﷻ من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ^(٤) والحديث في الصحيحين. وحديث ^(٥) كتب كتابا بيده على نفسه: إن رحمتي سبقت غضبي ^(٦) وهذا أيضا في صحيح مسلم وحديث ^(٧) سبحان الله رضا نفسه ^(٨) وهذا أيضا في صحيح مسلم. وقال في محاجة آدم وموسى: ^(٩) أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه ^(١٠) وهذا في الصحيحين.

فاستدل بهذه النصوص على إثبات صفة النفس لله ﷻ . ومن قال بهذا ابن خزيمة - رحمه الله -، والإمام أبو حنيفة، وغيرهم. لكن شيخ الإسلام ذكر أن رأي الجمهور هو أن النفس هنا المقصود بها الذات؛ ولهذا قال - رحمه الله - في موضع آخر: فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس لما ذكر النصوص التي جاءت بذكر النفس؛ قال - رحمه الله - في موضع آخر: فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس - عند جمهور العلماء - الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته؛ ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات.

ثم ذكر قال: وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ. وعلى كل حال من أثبتها لله على أنها صفة؛ فيثبتها كما ذكرها؛ كما

١ - سورة طه آية: ٤١.

٢ - سورة آل عمران: ٢٨.

٣ - سورة المائدة آية: ١١٦.



.....

ذكر أبو عبد الله بن خفيف؛ يثبتها كسائر الصفات؛ بمعنى يثبت لله نفساً لا تشبه سائر النفوس على حد قول الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) نعم.



إثبات صفة النور

ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه -عليه السلام- بنقل العدل عن العدل، حتى يتصل به عليه السلام. وأن مما قص الله علينا في كتابه، ووصف به نفسه، ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) ثم قال: عقيب ذلك: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾^(٢) وبذلك دعاه ﷺ [١٠٠] أنت نور السماوات والأرض [١٠١].

ثم ذكر حديث أبي موسى [١٠٢] حجاب النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه [١٠٣] وقال: [١٠٤] سبحات وجهه جلاله ونوره [١٠٥]؛ نقله عن الخليل وأبي عبيد. وقال: قال عبد الله بن مسعود: نور السماوات من نور وجهه.

نعم. يقول: ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه -عليه السلام- بنقل العدل عن العدل؛ بمعنى يجب على الأمة إذا ثبت هذا النص نعم أن يقبلوه، ويشبثوا المعنى الذي تضمنه هذا النص؛ بغض النظر عن كون هؤلاء النقلة جماعة، أو واحدا، أو ثلاثة، أو أربعة؛ لأن المعول في ذلك على صحة النقل. فإذا صح النقل وجب قبوله؛ سواء في مسائل الأحكام، أو في مسائل الاعتقاد؛ فالصحابه -رضي الله عنهم- ما كانوا يفرقون بين هذا ولا ذاك؛ بل النبي ﷺ بعث رسله إلى الأمم يبلغونهم دين الله آحادا ولا جماعات؟ آحادا.

أرسل إلى اليمن معاذا وعليا، وأرسل إلى هرقل، وأرسل إلى كسرى، وأرسل إلى ملك مصر؛ أشخاصا أفرادا؛ يبلغونهم دين الله عز وجل؛ فدل على وجوب قبول خبر الآحاد في أمور العقيدة، وفي أمور الأحكام.

١ - سورة النور: ٣٥.

٢ - سورة النور آية: ٣٥.



والله ﷻ قال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (١) فأمر بالتبين إذا كان الناقل فاسقا. فالمفهوم إذا كان الناقل عدلا؛ فيجب قبول خبره من غير تثبت.

ثم ذكر أن مما جاء في كتاب الله، ووردت به السنة إثبات صفة النور، وقلنا: إن النور من أسماء الله ﷻ وهي صفة له ثابتة سبحانه وتعالى، واستدل على ذلك بقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢).

وأیضا استدل بدعاء النبي ﷺ أنت نور السماوات والأرض (٣) وهذا في الصحيحين. وأيضا استدل بحديث أبي موسى المتقدم: (٤) حجاب النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه (٥) وهذا الحديث في صحيح مسلم. وقال: "سبحات وجهه" هذا هو الشاهد؛ جلاله ونوره، نقله عن الخليل؛ أي: الخليل بن أحمد، وأبي عبيد القاسم بن سلام، صاحب "غريب الحديث"، و"غريب القرآن"، و"تأويل مختلف الحديث".

يقول: وقال: عبد الله بن مسعود "نور السماوات من نور وجهه" وذلك في الأثر الذي رواه عنه ابن جرير، وابن منده وغيرهم. أنه قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار؛ إنما نور السماوات من نور وجهه. نعم وقد رد ابن القيم -رحمه الله- من أربعة عشر وجها في كتابه "مختصر الصواعق" على من أول هذا الاسم - وهذه الصفة - الذي هو النور نعم.

١ - سورة الحجرات آية : ٦.

٢ - سورة النور آية : ٣٥.



إثبات صفات الحياة والقيومية والوجه

ثم قال: مما ورد به النص أنه حي، وذكر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١) والحديث: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث قال: ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهها موصوفا بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهها، وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم؛ فقال: في هذا الحديث من أوصاف الله عَلَيْهِ السَّلَام (لا ينام)، موافق لظاهر الكتاب ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢) وأن له وجهها موصوفا بالأنوار، وأن له بصرا. كما أعلمنا في كتابه أنه سميع بصير. ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك.

ثم قال: ثم إن الله تعرف إلى عباده المؤمنين، وأنه قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث في ذلك. ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت، ثم ذكر حديث يلقى في النار، وتقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رجله.. وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى: يضع عليها قدمه قال.

نعم هذه النصوص التي أوردتها لإثبات هذه الصفات: صفة الحياة، وصفة القيومية، وأيضا إثبات صفة الوجه. واستدل على ذلك بحديث أبي موسى الأنفي الذكر حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه قال

١ - سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٢ - سورة البقرة آية : ٢٥٥.



يقول: وفي هذا الحديث -أيضا- إثبات صفة الوجه، وإثبات صفة النور، وإثبات أن الله لا ينام؛ وأن هذا الحديث موافق لظاهر الكتاب في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(١) وأن له وجها موصوفا بالأنوار.

وقد أثبت أهل السنة والجماعة هذه الصفة لله ﷻ على ظاهرها؛ على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى؛ بخلاف المعطلة الذين أولوا الوجه. منهم من أول الوجه الوارد في هذه النصوص بالذات، ومنهم من أولها بالوجود، ومنهم من أولها بالرضا والثواب. وقد رد عليهم ابن القيم، أو أبطل هذه التأويلات من ستة وعشرين وجها في كتابه "مختصر الصواعق".

ثم ذكر أيضا أن له بصرا؛ أي موصوفا بالبصر؛ كما أعلمنا في كتابه أنه سميع بصير. وأيضا ذكر أن له يدين قد بسطهما بالرحمة. وهذا تقدم الكلام عليه في أول الكتاب. يقول: وذكر الأحاديث الدالة على إثبات صفة اليدين لله ﷻ. ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت، وقد تقدم أيضا الذي من شعره:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا أمسى في السماء كبيرا
بالبنا الأعلى الذي سبق الناس وسوى فوق السماء سريرا

وأمية بن أبي الصلت -هذا- أدرك زمن النبي ﷺ ويقال: إنه أراد أن يسلم، لكن لما علم بمقتل عتبة وربيعة أبناء شيبه -وهما أبناء خاله- نكث على عقبه -نسأل الله السلامة-. لكن شعره كان مليئا بتعظيم الله ﷻ وتقديس الله عز وجل؛ ولهذا قال فيه النبي ﷺ ﴿آمن شعره، وكفر قلبه﴾^(٢) وفي الحديث الآخر: ﴿كاد أمية أن يسلم﴾^(٣).



ولهذا كان يسأل بعض الصحابة أن يسمعه شيئاً من شعر أمية بن أبي الصلت. نعم، وذكر حديث [٥٦] يلقي في النار وتقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رجله [٥٧] هذه رواية البخاري. ورواية مسلم [٥٨] يضع عليها قدمه [٥٩] فأهل السنة يشبهون لله القدم على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى استناداً لهذا النص نعم.



إثبات صفة القدمين

ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس أن الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله. وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السدي، وقول وهب بن منبه، وأبي مالك. وبعضهم يقول: موضع قدميه، وبعضهم يقول: واضعا رجله عليه. ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة؛ موافقا لقول النبي ﷺ متداولاً في الأقوال، ومحفوظاً في الصدور، لا ينكره خلف عن سلف.

ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم. نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم؛ إلى أن حدث في آخر الأمة من قتل الله عددهم؛ ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم، ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنازتهم.

فقصده هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه، وعمدوا إلى الأخبار؛ فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس، وكفروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة، وردوا على الأمة الراشدين؛ فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل. ثم ذكر المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحروري.

نعم. ذكر بعد ذلك المؤلف للاستدلال على إثبات صفة القدمين لله ﷻ بالآثار الثابتة عن ابن عباس، ومسلم البطين نفسه، والسدي المتوفى سنة مائة وسبع وعشرين، وهب بن منبه المتوفى سنة مائة وعشرة، وأبي مالك غزوان الغفاري؛ كلهم يدور كلامهم حول كون الكرسي موضع القدمين. ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة.

وقبل أن أنتقل إلى الأسطر التي تليها؛ هذه الآثار هي من باب الإخبار عن الله ﷻ وقال العلماء: هذا مما لا يسوغ الاجتهاد فيه. ولهذا لما ذكر هؤلاء هذه الآثار أن الكرسي موضع القدمين؛ فإنهم بنوا هذا على ما سمعوه، أو ما نقل لهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن هذا لا يسوغ فيه الاجتهاد.



جاء في حديث عن ابن عباس أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي؛ فقال: ^{٥٦} موضع القدمين ^{٥٧} لكن الحديث فيه ضعف، وإنما الصحيح الموقوف على ابن عباس؛ لكن نحن نقول: إن هذا مما لا يسوغ الاجتهاد فيه؛ لأنه من باب الإخبار عن الله ﷻ والإخبار عن الله متوقف على ورود النص.

ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقا لقول النبي ﷺ. هذا الحديث الذي ذكرته لكم أن الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره أحد؛ لأنه لم يرفعه إلا شجاع بن مخلد، وقد خطأه العلماء في روايته هذه. قالوا: الصحيح أنه موقوف على ابن عباس.

يقول: متداولاً في الأقوال، ومحفوظاً في الصدور، لا ينكره خلف عن سلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم. بمعنى أن الأئمة والتابعين نقلوا هذه النصوص عن الصحابة، ولم ينكروا هذه النصوص، ولم يتخرجوا من روايتها، ولم يتخرجوا من معناها. نقلتها الخاصة والعامة؛ بمعنى أن هذه النصوص نقلها العلماء، ونقلها العامة؛ نقلة الحديث.

لا يلزم من ناقل الحديث أن يكون عالماً؛ فليس كل نقلة هذه الأخبار من العلماء؛ ومع ذلك نقلوها دون أدنى تحرج، مدونة في كتبهم؛ إلى أن حدث في آخر هذه الأمة من قلل الله عددهم؛ أي من هؤلاء؛ من أهل البدع. وقد ظهروا -أو بان ظهورهم- بعد انقضاء القرون المفضلة ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم، ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنازتهم.

وهذا جاء في أحاديث مرفوعة عند أبي داود، وابن ماجه، وابن أبي عاصم في "السنة"، والآجري في "الشرعية". وكلها تدور حول القدريّة؛ لكن ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- ذكر أن المرفوع من هذه الأحاديث لا يصح، وإنما الصحيح ما ورد موقوفاً عن الصحابة كابن عمر وغيره. لكن الشيخ ناصر الألباني -رحمه الله- استدرك على ابن أبي العز ذلك، وذكر أن هذه الأحاديث بمجموع طرقها ترتقي إلى درجة الصحة.



يقول: فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه؛ بمعنى: زعموا أن ظاهرها أيش يدل؟ على التشبيه. وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس؛ بمعنى عرضوا هذه النصوص على مقاييس عقولهم؛ فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه؛ متأولين، أو محرفين، أو رادين هذا النص جملة وتفصيلاً. وكفروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة، وردوا على الأئمة الراشدين؛ فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

نعم. ثم ذكر المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحروري. نجدة ابن عامر الحنفي؛ زعيم فرقة النجدات من الخوارج؛ الذي قتل سنة تسعة وستين. كانت هذه الفرقة ضمن فرقة الأزارقة؛ لكن نجدة ظهر على فرقة الأزارقة، وخالفهم في بعض المسائل، وتبعه على ذلك بعض الخوارج؛ فظهرت هذه الفرقة التي تسمى النجدات.

نجدة الحروري جاء يناظر ابن عباس. وأصل هذه المناظرة ثابت في صحيح مسلم؛ فقد قال له -قال لابن عباس-: كيف معرفتك بربك؛ لأن من قبلنا اختلفوا علينا؟ فقال له ابن عباس: إن من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر في التباس، مائلاً عن المنهاج طاعناً في الاعوجاج. أعرفه بما عرف به نفسه؛ أي: أعرف الله ﷻ بما عرف به نفسه من غير روية؛ أي: من غير تردد، وأصفه بما وصف نفسه إلى آخر ما ذكر نعم.



حديث: إن الله خلق آدم على صورته

ثم ذكر حديث الصورة، وذكر أنه صنف فيه كتاباً مفرداً، واختلاف الناس في تأويله. ثم قال:

نعم. حديث الصورة من الأحاديث -أو من النصوص- التي جرى الاختلاف في معناه. وحديث الصورة هو ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﻫـ إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته ﻩـ هذه الرواية التي في الصحيحين.

وهناك رواية أخرى عن ابن عمر رواها عبد الله ابن الإمام أحمد في "السنة" والدارقطني، وابن أبي عاصم، وابن خزيمة، وغيرهم أن النبي ﷺ قال: ﻩـ لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن ﻩـ. ابن خزيمة -رحمه الله- ضعف هذه الرواية؛ ولهذا أول الرواية التي قبلها ﻩـ إن الله خلق آدم على صورته ﻩـ قال: الضمير يعود في ذلك على المضروب؛ خلق آدم على صورة هذا المضروب. وأما الرواية التي فيها التصريح بالرحمن؛ فذهب إلى أن هذه الرواية ضعيفة، لكن الأئمة تعقبوا ابن خزيمة -رحمه الله-.

أولاً: في تضعيف هذه الرواية؛ فأثبتوا أن الرواية ثابتة من طريق صحيح، ثم تعقبوه في تأويل هذا الحديث. ولهذا نقل شيخ الإسلام عن أبي الحسن محمد بن عبد الملك الشافعي أنه قال في كتابه "الفصول في الأصول": "فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول؛ نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن خزيمة تأويل الحديث: ﻩـ خلق آدم على صورته ﻩـ."

ونقل أيضاً عن أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي؛ صاحب كتاب "الترغيب والترهيب" قال: أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك؛ بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب. قال أبو موسى: أشار بذلك إلى أنه قل من إمام إلا وله زلة؛ فإذا ترك ذلك الإمام لأجل زلته ترك كثير من الأئمة؛ وهذا لا ينبغي أن يفعل.



وقال الإمام الذهبي -رحمه الله- عند ترجمته لابن خزيمة: والكلام على كتابه " التوحيد " قال: وقد تأول في ذلك -يعني: ابن خزيمة- وقد تأول في ذلك حديث الصورة؛ فليعذر من تأول بعض الصفات. ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده؛ مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه؛ لقل من يسلم من الأئمة معنا. رحم الله الجميع بمنه وكرمه.

وعلى كل حال؛ فإن الحديث يؤخذ على ظاهره، وكما قال ابن قتيبة -رحمه الله- حول هذا الحديث - قال: والذي عندي -والله أعلم- أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك؛ أي لإثبات صورة اليدين والأصابع والعين.

يقول: وإنما وقع الإلف لتلك؛ لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن. ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حذف. وقال شيخ الإسلام بعد إيراد روايات هذا الحديث؛ حديث الصورة؛ قال: والكلام على ذلك أن يقال: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله؛ فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك.

ثم قال: ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة؛ جعل طائفة الضمير فيه عائدا إلى غير الله تعالى؛ حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهم. ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة. انتهى كلامه.

وقد ذكر الإمام أحمد أن من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، ونقل ذلك عنه الخلال وغيره في نقول كثيرة؛ أنه أنكر على من صرف هذا النص عن ظاهره. وبناء عليه فيحمل النص على ظاهره من



.....
غير تشبيه، ولا تمثيل ولا تكييف؛ كما حملنا قول الله ﷻ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(١) ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾^(٢) ﴿ثُمَّ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣).

كل هذه نصوص تثبت لله صفات حقيقية. فنحن نجرى هذا النص على ظاهره، ونكل كيفية هذا الأمر، وكنه هذا الأمر إلى الله ﷻ. وقد -حقيقة- تكلم شيخ الإسلام على هذا الحديث في أكثر من مائة وثلاثين ورقة من المخطوط في نقل التأسيس؛ بمعنى: لو طبع هذا الجزء لخرج في قرابة ثلاثمائة صفحة. يتكلم على تقرير هذا الحديث، والكلام حول هذا الحديث. فمن أراد الاستزادة؛ فليرجع إلى كلامه فقد أجاد وأفاد -رحمه الله- نعم.

١ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.

٣ - سورة الأعراف آية : ٥٤.



كلام ابن خفيف في أصول السنة

اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق

ثم قال: وسنذكر أصول السنة، وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله. ثم ذكر الخلاف في الإمامة، واحتج عليها. وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق عليه السلام وأنه أفضل الأمة. ثم قال:

طبعاً؛ المسألة مسألة خلافة بين أهل السنة وبين الرافضة؛ فأهل السنة يرون أن الخليفة والإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله هو الصديق قولاً واحداً. لا خلاف بين الصحابة في ذلك، وأنه الأحق بذلك بإشارة النبي صلى الله عليه وآله وتقديمه للصلاة، وغير ذلك. وخالف في ذلك الرافضة؛ فزعموا أن الأحق بالإمامة هو علي عليه السلام نعم.



أفعال العباد مقدرة معلومة

ثم قال: وكان الاختلاف في خلق الأفعال؛ هل هي مقدرة؟ أم لا؟ قال: وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة، وذكر إثبات القدر.

نعم. وهذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أنهم يشبّتون أن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ مقدرة لله ﷻ تحت مشيئته. وخالف في ذلك القدرية النفاة؛ ويمثلهم المعتزلة؛ فزعموا أن العبد يخلق فعل نفسه. والنصوص المثبتة لعموم خلق الله ﷻ وعموم مشيئة الله ﷻ ترد على هذه الطائفة نعم.



أهل الكبائر مؤمنون

ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر، ومسألة الأسماء والأحكام. وقال: قولنا أنهم مؤمنون على الإطلاق، وأمرهم إلى الله تعالى؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

نعم. ثم ذكر مسألة الخلاف في أهل الكبائر؛ المرتكبون للكبائر من هذه الأمة، ومسألة الأسماء والأحكام. أي: الاسم الذي يستحقه هؤلاء الذين ارتكبوا هذه الكبيرة؛ هل هم مسلمون؟ هل هم كفار؟ والأحكام؛ أحكامهم في الدنيا؛ هل هم كفار؟ أم مؤمنون؟ وأحكامهم في الآخرة؛ هل يدخلون الجنة من أول وهلة؟ أم يخلدون في النار؟

نعم. فمذهب أهل السنة والجماعة، أن أهل الكبائر من هذه الأمة مؤمنون بإيمانهم، فساق بمعاصيهم. وأما أمرهم في الآخرة فإلى الله عز وجل؛ إن شاء عفا عنهم من أول وهلة، وأدخلهم الجنة؛ وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم أدخلهم الجنة. الشاهد أنهم لا يخلدون في النار؛ كما يزعم الوعيدية؛ الذين هم الخوارج والمعتزلة. فاتفق الخوارج والمعتزلة على أن مرتكب الكبيرة يخرج عن دائرة الإسلام؛ لكن الخوارج زعموا أنه يدخل في الكفر، والمعتزلة قالوا: لا. يبقى في منزلة بين المنزلتين؛ لا مؤمن ولا كافر؛ هذا في الدنيا. أما في الآخرة فاتفق الجميع -المعتزلة والخوارج- أن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار.

ثم قال. قال: وقولنا: إنهم مؤمنون على الإطلاق؛ بمعنى أنهم يوصفون بمطلق الإيمان، لا الإيمان المطلق. عندنا فرق بين مطلق الإيمان؛ فهذا يسمى مؤمن على وجه العموم، لكن ليس الإيمان الكامل، ليس الإيمان المطلق. الإيمان الكامل -هذا- يوصف به من لم يرتكب كبيرة. أما من ارتكب كبيرة فهو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته؛ ولهذا يوصف بمطلق الإيمان، لا الإيمان المطلق.

يقول: وأمرهم إلى الله تعالى؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم؛ هذا في الآخرة. في الدنيا يوصفون بمطلق الإيمان؛ أنهم مؤمنون لكن إيمانهم ناقص، لا يخرجون عن دائرة الإيمان بارتكاب هذه الكبائر. ما لم يرتكب مكفرا



.....
فهو مؤمن في دائرة الإيمان؛ لكن إيمانه ناقص، ليس كإيمان جبريل، أو إيمان النبي ﷺ أو إيمان أبي بكر؛ كما يزعم الجهمية الذين قالوا: الناس في الإيمان سواء؛ ولهذا مرتكب هذه الكبيرة لا تؤثر عليه كبريته؛ ولهذا إيمان أتقى الناس عندهم كإيمان أفسق الناس؛ إذ هم على حد سواء.

لا. هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبريته؛ ولهذا يحب بقدر ما فيه من الإيمان، ويبغض بقدر ما فيه من المعصية. أما في الآخرة فأمرهم إلى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١) داخلون تحت المشيئة. إن شاء الله عفا عنه من أول وهلة، وأدخلهم الجنة؛ برحمته، بشفاعته الشافعين.

وإما أن يعذبهم بقدر ذنوبهم لكن لا يخلدون في النار؛ لأنهم لم يرتكبوا ما يلزم عليه التخليد في النار، لم يرتكبوا مكفرا. لم يخرجوا عن دائرة الإسلام؛ مهما عملوا من المعاصي؛ مهما عملوا من الكبائر. ما دام هذا الرجل أو هذا الشخص لم يرتكب مكفرا يخرج به عن دائرة الإسلام؛ فإنه لا يخلد في النار للوعد الذي أخذه الله ﷻ على نفسه نعم.



أصل الإيمان وبيان زيادته ونقصانه

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد؛ فيكون أصله التصديق والإقرار والأعمال. وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه، وقال:

نعم. وهذه مسألة جرى الخلاف فيها بين أهل السنة ومخالفهم من أهل البدع، وأيضا جرى فيها الخلاف بين أهل السنة أنفسهم؛ فالخلاف في هذه المسألة ذو شقين. الشق الأول: بين أهل السنة ومخالفهم من أهل البدع.

فذهب الجهمية إلى أن الإيمان هو المعرفة؛ فمن عرف الله بقلبه فهو أيش؟ مؤمن؛ وإن عمل ما عمل. ولهذا عندهم فرعون مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه عرف الله ﷻ بقلبه. ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١) أبو طالب عندهم مؤمن. اليهود الذين قال الله ﷻ فيهم ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾^(٢) مؤمنون.

وذهب الكرامية؛ هؤلاء أيضا ممن خالف أهل السنة من أهل البدع؛ إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط؛ فالمنافقون عندهم أيش؟ مؤمنون. وهناك خلاف بين أهل السنة، وبين مرجئة الفقهاء الذين هم الأحناف. فأهل السنة قالوا: الإيمان - كما قال المؤلف: - موهبة يتولد منها أفعال العباد؛ يعني: أصلها بالقلب؛ لكن الإيمان اعتقاد وقول وعمل. هذا هو مذهب جمهور أهل السنة؛ أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

أما مرجئة الفقهاء فذهبوا إلى أن الإيمان أيش؟ قول واعتقاد. الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان؛ ولهذا ذهب أهل السنة خلافا لجميع المرجئة بأصنافهم؛ مرجئة الفقهاء، أو المرجئة الغلاة؛ الذين هم الجهمية. ذهب أهل السنة إلى أن الإيمان يزيد وينقص. يزيد بأيش؟ بالطاعة، وينقص بالمعصية. والنصوص في هذا لا حصر لها؛ ولهذا قال الإمام البخاري: كتبت عن ألف شيخ لم أكتب إلا عن من قال: إن الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص.

١ - سورة الإسراء آية : ١٠٢.

٢ - سورة البقرة آية : ١٤٦.



وقال الإمام أحمد: أدركت سبعين من الأئمة المعتبرين كلهم يقول: الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص. وهنا جاء الخلاف بين أهل السنة والخوارج. أهل السنة والخوارج يتفقون على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ لكن خالف الخوارج أهل السنة، أنهم زعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. الإيمان شيء واحد؛ فإذا ذهب بعضه ذهب كله؛ ولهذا عندهم من وقع في كبيرة ذهب إيمانه كاملاً.

أهل السنة قالوا: لا. الإيمان اعتقاد وقول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتباعد. يكون الإنسان في إيمان وفسق. هذا ما يتعلق بمسألة الإيمان على وجه الإجمال، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



القرآن كلام الله غير مخلوق

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ومن والاه.

قال المصنف -رحمه الله تعالى؛ وقال-: قولنا: إنه يزيد وينقص. قال: ثم كان الاختلاف في القرآن؛ مخلوق أو غير مخلوق؟ فقولنا وقول أئمتنا أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه صفة الله؛ منه بدأ قولاً، وإليه يعود حكماً. ثم ذكر الخلاف في الرؤية، وقال: قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد: إن الله يرى في يوم القيامة، وذكر الحجة.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين؛ نبينا محمد؛ عليه وعلى آله وصحبه، أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال النقل من كلام الإمام أبي عبد الله بن الخطيب -رحمه الله- قال: ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ فقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه صفة منه بدأ قولاً، وإليه يعود حكماً.

مسألة القرآن من المسائل التي جرى الخلاف فيها بين أهل السنة، وبين الجهمية والمعتزلة. فذهبت الجهمية والمعتزلة أن القرآن مخلوق؛ أما أهل السنة فذهبوا إلى ما ذكره المؤلف؛ أنه منزل من الله ﷻ تكلم به حقيقة.

فهو صفة من صفاته سبحانه وتعالى منه بدأ؛ أي: تكلم به ابتداء. لم يخلقه في الهواء؛ كما زعم الجهمية والمعتزلة، ولم يخلقه في اللوح المحفوظ، ولم يتكلم به ابتداء جبريل، ولا محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ بل الله هو الذي تكلم به ابتداء. يعني: بدأ الكلام من الله، وإليه يعود حكماً؛ أي يعود في آخر الزمان؛ حيث يرفع أو يمحي من المصاحف، ويرفع من القلوب؛ كما ثبت ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه.



.....

نعم. وقوله: ثم ذكر الخلاف في الرؤية. وقال: قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد: أن الله يرى في يوم القيامة، وذكر الحجة. وهذه المسألة سبق الكلام عليها في القسم الأول؛ في إثبات رؤية الله ﷻ يوم القيامة عياناً بالأبصار. وهذا ما ثبت بصريح الكتاب، وصحيح السنة، مما أجمع عليه أهل العلم؛ بل ثبت حتى بدلالة العقل؛ خلافاً لما ذهب إليه الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهما من الخوارج والرافضة من إنكار رؤية الله ﷻ يوم القيامة.

أما الأشاعرة فقد أثبتوا رؤية الله يوم القيامة؛ موافقين في ذلك أهل السنة، لكنهم خالفوا أهل السنة؛ لأنهم قالوا: يرى إلى غير جهة. أرادوا التوسط بين المعتزلة وبين أهل السنة. المعتزلة تنفي الرؤية وأهل السنة يشبونها؛ يشبونها أن الله ﷻ يرى من فوق؛ يراه المؤمنون من فوقهم كما جاء صريحاً في السنة. الأشاعرة لا يشبونها صفة العلو، ولهذا بقوا متحيرين؛ كيف يشبونها صفة الرؤية؟! فجاءوا بهذه البدعة التي تستحيل عقلاً، فضلاً عن استحالتها شرعاً؛ أن الله يرى إلى غير جهة.

إذا كيف يرى؟! ليس هناك ثم ما يرى إلا إما أن يرى من الأمام أو الخلف، أو فوق أو تحت أو يمين أو شمال، والنصوص تشهد أن الله ﷻ يرى يوم القيامة من فوق. نعم.



ذكر ابن خفيف للمسائل الاعتقادية التي ورد فيها الخلاف

ثم قال: واعلم -رحمك الله-: أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدثين في كل الأزمنة، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود؛ فنقول ونعتقد أن الله وَعَلَّمَ

...

يعني: ذكر سابقا مسائل الكبار في الاعتقاد كما جاءت مرتبة؛ عند أهل الحديث، عند أهل السنة، ثم قال: وأنا أذكر الآن بعض المسائل المتعلقة أيضا بأمور الاعتقاد مما جرى فيه الاختلاف نعم.



إثبات أن الله في السماء على عرشه

فنقول ونعتقد أن الله وَعَلَى له عرش، وهو على عرشه فوق سبع سماواته بكمال أسمائه وصفاته؛ كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ^(٢) ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه؛ لأنه عالم بما يجري على عباده. إلى أن قال: ونعتقد أن الله خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

—

نعم. ذكر أولا مسألة العلو والاستواء على العرش. وهذا هو مذهب السنة، وتقدم مرارا مخالفا بذلك ما ذهب إليه حلولية الصوفية، وذكر الأدلة على ذلك.

ثم قال: ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه. ذكر شيخ الإسلام أن هذا مذهب طائفة السالمية من الصوفية؛ أرادوا الجمع بين النصوص المثبتة للعلو، والنصوص المثبتة للمعية والقرب؛ فقالوا: إن الله على العرش، والله في كل مكان. وهذا مذهب باطل؛ مذهب فاسد تردده الأدلة.

ثم قال: لأنه عالم بما يجري على عباده، كأنه يشير أن النصوص التي فيها أن الله مع عباده؛ أن هذه المعية هي معية أيش؟ معية العلم. ثم قال: ونعتقد أن الله خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

الجنة والنار مخلوقتان دائمتان

وهذا أيضا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن الجنة والنار مخلوقتان دائمتان أبد الآباد، لا تفنيان، ولا يفنى أهلها؛ خلافا لمذهب الجهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف؛ اللذين زعما أن الجنة والنار تفنيان.

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة السجدة آية : ٥.



ولهذا قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام والمبتدعين كالجهنم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة؛ يعني أبا الهذيل العلاف إلى آخر ما قال رحمه الله نعم.



المعراج كان بالروح والجسد

إلى أن قال: ونعتقد أن النبي ﷺ عرج بنفسه إلى سدره المنتهى. إلى أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين؛ فقال: هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار ﴿١﴾ ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضاً، ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع.

نعم. ذكر هذه المسائل العقدية؛ فمنها قال: نعتقد أن النبي ﷺ عرج بنفسه إلى سدره المنتهى، وهذا هو القول الراجح؛ أن النبي ﷺ عرج بجسده وروحه؛ يقظة لا مناما مرة واحدة. هذا هو الذي قامت عليه الأدلة. أما أصل العروج والإسراء، فهذا ثابت في القرآن ﴿٢﴾ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴿١﴾.

وأما مسألة أن العروج كان بالروح والجسد فهذا هو الذي تعضده الأدلة. ذلك أن العبد في قول الله ﷻ ﴿٣﴾ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴿١﴾ يشمل الروح والجسد. وأيضاً يقظة لا مناما؛ لأن العروج مناما هذا لا جديد فيه، ولا يتأتى أن ينكره المشركون. وإنما تظهر الآية إذا كان العروج بالروح والجسد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة؛ ولهذا كذب المشركون بذلك، وهذا هو القول الذي تعضده الأدلة، وهو الذي ذهب إليه جمهور أهل السنة.

لكن من الناس من ذهب إلى أن الإسراء كان بروحه دون جسده، ومنهم من ذهب إلى أن الإسراء كان مناما لا يقظة، ومنهم من ذهب إلى أن الإسراء كان مرتين: مرة يقظة، ومرة مناما. وكل هذه الأقوال مرجوحة.

الله قبض قبضتين؛ فقال: هؤلاء إلى الجنة، وهؤلاء إلى النار

١ - سورة الإسراء آية : ١ .

٢ - سورة الإسراء آية : ١ .



إلى أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين؛ فقال: هؤلاء إلى الجنة، وهؤلاء إلى النار ﴿١﴾ وهذا قد ورد في حديث مرفوع بالفاظ وطرق متعددة؛ كما عند الإمام أحمد، وابن أبي عاصم، والدولابي في "الكنى"، والعقيلي في "الضعفاء".

وأحاديث القبضتين أحاديث صحيحة بمجموعها؛ فقبض قبضة إلى الجنة؛ ممن كتب الله ﴿٢﴾ وقدر أنهم من أهل الجنة، ويعملون بعمل أهل الجنة. وقبض قبضة إلى النار؛ ممن كتب وقضى وقدر أنهم من أهل النار، ويعملون بعمل أهل النار؛ لكن لا يؤخذ من هذا العمل الاتكال على ما سبق في علم الله.

ولهذا استشكل هذا الصحابة فقال: يا رسول الله، إذن أفلا ندع العمل؟! خلاص ما دام أنه معروف أهل الجنة من أهل النار؛ فقال النبي ﷺ لا. اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴿٣﴾ فأما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة، وتلا قول الله ﴿٤﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْئِسْرَى﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ نَحَلَ وَاسْتَعْنَى﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾.

فالمؤمن مطلوب منه العمل، وليس مطلوب منه النظر إلى ما كتب عليه، وقدر عليه. هذا أمره إلى الله، وهذا فعل الله ﴿٥﴾ وله. أما المؤمن فمطلوب منه أن يعمل؛ أن يوحد الله ﴿٦﴾ أن يمثل أمره، ويجتنب نهيه.

إثبات حوض النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع

ثم قال: ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضاً. وهذا مما تواترت به السنة؛ إثبات حوض النبي ﷺ وجاء في صفاته أحاديث كثيرة؛ منها: أن طوله شهر وعرضه شهر، وأن ماءه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج. من شربه لا يظمأ بعد ذلك أبداً.



وثبت أن لكل نبي حوضاً، وأن أكبر وأوسع هذه الأحواض وأكثرها وارداً حوض نبينا ﷺ . وأنكر الخوارج والمعتزلة؛ أو بعض المعتزلة هذا الحوض؛ متعللين بعلة واهية لا تقوم عليها حجة.

ثم قال: ونعتقد أنه أول شافع، وأول مشفع؛ أي: النبي ﷺ . هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ وذلك لما ثبت في الصحيحين؛ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: لما نهس نهسة من الذراع قال: ﴿أنا سيد ولد آدم ولا فخر﴾ ثم ساق حديث الشفاعة الطويل، وأن الناس يفرعون إليه في الموقف يوم القيامة إذا طال وقوفهم؛ فيأتون آدم، ثم يأتون نوحاً، ثم يأتون موسى، ثم يأتون إبراهيم وموسى وعيسى.

كل واحد يحيلهم إلى الآخر، ويذكر خطيئة له، ويقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. يتبرأ من الشفاعة في هذا الموقف. إلى أن يأتوا النبي ﷺ فيقول: ﴿أنا لها﴾ ثم يذهب؛ فيسجد تحت العرش، ويفتح الله ﷻ عليه من المحامد؛ كما قال: ﴿ما لا أحسنه الآن﴾ فيقال: ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تشفع.

هذه الشفاعة العظمى التي يحمد عليها الناس، وهي التي جاءت في قول الله ﷻ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(١)؛ فقد فسر النبي ﷺ ذلك بالشفاعة العظمى كما في صحيح البخاري. نعم.



إثبات الصراط والميزان

وذكر الصراط والميزان والموت، وأن المقتول قتل بأجله، واستوفي رزقه؛ إلى أن قال: ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة من السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر؛ فيبسط يده فيقول: ﴿هل من سائل...﴾ الحديث. وليلة النصف، وعشية عرفة. وذكر الحديث في ذلك. قال: ونعتقد أن الله كلم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً وأن الخلة غير الفقر لا كما قال أهل البدع.

نعم. ثم ذكر الصراط. الصراط الذي هو الجسر الذي على متن جهنم، وجاءت الإشارة إليه في قول الله ﷻ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(١) وجاء التصريح به في صحيح وصريح السنة. وهو أيضاً مما تواتر عن النبي ﷺ وأنكر ذلك الجهمية، وبعض المعتزلة، والخوارج، وزعموا أن الصراط الوارد في النصوص هو الطريق، وليس هذا المذكور في الأحاديث؛ الجسر الممدود على متن جهنم.

ثم ذكر أيضاً من عقيدة أهل السنة إثبات الميزان؛ وهو ميزان حسي حقيقي لا معنوي ذو كفتين؛ توزن فيه الأعمال على خلاف؛ ما الشيء الذي يوزن؟ ولعل الراجح أن الأعمال توزن، والعامل يوزن، وصحف الإنسان التي كتب فيها أعماله -أيضاً- توزن. وأنه ميزان واحد، وليس بموازين متعددة.

وما جاء من جمع هذه الموازين في قوله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾^(٢) إنما هو باعتبار جمع الموزون. أما الميزان فهو ميزان واحد؛ كما ثبت ذلك صريحاً في السنة. أنكرت الجهمية وبعض المعتزلة الميزان، وأولوا النصوص الواردة في ذلك؛ بناء على القاعدة العامة عندهم؛ عرض نصوص الوحيين على عقولهم، وزعموا أن الميزان لا يحتاج إليه إلا -تعالى الله عن ذلك- إلا البقال ونحو ذلك. قال العلماء: لو لم يكن في إثبات الميزان إلا إظهار عدل الله ﷻ للخلق.

١ - سورة مريم آية : ٧١.

٢ - سورة الأنبياء آية : ٤٧.



حقيقة الموت والقتل

ثم ذكر الموت، وأن المقتول قتل بأجله، واستوفى رزقه؛ خلافا لمذهب المعتزلة الذين زعموا أن المقتول قطع عليه أجله. والصحيح أن المقتول مات بأجله؛ فالقتل سبب. الله ﷻ جعل هذا الرجل يموت بالقتل، وذاك يموت بالمرض، وهذا يموت بالحادث، وذاك يموت من غير سبب؛ يموت على فراشه. ومن مات فقد استوفى رزقه وأجله؛ ولهذا قال الله ﷻ ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ^(١) وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: هـ أن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس إلا وقد استكملت رزقها وأجلها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب هـ.

ويرد على هؤلاء الذين زعموا أن المقتول قطع عليه أجله؛ الذين هم المعتزلة؛ أن الله ﷻ وضع لهذا الإنسان أجلا لا يدري أيهما يموت إليه. واضح؟! وأيضا مما رد عليهم البغدادي في كتاب "أصول الدين" قال: أيضا جعلوا العباد قادرين على إنقاص -أيش؟- أجل وعمر هذا الإنسان، ومن كان قادرا على إنقاص عمر الإنسان؛ فهو قادر أيضا على زيادة عمر هذا الإنسان، وهذا مما يدل على بطلان هذا المذهب.

نزول المولى ﷻ إلى السماء الدنيا

إلى أن قال: ومما نعتقد أن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيبسط يده؛ فيقول: ألا هل من سائل الحديث. وهذا سبق الكلام عليه، وإثبات النزول حقيقة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

وليلة النصف؛ أي يعني: وينزل ليلة النصف من شعبان، وجاء هذا في أحاديث متعددة عن أبي بكر، وعائشة، وغيرهما. منه ما روي عن أبي بكر عن النبي ﷺ أنه قال: هـ ينزل الله ﷻ ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا؛ فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحنة أو شرك بالله ﷻ هـ.



والأحاديث الأخرى نحو من ذلك. فمن العلماء من طعن في أسانيدنا، وتكلم في أسانيدنا وقال: إنه لا يخلو إسناده من مقال. حقيقة هي جاءت بأسانيد، وطرق متعددة، ولا يخلو طريق منها من مقال. لكن الشيخ ناصر -رحمه الله- ذهب إلى أن هذه الأحاديث بمجموع هذه الأسانيد ترتقي؛ أو يرتقي درجة هذا الحديث إلى الصحة أو الحسن.

وعلى فرض صحة هذا الحديث؛ فلا متمسك فيه لأهل البدع الذين يخصصون هذه الليلة بالقيام أو بشيء من العبادة والذكر؛ فلا دليل في ذلك. نعم ينزل كما ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؛ لكن هذا نزول مخصوص ليلة النصف من شعبان.

لكن لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، ولا عن أهل القرون المفضلة، ولا عن الأئمة المعبرين أنهم خصوا هذه الليلة -بأيش؟- بشيء من العبادة، أو بشيء من الذكر. فلا يجوز أن تخص هذه الليلة عن سائر الليالي بشيء من العبادات.

ثم قال: وعشية عرفة؛ أي: وينزل عشية عرفة. وجاء التصريح بلفظ النزول في عشية عرفة عند أبي يعلى في مسنده، وعند ابن منده في التوحيد، وابن خزيمة في صحيحه، وابن بطة في الإبانة وغيرهم. ثم قال: ونعتقد أن الله كلم موسى تكليماً أي: إثبات صفة الكلام لله ﷻ واتخذ إبراهيم خليلاً.

وذكر أن الخلعة غير الفقر؛ لا كما قال أهل البدع، وذلك أن المعتزلة والجهمية زعموا أن الخلعة هي الفقر والحاجة؛ لكن أهل السنة قالوا: لا. ثبت لله ﷻ حقيقة المحبة وحقيقة الخلعة. والخلعة أكمل من المحبة بل هي غاية المحبة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام في تعريف الخلعة: أنها كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه. نعم.



اختصاص نبينا ﷺ بالرؤية

ونعتقد أن الله تعالى خص محمدا ﷺ بالرؤية، واتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا. ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾^(١) ونعتقد المسح على الخفين ثلاثا للمسافر ويوما وليلة للمقيم.

نعم. يقول: ونعتقد أن الله تعالى خص محمدا ﷺ بالرؤية، واتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا؛ بمعنى أن الله ﷻ خص موسى -عليه السلام- بماذا؟ بالكلام مباشرة. وشاركه النبي ﷺ في هذه الخاصية، وقد كلم ربه ليلة الإسراء دون واسطة.

وخص إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالخلعة، وشاركه النبي ﷺ في هذه الخلعة؛ كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ كما ثبت في الصحيحين: ﴿ إِنْ أَلَّفْتُ الْخَيْلَ خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلًا ﴾.

المؤلف ذهب إلى أنه خص محمدا دون سائر الأنبياء بالرؤية؛ بمعنى أن النبي ﷺ رأى ربه من غير حجاب. وهذه المسألة -كما أسلفت- مسألة خلافية فيها ثلاثة أقوال. القول الأول: إنكار رؤية النبي ﷺ لربه، وهذا قول عائشة، وابن مسعود، وأبو هريرة -رضي الله عنهم-. ولهذا ثبت في الصحيحين أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن رسول الله رأى ربه؛ فقد كذب.

وذهب فريق ثان إلى إثبات رؤية النبي ﷺ إلى ربه.

القول الأول إنكار الرؤية الذي هو قول عائشة، وأبو هريرة، وابن مسعود.



القول الثاني إثبات الرؤية؛ أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة المعراج. وممن ذهب إلى هذا القول ابن عباس، وأنس، وعكرمة تلميذ ابن عباس، والحسن البصري، والربيع بن سليمان، وابن خزيمة، والإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه، وأبو إسماعيل الهروي، والزهري، وعروة بن الزبير، ومعمّر وغيرهم، وهو الذي رجحه الإمام النووي. وقد ذكر الإمام النووي أن نفي عائشة -رضي الله عنها- لرؤية النبي ﷺ إنما هو باجتهاد منها؛ فلو كان عندها حديث عن النبي ﷺ لذكرته.

القول الثالث؛ وهو قول القاضي عياض، وأيضاً رجحه القرطبي: التوقف في المسألة؛ يعني: لا يشتون الرؤية، ولا ينفونها؛ لأنه يقول: ليس هناك دليل صريح في المسألة، وليس في العقل ما ينفي ذلك؛ ولهذا التوقف. هناك أدلة متكافئة أو أقوال متكافئة.

ولعل القول الرابع، وهو الذي رجحه الإمام ابن حجر -رحمه الله- ومال إليه شيخ الإسلام؛ وإن لم يصرح به: إثبات الرؤية القلبية دون الرؤية؛ أيش؟ البصرية.

يقول شيخ الإسلام: وبهذا تجتمع الأقوال، وحتى تجتمع الأدلة أن النبي ﷺ رأى ربه بفؤاده، ولم يره بعيني رأسه. يقول: ويدل على ذلك أن المروي عن ابن عباس مرة بإطلاقه؛ رأى ربه، ومرة....

إثبات الرؤية القلبية دون الرؤية أيش؟ البصرية، يقول شيخ الإسلام: وبهذا تجتمع الأقوال، وحتى تجتمع الأدلة أن النبي ﷺ رأى ربه بفؤاده ولم يره بعيني رأسه، يقول: ويدل على ذلك أن المروي عن ابن عباس مرة بإطلاق يقول: رأى ربه، والمرة الأخرى يقول: رآه بفؤاده، فدل على أنه أراد بالرؤية هذه رؤية الفؤاد، يقول: وكذلك المروي عن الإمام أحمد روايتان: رواية يثبت الرؤية يقول: رآه بفؤاده، ومرة ينفي الرؤية، فما ورد من نفي الرؤية فإنه قصد أيش؟ الرؤية البصرية، وما ورد عنه في إثبات الرؤية فأراد إثبات الرؤية القلبية، وهذا هو الذي أيضاً رجحته اللجنة الدائمة برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه-.



قد يقول قائل: ما معنى رآه بفؤاده أو بقلبه؟ يوضح ذلك ابن القيم -رحمه الله-، أو يضبط ذلك ابن القيم في كلمات يقول: "الرؤية القلبية هي انكشاف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبتته إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين". صورة هذا الشيء المعلوم تنطبع في القلب فتكون صورتها في القلب كصورة الشيء المرئي بالعين -ولله المثل الأعلى-.

اختصاص المولى ﷺ بمفاتيح الغيب

ثم قال: "ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا هو". وهذا جاء صريحا في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ ^(١) وجاء أيضا في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ مفاتيح الغيب خمسة ﴾ ^(٢) ثم قرأ هذه الآية.

وكأنه يرد بهذه الجملة على بعض أهل التصوف الذين يزعمون أنهم أيش؟ يعلمون ما في الغيب، ولهذا يزعمون أنهم يخبرون بالشيء الذي لم يقع، ويخبرون عن الأمور التي ستقع مستقبلا، فكأنه يرد عليهم يقول: إن علم الغيب من اختصاص الله ﷻ فمن ادعاه فهو كاذب، وأيضا يمكن يرد بذلك على السحرة وعلى الكهان، وعلى كل من زعم أنه يعلم الغيب.

إثبات المسح على الخفين

ثم قال: "ونعتقد المسح على الخفين ثلاثا للمسافر ويوما وليلة للمقيم". هذه المسألة من المسائل الفقهية، فلماذا أوردها ابن خفيف هنا في مسائل الاعتقاد؟ بل إن الأئمة دائما يوردون مثل هذه المسألة في كتب الاعتقاد، أوردها لماذا؟



.....

أحسنت، للرد على الرافضة الذين ينكرون المسح على الخفين؛ فصارت كأنها من المسائل الفاصلة بين أهل السنة وبين أهل البدعة من الرافضة، نعم.



الصبر على السلطان من قریش ما أقام الصلاة

ونعتقد الصبر على السلطان من قریش ما كان من جور أو عدل ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهد معهم ماض إلى يوم القيامة، والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر مانع.

نعم قال: "ونعتقد الصبر على السلطان من قریش ما كان من جور أو عدل". هذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يصبرون على هذا الإمام وعلى هذا السلطان وعلى هذا الأمير سواء كان عادلاً أو جائراً؛ لما ثبت في صحيح مسلم: «اسمع وأطع وإن جلد ظهرك وإن أخذ مالك» وفي صحيح البخاري: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم» -أي تدعون لهم ويدعون لكم-، وشرار أئمتكم الذين تلعنونهم ويلعنونكم، وتبغضونهم ويبغضونكم «لا حظ هذه العداوة بينهم، فقال الصحابة: «أفلا نناذبهم بالسيف؟» «ألا نخرج عليهم؟» قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة «ف» ؛ وذلك لما يترتب على الخروج على هؤلاء الأئمة من المفاسد العظيمة التي لا يعلم مداها إلا الله -سبحانه وتعالى-.

ثم قال: "ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهد معهم ماض إلى يوم القيامة". نعم، يجب أن يكون الجهد تحت رايته، حتى وإن كانوا ظلمة، حتى وإن ظهر منهم شيء من الفسق، فيجب أن ينضوي المسلم تحت طاعتهم وتحت رايته، إذا كان هناك راية للجهد ينبغي أن ينضوي تحت هذه الراية، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة والرافضة، أما الخوارج والمعتزلة فأوجبوا الخروج على الإمام إذا ظلم وجار، وأما الرافضة فزعموا أن الجمع والأعياد والجهد لا تجب إلا تحت راية الإمام المعصوم عندهم، والإمام المعصوم عندهم انقطع أو انتهى بانتهاك الإمام الثاني عشر؛ ولهذا هم ينتظرون من ذاك الوقت إلى هذا الوقت، ليس لهم إمام معصوم.



ولهذا جاء في هذه العصور المتأخرة بدعا جديدة عندهم "ولاية الفقيه"، وهي أن الفقيه يمكن أن يقوم بالأعمال أو ينوب عن هذا الإمام المختفي في سرداب سامراء، فيمكن أن يصلى خلف هذا الفقيه، وأيضا يجاهد تحت رايته، وهذا قول جديد لهم في مذهبهم.

وجوب صلاة الجماعة

ثم قال: "والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر مانع". أي ذا يرد على من؟ على الرافضة الذين زعموا أن صلاة الجماعة لا تجب إلا خلف الإمام المعصوم، مسألة وجوب صلاة الجماعة مسألة من مسائل الأحكام ومسألة خلافية، ذهب طائفة من أهل العلم إلى القول بوجوبها على الأعيان، وهو الذي نص عليه المؤلف هنا، وإلى هذا القول ذهب عطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وأبو عمرو الأوزاعي، وأبو ثور، والإمام أحمد في ظاهر مذهبه، ونص عليه الشافعي في بعض أقواله، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن حبان، وداود الظاهري، وتبعه على ذلك أيضا ابن حزم، وهو قول الإمام البخاري، ونص عليه التهانوي من الحنفية، وهذا ما رجحه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، بل هناك قول عن شيخ الإسلام أن الجماعة شرط لصحة الصلاة، وإن كان هذا القول مرجوح.

القول الثاني أنها فرض على الكفاية، وهو الراجح من مذهب الشافعي، وقول بعض أصحاب مالك، وهو قول في مذهب الإمام أحمد، وبه قال كثير من الحنفية، ورجح هذا القول الإمام النووي، لكن الذي تعضده الأدلة القول بالوجوب؛ فالنصوص صريحة في وجوب صلاة الجماعة: من ذلك أولا وجوب صلاة الخوف، فإذا كان الله ﷻ لم يعذر المؤمنين بترك صلاة الجماعة والحرب قائمة والعدو أمامهم، فما الظن بالسلم؟ فهذا من الأدلة على وجوب صلاة الجماعة، وأيضا قول النبي ﷺ ﷺ لقد هممت أن آمر بالصلاة. .. والأحاديث والنصوص في هذا كثيرة، من أراد الوقوف عليها فليرجع لكتب الفقه، نعم.



صلاة التراويح سنة

والتراويح سنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمدا فهو كافر، والشهادة والبراءة بدعة، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة، ولا ننزل أحدا جنة ولا نارا حتى يكون الله ينزلهم، والمرء والجدال في الدين بدعة.

نعم، التراويح سنة أيضا، هذا من المسائل الفقهية، لكن العلماء أوردوها هنا للرد على الرافضة الذين زعموا أن التراويح بدعة، وأن الذي أحدثها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا قول باطل؛ فعمر لم يحدث أمرا في الدين، بل إنه أحيا سنة، وذلك أنه ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بأصحابه ثلاث ليل، لما ضاق بهم المسجد وخشي أن تفرض عليهم هذه السنة ترك ذلك شفقة بهم، لما توفي -عليه الصلاة والسلام- وانقطع الوحي واستحال أن يفرض على المسلمين أمر لم يفرض عليهم من قبل، ورأى عمر أن الناس يصلون أوزاعا -يعني جماعات- كل ثلاثة أربعة خلف إمام، رأى أن يجمعهم على إمام واحد، وأن يعود إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في الأصل، فمن قال إن صلاة التراويح بدعة وإنها من عمر فقله باطل.

من ترك الصلاة عمدا فهو كافر

ثم قال: "ونشهد أن من ترك الصلاة عمدا فهو كافر". من تركها جاحدا لوجوبها فهذا كافر بإجماع المسلمين، كافر بإجماع المسلمين، اللهم إلا إن كان حديث العهد بالإسلام أو ممن يعذر بالجهل، أما من تركها تهاونا وكسلا مع الإقرار بوجوبها فذهب طائفة إلى أنه يكفر بذلك، وهذا القول مروي عن علي، وإليه ذهب إبراهيم النخعي وابن المبارك وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وذكر صاحب الإنصاف أنه المذهب -أي مذهب الحنابلة- وعليه جمهور الأصحاب، واختاره أبو بكر الخرقى من الحنابلة، وابن شاقلا وابن حامد، وهو قول سعيد بن جبير وإسحاق بن راهويه والشعبي والأوزاعي وأيوب السختياني، وأيضا إليه ذهب عبد الملك بن حبيب

من



المالكية، وهو أحد الوجهين في مذهب الإمام الشافعي، وحكاها الطحاوي عن الشافعي نفسه، وذكر شيخ الإسلام أن أكثر السلف على هذا، على القول بأيش؟ بكفر تارك الصلاة.

وذهب فريق آخر إلى أن تارك الصلاة تهاونا وكسلا لا يكفر بذلك، وهو مذهب أكثر الفقهاء.

لكن القول الراجح الذي تعضده الأدلة أنه يكفر إذا كان عالما ذاكرا، وليس ثمة هناك عذر وأصر على تركها، وهذا هو الذي رجحه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمة الله عليه-، والشيخ محمد بن عثيمين، وأكثر مشايخنا في العصر الحاضر لصراحة الأدلة: ﴿العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر﴾ بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ﴿ولم يرد في حديث واحد النص على أيش؟ أن: "من تركها جاحدا لوجوبها"، أما الفريق الأول فيستدلون بعموم النصوص التي فيها أن ﴿من قال لا إله إلا الله دخل الجنة﴾ إلى غير ذلك.

الشهادة بالجنة أو بالنار بدعة

ثم قال: "والشهادة والبراءة بدعة، والصلاة على من مات من أهل القبلة...". يعني الشهادة بالنار أو بالجنة أو البراءة -عفوا- أولا الشهادة بالجنة أو النار بدعة إلا من شهد له النص، من جاء فيه النص أن هذا من أهل النار وهذا من أهل الجنة نعم، أما الشهادة بمجرد التحكم فهذا من البدع، كذلك البراءة، يعني البراءة من عائشة -رضي الله عنها-، وهذا رد على الرافضة الذين يتبرعون من أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

الصلاة على من مات من أهل القبلة

ثم قال: "والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة". بمعنى أن كل من مات من أهل القبلة -حتى وإن كان مبتدعا، حتى وإن كان عاصيا- فيصلى عليه، ولا تترك الصلاة عليه بسبب معصية ارتكبها أو بسبب بدعة، -بس- بشرط ألا تكون هذه البدعة مكفرة.



ثم قال: "ولا ننزل أحدا جنة ولا نارا حتى يكون الله ينزلهم". المسألة خلافية -الشهادة بالجنة- فمن أهل العلم من ذهب أنه لا يُشهد ولا يُقطع لأحد بالجنة إلا للأنبياء، وهذا قول الأوزاعي ومحمد بن الحنفية، القول الثاني أنه يُشهد لكل من ثبت بالنص أنه من أهل الجنة ولمن شهد له المؤمنون؛ لحديث لما أثنوا عليه خيرا - أثنوا على الجنازة خيرا- قال النبي ﷺ وجبت وجبت وجبت [أ] ولما أثنوا على الأخرى شرا قال: [ب] وجبت وجبت وجبت [أ] وجبت لهذا الجنة، ووجبت لهذا النار، هذا هو القول الثاني، القول الثالث وهو القول الوسط وهو الذي تشهد له الأدلة أنه لا يُشهد لأحد بجنة إلا من شهد له النص، لمن شهد له النبي ﷺ كالعشرة وعكاشة وبلال ونحوهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

وقوله: "والمراء والجدال في الدين بدعة". نعم، إذا كان هذا الجدال وهذا المراء يقصد منه التعنت والانتصار للباطل نعم والانتصار للنفس فهذا مذموم، وهذا ما ورد عن السلف في ذم الجدال والمراء يحمل على هذا النوع، النقاش الذي يسمى بلغة اليوم "الجدال البيزنطي"، الذي لا ينتهي صاحبه إلى نتيجة، أو يكون الحامل على هذا النقاش الهوى وحب الانتصار للنفس، لكن إذا كان هذا الجدال لأجل إحقاق الحق وإظهار الحق فهذا أمر محمود بل أمر مطلوب شرعا؛ لأنه من باب إنكار المنكر، ومن باب التعاون على البر، ومن باب نشر العلم الشرعي، نعم.



الكف عما شجر بين أصحاب النبي

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله، ونترحم على عائشة ونترضى عنها، والقول في اللفظ والملفوظ وكذلك في الاسم والمسمى بدعة، والقول في أن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة.

نعم، "ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله". هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: الكف عما شجر بين أصحاب النبي ﷺ معلوم أنه حصل بعض الفتن بين أصحاب النبي ﷺ بين علي ومن معه وبين معاوية ومن معه، وبين علي والزبير وعائشة وطلحة، لكن عقيدة أهل السنة ومذهب أهل السنة: الكف عما شجر بينهم، وأن يوكل أمرهم إلى الله ﷻ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾^(١).

ونعتقد أنهم أحد رجلين: مجتهد مصيب له أجران ومجتهد مخطئ له أجر واحد، وأن أولى الطائفتين بالحق هو علي ﷺ ومن معه، لكن لا يعني هذا الوقوع في معاوية أو في عمرو بن العاص أو في عائشة أو في الزبير أو في طلحة كما حصل من الرافضة والخوارج -عليهم من الله ما يستحقون-، فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ قال فيهم وكرر في أكثر من موقف: ﴿إِذَا ذَكَرَ أَحْصَابِي فَأَمْسِكُوا أَلْسِنَكُمْ﴾ وقال: ﴿اللَّهُ اللَّهُ فِي أَحْصَابِي﴾ لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ﴿﴾.

فمن الذي ينصب نفسه حكماً بين طائفة عدلهم الله ﷻ من فوق سبع سماوات، ورضي عنهم من فوق سبع سماوات وتاب عليهم جميعاً؟ من أنت حتى تقول فلان مخطئ وفلان فاعل كذا وفلان...؟ ولهذا صار مذهب أهل السنة والجماعة الكف والإمساك، بل إن الإمام أحمد أنكر على من قرأ في الكتب التي عنيت بهذه الحوادث وهذه الفتن، وهذا هو القول الصحيح؛ لأن أغلب ما كتب فيها كذب، وكثر الدس فيها من الرافضة، فإذا قرأ الإنسان في مثل هذه الأخبار حملة على أن يجد في نفسه على أصحاب النبي ﷺ.



والخير كل الخير أن يسلم الإنسان بلسانه وقلبه تجاه هذا الجيل، هذا الجيل الذي اصطفاهم الله، واختارهم الله من بين سائر الخلق -ليس من بين سائر هذه الأمة- ليكونوا أصحاب أحب الخلق إليه وهو النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ولهذا قال ابن عباس كلمته المشهورة، قال: "إذا ذكر أصحاب النبي ﷺ فأمسكوا؛ فلمقام أحدهم مع رسول الله ﷺ فيه تَغَبُّرٌ فيه قدماءه -موقف واحد- خير من عبادة أحدكم لو عبد الله عمره". ولهذا شرف الصحبة لا يدانيه شرف.

قد يوجد من كان بعد الصحابة أكثر عملاً وأكثر عبادة، عمر بن عبد العزيز أطلق عليه أهل العلم خامس الخلفاء الراشدين لعلمه وعبادته وعدله، لكنهم قالوا: لا يداني معاوية في الفضل؛ لأن معاوية رضي الله عنه يدلي بالصحبة، صحب النبي ﷺ وهذه المنزلة وهذه المرتبة لا يدانيها مرتبة، والنبي ﷺ قال: ﴿خير الناس قرني﴾ ﴿خير الناس -عموماً- قرني، أصحابي، وقال في الفرقة الناجية: ﴿من كان على مثل ما كنت عليه اليوم وأصحابي﴾.

أثنى الله عليهم، أثنى الله عليهم وهو يعلم ما سيقع منهم، هل جهل الله ﷻ أنهم سيقتلون؟ هل جهل الله ﷻ أنه ستقع بينهم فتن؟ ومع ذلك رضي عنهم وتاب عنهم جملة وعدلهم، ونهى النبي ﷺ عن الوقوع فيهم، وأمر بالإمساك إذا ذكروا، فهذا هو منهج أهل السنة والجماعة خلافاً لمن؟ مذهب الرافضة والخوارج.

الترضي عن عائشة

ثم قال: "ونترحم على عائشة ونترضى عليها". خلافاً لمذهب الرافضة والخوارج الذين أجازوا سب أم المؤمنين، التي قال فيها النبي ﷺ كما في صحيح البخاري لما سأله عمرو بن العاص: ﴿من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة﴾ فأتى هؤلاء الأصاغر الأراذل ليقعوا في زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، هذه عقيدة أهل السنة: أن أمهات المؤمنين هن زوجاته في الدنيا وهن زوجاته في الآخرة -رضي الله عنهن وأرضاهن-.



القول في اللفظ والملفوظ بدعة

"والقول في اللفظ والملفوظ". هذه المسألة من المسائل البدعية التي كان المسلمون في غنى عنها، وهي ما تسمى بالبدعة اللفظية، وهي هل لفظنا بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ وأول من تكلم فيها حسين الكرابيسي وتلميذه داود الأصفهاني زمن الإمام أحمد، ولهذا قال الإمام أحمد: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع". ولهذا ذهب أهل العلم إلى الإمساك في هذه المسألة، لا يقول الإنسان: "لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق" لماذا؟ لأن كل لفظة أو كل إطلاق يحتمل حقا وباطلا، هذه من الكلمات المجملة.

فإذا قال الإنسان: "لفظي بالقرآن مخلوق" ربما يقصد أيش؟ الملفوظ المتكلم به الذي هو كلام الله وهذا مذهب الجهمية، واضح؟ وإذا قال: "لفظي بالقرآن غير مخلوق" ربما يقصد فعل العبد الذي هو صوت العبد وحركة العبد وحركة لسانه وحركة شفثيه، وهذه مخلوقة ولا غير مخلوقة؟ مخلوقة، فإذا قال غير مخلوق ربما تبادر إلى الذهن أنه يقول إن أفعال العباد غير مخلوقة، واضح؟ ولهذا نهى العلماء من إطلاق اللفظين، وألف الإمام البخاري -رحمه الله- كتابه "خلق أفعال العباد" في هذه المسألة، لكن من أطلقها فيستفسر ويبين، يقال: إن كنت تقصد الملفوظ الذي هو كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ فهذا غير مخلوق، وإن كنت تقصد حركة القارئ، حركة التالي؛ فأفعال العباد مخلوقة.

القول في الاسم والمسمى بدعة

ثم قال: "وكذلك في الاسم والمسمى". وهذه أيضا من البدع التي شُغِبَ بها أهل البدع على عامة الناس، هل الاسم هو المسمى أو الاسم غير المسمى؟ الجهمية قالوا: "الاسم غير المسمى"، وأرادوا بذلك أن أسماء الله مخلوقة



.....
وأن كلام الله مخلوق؛ لأن كل ما سوى الله فهو مخلوق، والقول الصحيح في هذه المسألة أن الاسم للمسمى كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(١) الاسم للمسمى، لا نقول غير المسمى، ولا نقول هو المسمى، والأولى الإمساك عن هذه المسألة كما قال ابن جرير -رحمه الله-، ذكر أن هذه المسألة ليس فيها أثر، وليس فيها قول عن الأئمة المتقدمين سوى ما نقل عن الإمام أحمد أنه أمر بالإمساك عنها.

القول في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة

ثم قال: "والقول في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة". أيضا هذه المسألة متعلقة بالمسائل السابقة؛ لأن الجهمية قالوا: "الإيمان مخلوق"، وأرادوا بذلك كلام الله ﷻ وأرادوا بذلك الإيمان الذي منه اسم الله ﷻ "المؤمن"، ولهذا لا يقال: "الإيمان مخلوق ولا غير مخلوق"، إن كان المقصود به أسماء الله ﷻ وصفاته فهذا غير مخلوق، وإن كان المقصود به الذي هو فعل العبد كالصلاة، الحج، الزكاة، التي هي من الإيمان، قول لا إله إلا الله، فهذا لا شك أنه مخلوق، نعم.



بيان مسائل عقدية نسبت إلى المتصوفة

واعلم أنني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملا من غير استقصاء؛ إذ قد تقدم القول عن مشايخنا المعروفين من أهل الإبانة والديانة، إلا أنني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله المذهب وأهله من ذلك.

نعم، يعني ذكر في الكلام السابق المسائل المتعلقة بمذهب أهل السنة والجماعة، وقوله واعتقاده الذي يعتقد ويدين الله ﷻ به، ثم رأى أن يذكر بعض المسائل المنسوبة لأهل التصوف؛ لأنه ينتسب هو -رحمه الله- إلى هذه الطائفة، فيرى أن هناك مسائل نسبت إلى المتصوفة وهم براء من ذلك، وسيبين ذلك -وهو العدل- أنه لا ينسب للطائفة قول أحد المخالفين لهذه الطائفة، وهو يتكلم عن أهل التصوف المتقدمين، ولهذا سينكر على الصوفية المتأخرين الذين أحدثوا أمورا بدعية لم يكن عليها المتقدمون من أهل هذه الطائفة، نعم.



بطلان ما نسب إلى الصوفية من القول برؤية الله في الدنيا والآخرة

إلى أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه "التبصير"، كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم؛ وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقدونه ويذهب إليه، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى، فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة، ولم يخص طائفة دون طائفة، فتبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المحصلين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول -بعد أن ادعى على الطائفة- ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم بمحله عند المحصلين، فكيف بابن أخته، وليس إذا أحدث الزائغ في نخلته قولاً نسب إلى الجملة؛ كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه أو لبس فيه حديثاً ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين.

نعم هو الآن ذكر أنه قرأ لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ثلاثمائة وعشرة صاحب التفسير وصاحب التاريخ الإمام المشهور يقول: "قرأت في كتاب سماه التبصير في الدين -وهذا الكتاب طبع عدة طبعات- كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم..". إلى أن قال: "أن يصنف لهم ما يعتقدونه ويذهب إليه فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى، فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة، ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة".

هذا هو ما أنكره أبو عبد الله ابن خفيف على ابن جرير، قال: كيف تنسب هذا القول إلى الصوفية قاطبة علماً بأن هذا القول لم يقل به إلا طائفة منهم؟ وذكر أنه نسب هذا القول إلى ابن أخت عبد الواحد بن زيد، وابن أخت عبد الواحد لا شك أنه مجهول، أما عبد الواحد بن زيد فهو من مشايخ الصوفية، توفي بعد الخمسين ومائة، وهو يقول: "والله أعلم بمحله عند المحصلين" أي المحققين منهم، يعني يقول: الله أعلم بمحله ومكانته

عند



أهل التصوف، فإذا كنت تنسب هذا القول إلى ابن أختك وهو مجهول، وعبد الواحد بن زيد ليس له مكانة في الصوفية أو عند طائفة المتصوفة، فكيف تنسب هذا القول إلى جميع هذه الطائفة؟
ثم ذكر هذه القاعدة: "وليس إذا أحدث الزائع في نحلته قولاً نسب إلى الجملة".

صحيح، العدل مطلوب حتى مع المخالف، ليس إذا قال أحد المعتزلة قولاً قلنا إن هذا قول المعتزلة قاطبة، وإذا قال أحد الشيعة قولاً قلنا هذا قول الشيعة قاطبة لا، نقول: هذا قول فلان من الشيعة، أو هذا قول الطائفة الفلانية من المعتزلة، بخلاف ما لو إذا أجمعوا على أمر كحال مثلاً الخوارج لما أجمعوا على أصول أربعة أو أصول خمسة، كذلك المعتزلة أجمعوا على أصول خمسة فنقول هذا قول المعتزلة، الرفضة أجمعوا على أصول خمسة.

لكن إذا قال إنسان قولاً فلا ينسب إلى كل هذه الطائفة، كما هي الحال عند الفقهاء، وكما هي الحال عند المحدثين من أهل السنة، من خالف في مسائل فهل ينسب هذا لكل أهل السنة؟ لا. يقول: "كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه، أو ليس فيه حديثاً ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين". وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



اختلاف ألفاظ الصوفية وعلومهم

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه، قال المصنف -رحمه الله تعالى-:

واعلم أن ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم خاسئاً وهو حسير، ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد فقال: كثيراً ما يقولون: رأيت الله، وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حيث عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره العيون بتحديد العيان، ولكن رأته القلوب بتحقيق الإيقان. ثم قال: يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسول الله ﷺ فهذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال النقل عن أبي عبد الله بن خفيف -رحمه الله- من أئمة الصوفية المتقدمين يقول: "واعلم أن ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف". معلوم أن تسمية الصوفية بهذا الاسم -على القول الصحيح الذي تشهد له الأدلة- نسبة لبس الصوف؛ وذلك أن شعار هذه الطائفة كان لبس الصوف من باب الزهد وترك التمتع بلبس الناعم من الملابس، قيل نسبة إلى أهل الصفة، وقيل نسبة إلى الصفاء، وقيل نسبة إلى رجل يقال له صوفة من بني إسرائيل عابد، وقيل إلى صوفة الرأس، إلى غير ذلك من الأقوال الضعيفة.



يقول: "واعلم أن ألفاظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم خاسئاً وهو حسير". بمعنى كأنه يقول: إن الصوفية لديهم مصطلحات يختلف معناها الحقيقي عما يظهر منها، لكن يقال: يمكن أن يسلم هذا للمتقدمين ممن كان تصوفهم أميل إلى الاعتدال، وهو عبارة فقط عن الزهد.

أما المتأخرون فلا يسلم لهم ذلك - وإن زعموه-؛ لأن كلامهم وكتبهم تأبى أن يكون لها معنى غير هذه المعاني الباطلة، كما هي الحال مثلاً في "فصوص الحكم" لابن عربي، و"الفتوحات المكية"، وكتب الحلاج وكتب ابن سبعين وكتب السهروردي وكل هؤلاء المتأخرين؛ فإنها تفوح بالإلحاد والضلال، ولا يسلم لهم أن هذه رموز ومصطلحات؛ لأنها أمور لا تحتل إلا هذه المعاني الباطلة.

فكلام ابن خفيف يمكن أن يقال عن المتقدمين، ولهذا استدل بما روي عن جعفر بن محمد -يعني الخواص- وهو من شيوخ الصوفية المتقدمين، المتوفى سنة ثلاثمائة وثمان وأربعين. نعم إذا أطلق مثلاً أنني رأيت الله ثم عبدته شرح معنى هذه الرؤية، ومثل بهذا المثال فيقول: إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد فقال: كثيراً ما يقولون رأيت الله. وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حين عبدته قال: "رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيت؟ فقال: لم تره العيون بتحديد العيان لكن رأته القلوب بتحقيق الإيقان".

وهذا ما ذكره ابن القيم في قضية معاينة القلب، وهي أن تنكشف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبته إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، ولهذا يقول ابن القيم: "وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعمى كما تبصر العيون وكما تعمى قال: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾" (١) فالقلب يرى ويسمع ويعمى ويصم، وعماه وصممه أبلغ من عمى البصر وصممه، ثم ذكر أن مشاهدة القلب لجلال الرب وجماله وكماله وعزه وسلطانه وقيوميته وعلوه فوق عرشه وتكلمه بكتبه، وذكر شيئاً من نعوته وصفاته.



ثم قال: "فصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن آخر". الشاهد أنه يقول: إن الإنسان كلما ازداد علما وكلما ازداد معرفة بالله ﷻ كلما قوي إيمانه، وكلما انفتحت له من أبواب الإيمان وأبواب المشاهدة التي لا تنفتح لغيره، لكن لا يُسَلِّم هذا، هذا التأويل لا يُسَلِّم للمتأخرين الصوفية لماذا؟ لأن المتأخرين أطلقوا عبارات لا تحتل إلا المعنى الباطل، يعني عندما يقول قائلهم إنه يجلس مع الله، ويسامر الله، ويصافح الله، ويعانق الله، ويسمع من الله كفاحا بلا واسطة - كما سيأتي - ، فهل هذا له احتمال آخر؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لكن أيضا أبو عبد الله ابن خفيف يؤكد على هذا المعنى: أن المتأخرين من أهل هذه الطائفة - التي هم الصوفية - أدخلوا في هذا المذهب ما أفسده ونقله إلى الحلول والإلحاد، نعم.

الرد على الصوفية المتأخرين القائلين بإسقاط التكليف عن العبد

وإن مما نعتقده أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع، فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين - إلا ما اضطر على حال يلزمه إحياء النفس وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادة - فذلك كفر بالله، والقائل بذلك قائل بالإلحاد وهم المنسلخون من الديانة.

نعم كل هذه -الآن- الأسطر التي قرأناها الآن، والتي سيذكرها، كلها يرد على المتأخرين من الصوفية، ويبين أن الصوفية الأوائل لا يوافقون هؤلاء المتأخرين، فذكر مثلا أن: "مما نعتقد -يعني كما يقول نحن معاصر الصوفية المتقدمين- أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك بحجة الوداع - كما



بالصحيحين-، فمن زعم أنه يبلغ مع الله درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين " غلاة الصوفية يزعمون أن الإنسان عندهم قد يصل إلى درجة تسقط عنه التكاليف.

يقولون: هذه التكاليف المعني بها عامة الناس، لكن عندهم الإنسان يرتقي في درجات المعرفة والعلم والولاية إلى أن يصل إلى درجة تسقط عنه التكاليف وخلّاص، الصلاة ليس هو مخاطبا بها، المخاطب بها عامة الناس، كذلك الزكاة، كذلك استماع ما حرم الله، والوقوع في الكبائر كالوقوع في الزنا، ويتأولون على ذلك قول الله ﷻ ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١).

الآية تدل ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ﴾^(٢) ما هو اليقين؟ الموت، هم لا، اليقين عندهم الحقيقة، ما هي هذه الحقيقة؟ هي القول بوحدة الوجود، عندما الإنسان خلّاص تنتهي هذه الموجودات أمام ناظره، ويفنى - كما يقولون - عن وجود السوى، أول شيء يفنى عن مراد السوى، ثم شهود السوى، ثم وجود السوى، إذا وصل إلى

١ - سورة الحجر آية : ٩٩.

٢ - سورة الحجر آية : ٩٩.



.....

هذه المرتبة سقطت عنه التكليف، أبو عبد الله ابن خفيف يقول: "من قال بذلك فهو من أهل الإلحاد المنسلخ من الديانة". نعم. فالعبد لا تسقط عنه التكليف البتة حتى يلقي الله تعالى ولهذا لا يمكن أن يبيح الله تعالى لإنسان ما حرم عليه إلا في حالة مستثناة، وقد نص الله عليها في كتابه "إلا المضطر" ﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(١) قد يضطر الإنسان ليشرب كأساً من الخمر ليستنقذ به حياته، إذا لم يكن ثمَّ عنده ما ينقذ به حياته إلا كأس هذا الخمر جاز له أن يشرب بقدر ما تحصل به الحياة، أن يأكل من الميتة بقدر ما تحصل له الحياة، أما ما عدا ذلك فالمحرم محرم إلى أن تقوم الساعة، والمباح مباح إلى أن تقوم الساعة، نعم.



ترك إطلاق العشق على الله

وأن مما نعتقده ترك إطلاق العشق على الله؛ ويُن أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، وقال: أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية.

نعم، من البدع التي موجودة عند أهل التصوف إطلاق العشق على الله ﷻ والعشق لا يجوز إطلاقه على الله لأمرين: الأمر الأول لعدم ورود النص بذلك، الله ﷻ وصف نفسه بأيش؟ بالمحبة وبالخلعة، ولم يصف نفسه بهذه الصفة. الأمر الثاني قال المؤلف: "ولاشتقاقه" قال: لا يجوز لاشتقاقه، لماذا؟ لأن العشق محبة مع أيش؟ مع شهوة، وهذا لا يليق به - سبحانه وتعالى - نعم.



الله لا يحل في المرئيات

وأن مما نعتقده أن الله لا يحل في المرئيات، وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه، مستو على عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيثما تلي وحفظ ودرس.

—
وهذا تصريح منه -رحمه الله- لإثبات صفة العلو لله ﷻ وأنه بائن من الخلق وأن الخلق بائون منه، وأنه لا يحل في شيء من المخلوقات ولا يمتزج بشيء أيضا من هذه المخلوقات، وفي هذا رد على أهل الحلول والاتحاد من غلاة الصوفية، وغيرهم كبعض طوائف الرافضة والجهمية الذين زعموا أن الله ^{تعالى} حال في كل شيء - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- نعم.



الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً واتخذ نبينا محمداً خليلاً وحيبياً

ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ نبينا محمداً ﷺ خليلاً وحيبياً، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة أن الخلة الفقر والحاجة.

نعم، وهذا تقدم، ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً** (١) وأيضاً لا يقال إن الخلة هي الفقر والحاجة كما قالت المعتزلة والجهمية، بل الخلة صفة له - سبحانه وتعالى - على الوجه اللائق به، وهي أعلى درجات المحبة، نعم.



الخلّة والمحبة صفتان لله ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه

إلى أن قال: والخلّة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلّة جائز عليها الكيف، فأما صفات الله تعالى فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط.

—
معنى هاتين الصفتين أن هاتين الصفتين تثبتان لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه وتعالى -، وهما أيضا صفتان ثابتتان للعبد، لكن يوصف العبد منهما بالوجه الذي يليق بالعبد، ويوصف الله ﷻ بهما على الوجه اللائق به سبحانه، من غير أن نكيف هذه الصفة أو نشبهها، نعم.



الله تعالى أباح المكاسب والتجارات والصناعات وحرّم الغش والظلم

ومما نعتقده أنّ الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات وإنما حرم الله الغش والظلم، وأما من قال بتحريم المكاسب فهو ضال مضل مبتدع؛ إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، وإنما حرم الله ورسوله ﷺ الفساد لا الكسب والتجارة، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة.

نعم، وفي هذا رد على أهل التصوف الذين يزعمون أن حقيقة التوكل على الله ترك الاكتساب وترك الاتجار، فذكر أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم من ذلك الغش، لم يحرم مطلق التجارة ولا مطلق طلب الرزق والكسب الحلال؛ ولهذا ألف بعض أهل العلم بعض الرسائل في الرد على هؤلاء الصوفية في هذا الاعتقاد الباطل، فألف الخلال كتابه "الحث على التجارة والصناعة" وهو مطبوع، والعمل والإنكار على من يدعي التوكل وترك العمل، وألف أيضا محمد بن حسن الشيباني -وهو أيضا رسالة مطبوعة- كتاب "الاكتساب في الرزق المستطاب"، نعم.



ترك الاكتساب والاتجار وطلب الرزق بزعم أن هذا ينافي التوكل

وأن مما نعتقده أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة، والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقبلون في الحرام فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع؛ لا أنه مفقود من الأرض.

نعم، وفي هذا رد على بعض أهل التصوف، يعني بعضهم منع الاكتساب والاتجار وطلب الرزق بزعم أن هذا ينافي أيش؟ التوكل، وبعضهم قال -أضاف إلى ذلك علة أخرى- قال: ولأن الأرض تخلو من الكسب الحلال، لا يمكن للإنسان أن يقوم ويتجر ويكتسب ويسلم من الحرام.

فالمؤلف يقول: ومما نعتقده أن الله لا يأمر بأكل الحلال.. الله ﷻ أمرنا في كتابه بأيش؟ ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾^(١) وأمرنا بطلب الرزق، فكيف يأمرنا بأكل الحلال وبطلب الرزق ثم أيش؟ يعدم هذا الشيء، يقول هذا الشيء مفقود على وجه الأرض، هذا فيه أمر بأيش؟ بما لا يستطيعه الإنسان، تكليف ما لا يستطيع، وهذا الله ﷻ منزه عنه، فهذا رد على هؤلاء، ولهذا يقول: "لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة". نعم الأرض فيها الرزق الحلال والتجارة المباحة، لكنه يكثر في مواضع ويقل في مواضع أخرى، وهذا أمر مشاهد معلوم، بعض أنواع التجارات يكثر فيها الغش، يكثر فيها التدليس، يكثر فيها الكذب، وبعض أنواع التجارات يقل فيها هذا الأمر، بعض الأماكن يكثر فيها الغش والكذب والتدليس، وبعض الأماكن يخف فيها، نعم.



عدم جواز اتهام من ظهرت عليه آثار النعمة بأن هذا حصل له من طريق محرم

ومما نعتقدُه أنا إذا رأينا مَنْ ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عن ماله، فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز إلا من داخل الظلمة، ومن لا يزغ عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك: فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه، فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطاً، فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام إلا أنه مشتبه؛ فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق، وأجاز ابن مسعود وسلمان وقالوا: "كل منه وعليه التبعة". والناس طبقات والدين الحنيفية السمحة.

نعم، هنا مسألة أنه لا يجوز أن يتهم من ظهر عليه آثار النعمة أن هذا حصل من طريق محرم، فالمؤلف يقول: لا يجوز اتهامه بل ويجوز أن يؤكل طعامه والمعاملة معه والاتجار معه، وليس علينا الكشف عن ماله، بمعنى ليس من المشروع أنك كل من جئت ستبيع أو تشتري منه أو تأكل من طعامه سألته ما مصدر طعامك؟ ما مصدر رزقك؟ هذا خلاف ما عليه الشرع الحنيف والملة الحنيفية السمحة، الأصل في مكاسب الناس الإباحة، والأصل في مطاعم الناس الإباحة، يقول: إلا من سأل على سبيل الاحتياط، إذا وجد هناك شبهة ومظنة المال الحرام، والمسألة خلافية كما سيذكر ذلك.

يقول "إن سأل من باب الاحتياط فلا مانع كما سأل الصديق". وهذا ثابت في صحيح البخاري أن أبا بكر من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: ﷺ كان لأبي بكر غلام، فكان يجيء بكسبه فلا يأكل منه حتى يسأله، فأتاه ليلة بكسب فأكل منه ولم يسأله، ثم سأله قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أنني خدعته فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه ﷺ فعل أبي بكر ﷺ هذا من باب الورع وليس من باب الوجوب.



ولهذا ذكر الأثرين عن ابن مسعود وسلمان أنهما قالوا: "كل منه وعليه التبعة". طيب من كان ماله مختلط يعني فيه حلال وفيه حرام، فيه ربا وفيه غير ربا نعم، فهل يؤكل طعامه؟ المسألة خلافية، ذهب بعض أهل العلم إلى أنه إن كان أكثر ماله حراما فينبغي اجتنابه، على خلاف بينهم هل هذه الكراهة للتحريم أو للتنزيه، وهذا مروي عن الإمام الشافعي والإمام أحمد، وأما إن كان أكثر ماله حلالا جاز أكل طعامه والتعامل معه، وذهب الزهري ومكحول إلى أنه لا بأس أن يؤكل منه ما لم يعرف أنه حرام بعينه، إذا عرفت أن هذا نعم الذي قدّم لك هو الحرام أو من الكسب الحرام بعينه فلا يجوز، فإن لم يعرف في ماله الحرام بعينه ولكن علم أن فيه شبهة فلا بأس بالأكل منه، وإلى هذا ذهب الإمام أحمد برواية عنه.

وذهب إسحاق بن راهويه والحسن البصري وابن سيرين إلى ما روي عن ابن مسعود وسلمان في الرخصة مطلقا، وهذا ما أفتى به فضيلة شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-؛ وذلك أن النبي ﷺ أكل من مال اليهود، أكل طعامهم وقبّل دعوتهم، وأكثر أموالهم -كما ذكر الله ﷻ عنهم- أكثر أموالهم من الربا، نعم أموالهم هذه مختلطة، لكن كثير فيها من الربا، فالصحيح أن الإنسان يأكل كما قال سلمان وكما قال ابن مسعود: "كل منه وعليه التبعة". لك مغنمه وعليه مغرمه، نعم.



عدم سقوط الخوف والرجاء عن العبد

وأن مما نعتقده أن العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، وكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عن نفسه قال تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(١) وقد أفردت كشف عوار كل من قال بذلك.

نعم، أيضا مما ذهب إليه بعض أهل التصوف: التبعيد إلى الله ﷻ بالمحبة دون الخوف والرجاء، ولهذا قال المؤلف: "إن العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه -أحكام الدار الدنيا يعني إلى الآن ما انتقل إلى الدار الآخرة- فإنه لا يسقط عنه الخوف والرجاء"، وذلك أن أهل التصوف -أو بعض أهل التصوف- جعلوا الخوف والرجاء من مقامات العامة، يقولون: الذي يعبد الله ﷻ بالخوف ويعبده بالرجاء هذا عامة الناس، أما الأولياء عندهم فهم الذين يتعبدون الله ﷻ بالمحبة.

ولهذا قال بعضهم: "لم أعبدك شوقا إلى جنتك ولا خوفا من نارك". والنبى ﷺ عبد الله -وهو أعبد الناس وأعلم الناس- عبد الله شوقا إليه ورغبة في جنته وخوفا من ناره، ولهذا قال العلماء: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، كما أن من عبد الله وحده بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبد الله وحده بالخوف فهو حروري، أما المؤمن فهو الذي يعبد الله ﷻ خوفا ورجاء ومحبة له -سبحانه وتعالى- نعم.



العبودية والتكاليف لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه

ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه، فيبقى. على أحكام القوة والاستطاعة؛ إذ لم يسقط ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية بعلائق الآخرة؛ فهو كافر لا محالة.

—

نعم، وهذا أيضا من الاعتقادات الفاسدة التي وجدت عند غلاة الصوفية: أن الإنسان إذا وصل إلى درجة من العلم واليقين سقطت عنه - كما أسلفت - سقطت عنه التكاليف، وأنه الآن خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية، وقوله: "والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية" الأحدية المقصود بها عند أهل التصوف - هذا من مصطلحاتهم - القول بوحدة الوجود، بمعنى أن هذه الفوارق وهذه القواسم وهذه الاختلافات التي أمام عينيه تنتهي وتصبح شيئا واحدا، يصبح الرب عبدا والعبد ربا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا -، إذا وصل إلى هذه الدرجة خلاص انتهت التكاليف ولم يعد مكلفا.

ولهذا قال الشيخ: هذا كفر لا محالة، وتلاحظون أن بعض الطوائف والفرق التي ظهرت متأخرا كالأحباش أتباع عبد الله الهرري، التي الآن انتشرت في بعض أقطار العالم الإسلامي، أصول هذا المذهب هو مذهب أهل الحلول والاتحاد، إسقاط التكاليف، ولهذا يقل عندهم الشيء المحرم، الأصل عندهم الإباحة، فأصول هذا المذهب مأخوذ من مذهب أهل الحلول والاتحاد، نعم.



كفر من قال بسقوط التكاليف والعبودية عن العبد

فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة أو رأفة فصار معتوها أو مجنوناً أو مبرسماً، وقد اختلط في عقله أو لحقه غشية، ارتفع عنه أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة، فذلك خارج عن الملة مفارق للشرعة.

نعم، يقول: إن هذا القول لا يقول به ولا يعتقدُه إلا كافر معلوم الكفر خارج عن الملة، إلا في حالة إذا كان هذا المتكلم أو هذا المعتقد أنه وصل إلى درجة ارتفع عنه التكليف بأيش؟ بسبب أيش؟ ليس بسبب اليقين الذي يزعمه هؤلاء، إنما بسبب الجنون، مرض كما قال: "إلا من اعتراه علة أو رأفة فصار معتوها أو مجنوناً أو مبرسماً". علة، المبرسم هي العلة -أو علة- نوع من العلل تصيب الرأس يفقد الإنسان معها وعيه، فاختلط عقله أو لحقه ما يغشى عقله، فتكلم بهذا الكلام الذي لا يقوله عاقل.

ولهذا شيخ الإسلام -رحمه الله- التمس لبعضهم أو جعل هناك احتمال، قال: إن كان.. لما نقل عن بعضهم كلام كفر بواح من هؤلاء -غلاة الصوفية- الذين يزعمون بهم الولاية، قال: لا يقول هذا مسلم، ما يقوله إلا كافر معلوم الكفر أو معلوم كفره من الدين بالضرورة، إلا أن يكون هذا الرجل تكلم بهذا الكلام أو قال هذا القول في حالة افتقد عقله، بمعنى وصل إلى درجة مما يسمونه -كما سيأتي- الوجد أو التواجد كيف؟ فقد عقله فأصبح يطرق هذه العبارات التي لا يعقلها، قال: ربما هذا يعامل معاملة من رفع عنه التكليف، نعم.



كفر من قال أنه يعرف مآل ومصير أحد من الناس وبماذا سيختتم له ومنزلته

ومن زعم الإشراف على الخلق حتى يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل من قول الرسول ﷺ فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف ما قال رسول الله ﷺ فقد باء بغضب من الله، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وأنهم على ماذا يموتون ويختتم لهم بغير الوحي من قول الله وقول رسوله ﷺ فقد باء بغضب من الله.

نعم، كل هذه الاعتقادات الباطلة موجودة عند بعض غلاة الصوفية، والقاسم المشترك بينها ادعاء علم الغيب، فبعضهم يزعم أنه وصل إلى درجة من الولاية بحيث إنه يعرف مآل هذا ومصير ذاك وبماذا سيختتم لهذا ومنزلته، ويعلم ما كان الرسول ﷺ يعلمه أو يقوله، وكل هذا لا شك أنه باطل وكفر؛ لأن فيه ادعاء لعلم الغيب، وعلم الغيب من الأمور التي استأثر الله بها ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) والنبى ﷺ يقول كما أخبر الله عنه: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾^(٢) إذا كان النبى ﷺ وهو الذى ينزل عليه الوحي لا يعلم الغيب ولا يعرف مآل الناس ولا ماذا سيختتم لهم إلا بوحي من الله، فكيف بمن دونه من الناس؟ نعم.

١ - سورة النمل آية : ٦٥.

٢ - سورة الأعراف آية : ١٨٨.



الفراصة ليست من ادعاء علم الغيب

والفراصة حق على أصول ذكرناها، ليس ذلك مما سميناه في شيء.

نعم، يعني كأن أبو عبد الله ابن خفيف أجاب على سؤال ربما يرد، طيب الفراصة هل هي من ادعاء علم الغيب؟ قال: لا، الفراصة مستثناة من ذلك، والفراصة اختلف في تعريفها، ما المقصود بها أو ما هي الفراصة؟ عرفها ابن القيم -رحمه الله- قال: "هي خاطر يهجم على القلب ينافي ما يضاده، يشب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة"، وعرفها أيضا بتعريف آخر قال: "هي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له، وأحيانا ينفذ هذا النور إلى العين فيرى ما لا يراه غيره، وهذا موهبة من الله -عز وجل-".

وهذه هي الفراصة الإيمانية التي تحصل بالإيمان وبالتقوى، وقد حصلت لبعض الصحابة كعمر رضي الله عنه فكانت فراسته قلما تخطئ، ينظر بنور الله عز وجل ولعله يستدل لذلك بالحديث الذي في البخاري: عن من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب عن وقال في آخر الحديث: عن وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها عن فهو ينظر بنور الله فيوفق.

يستدل العلماء للفراصة بقول الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ (١) فسرهما مجاهد وغيره أنها: للمتفرسين، ونقل أو نسب ذلك ابن القيم إلى ابن عباس، ويستدل العلماء أيضا بالحديث الحسن: عن اتقوا فراصة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل هذا الحديث رواه الترمذي والطبراني وابن جرير وأبو نعيم في الحلية، وحسنه جمع من أهل العلم كالهيثمي والعجلوني والكناني في تنزيه الشريعة والشوكاني الشاهد أن هذه الفراصة ليست من ادعاء علم الغيب، إنما هي نور يقذفه الله عز وجل في قلوب بعض عباده، فرما انكشف لهم شيء مما غاب عن غيرهم.



.....

أحيانا هذه الفراسة - كما ذكر ابن القيم هناك نوع آخر - مكتسبة، تحصل بالانقطاع عن الناس، الجوع، الرياضة - الرياضة النفسية - نعم، فقد يكون عنده شيء من الحدة وشيء من الذكاء بحيث أنه يعرف أو يدرك أمورا لا يدركها غيره، وهناك أيضا نوع من الفراسة يقال لها الفراسة الخلقية، وهي الاستدلال بالخلق على الخلق، وهذا يوجد عند بعض من تمرس في علم النفس وعلم الطبائع، قد يستدل بخلق هذا الشخص على شيء من أخلاقه، على شيء من طباعه، فمثلا يستدل بهذا الخلق على أن هذا مرح أو هذا سريع الغضب أو هذا.. الشاهد أن الفراسة ليست من ادعاء علم الغيب، نعم.



كفر من قال أن صفاته قائمة بصفات الله ﷻ

ومن زعم أن صفاته قائمة بصفاته ويشير في ذلك إلى غير الأيد والعصمة والتوفيق والهداية وأشار إلى صفاته ﷻ القديمة فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة.

نعم، ومن زعم أن صفاته قائمة بصفاته، أن صفات الله ﷻ قائمة بصفات هذا المخلوق، ويشير ذلك إلى غير الأيد -أي القوة- أو العصمة أو التوفيق والهداية التي هي من الله ﷻ العصمة كون الله ﷻ يعصم هذا الشخص أو يوفق هذا الشخص أو يهدي هذا الشخص ليس معناه أن هناك شيء من الإله حل في هذا المخلوق لا، لكن من زعم أن شيئاً من صفات الله ﷻ سمع الله، بصر الله، قوة الله نعم حلت فيه، يقول المؤلف: فهو حلولي من أهل الحلول القائلين إن الرب ^{تعالى} حال في المخلوق، "قائل باللاهوتية" اللاهوتية نسبة إلى اللاهوت، ومراد المؤلف أن من زعم أن صفات الله قائمة بصفاته فهو قائل بمذهب فرقة النسطورية -كما سيأتي-، النسطورية يزعمون أن اللاهوت الذي هو الجزء الإلهي حل في الناسوت الذي هو الجزء البشري الذي يمثله عيسى -عليه السلام- نعم.



الأرواح كلها مخلوقة

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة، ومن قال إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم.

نعم، و"أن الأرواح كلها مخلوقة" بمعنى أنها ليست قديمة، وفي هذا رد على بعض الرافضة وزنادقة الصوفية والفلاسفة الذين زعموا أن هذه الروح قديمة وليست مخلوقة، يقول: "فقد ضاهى قول النسطورية في المسيح وذلك كفر بالله العظيم". وذلك أن النسطورية وهي فرقة من النصارى تُنسب إلى نسطور الحكيم، وهو أول من حرف الأناجيل، زعم أن الكلمة -التي هي الروح- قديمة وليست محدثة، يعني ليست مخلوقة، فهي قديمة بقديم الله ﷻ نعم، يزعم أن هذه الروح لا زالت متولدة من الله ﷻ لكن اتحادها بجسد المسيح تأخر، واضح؟ تأخر إلى ولادة المسيح، أما أصل الكلمة التي هي الروح -روح المسيح عليه السلام- فهي قديمة بقديم الله ﷻ نعم.



كفر من قال إن شيئاً من صفات الله ^{عز وجل} حال في العبد

ومن قال إن شيئاً من صفات الله ^{عز وجل} حال في العبد وقال بالتبعيض على الله فقد كفر.

نعم، من زعم أن شيئاً من صفات الله -أي بعض صفات الله عز وجل- حال في شيء من المخلوقات فقد كفر، نعم.



القرآن كلام الله غير مخلوق

والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق، وأنه كيفما تلي وقرئ وحفظ فهو صفة الله عز وجل وليس الدرس من المدروس ولا التلاوة من المتلو؛ لأنه عز وجل بجميع أسمائه وصفاته غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر.

وهذا تقدم الكلام أن القرآن كلام الله غير مخلوق حيثما تلي أو حفظ أو درس نعم أو كتب فهو كلام الله، وكلام الله ليس هو هذا الصوت، وليس هو هذا المداد الذي كتب به الكلام، كلام الله الذي تكلم به حقيقة، ونزل به جبريل على النبي ﷺ وبلغه النبي ﷺ إلى أمته، فهو كلام الله حيثما تصرف صفة له - سبحانه وتعالى - نعم.



القراءة الملحنة بدعة وضلالة

وأن القصائد بدعة مجراها على قسمين.

ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة، هذه تكلم عليها الإمام ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد فوفى في هذه المسألة، القراءة الملحنة التي تخرج عن الحد الشرعي ويبالغ فيها لا شك أنها بدعة، لم تؤثر عن النبي ﷺ ولم تؤثر عن أصحابه -رضي الله عنهم-، التكلف في التلحين في قراءة القرآن، والخروج بها عن الحد الشرعي الثابت عن المصطفى ﷺ لا شك أن ذلك بدعة، نعم.



التعبد لله بالقصائد بدعة

وأن القصائد بدعة ومجراها على قسمين، فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به، وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر، واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر، والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والمغاني هو ولعب.

نعم، كل هذه مما ابتلي بها بعض المنتسبين لهذه الطائفة -أعني الصوفية-، وهي التعبد لله ﷻ بطرق ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يعرف ذلك عن سلف الأمة، بل هو مما فتح به الشيطان عليهم باباً، فتعبد الله ﷻ أو عبد الله ﷻ بما لم يشرعه رسوله، قال: إن القصائد بدعة، المقصود بالقصائد التعبد لله ﷻ بهذه القصائد، لا شك أنه بدعة.

ثم ذكر أن هذه القصائد مجراها على قسمين، فالحسن منها حسن والقبیح منها قبیح، ولهذا قال: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين فذلك جائز، لكن تركه والاشتغال بغيره أو الاشتغال بذكر الله ﷻ وبقراءة القرآن وبالعلم الشرعي لا شك أن ذلك أفضل وأولى.

يقول: "وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر" بمعنى أن وصف الله ﷻ بصفات المخلوقات من المرئيات وغيرها أن هذا كفر، وسيوضح هذا الكلام المجلد الأسطر القادمة، هذا معنى قوله: "وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر" بمعنى أن يوصف الله ﷻ بصفات المخلوقين في هذه الأبيات الشعرية، ثم يبدأ هؤلاء يترنمون بالأصوات ويزعمون أنهم يتعبدون الله ﷻ بذلك، يقول: هذه كفر لأنهم وصفوا الله بصفات البشر، بصفات الخلق، بصفات المحدثات.



يقول: "واستماع الغناء والرباعيات". الرباعيات هي منظومة شعرية تتألف من أربعة أشطر، كل أربعة أبيات تكون قافيتها واحدة، فهذه الأربعة قافيتها النون، ثم بعدها الميم، كانوا -أو بعض أهل التصوف- يرددون هذا الغناء وهذه الرباعيات ويسمونه استماع، يتعبدون الله ﷻ بهذه الأعمال المبتدعة.

يقول: "واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر" بمعنى أن تكون وصف هذه المخلوقات بهذه الهيئة بهذا الغناء وبهذه الطريقة هذا كفر، حتى وإن زعموا أنهم يتقربون إلى الله ﷻ بذلك؛ لأنهم وصفوا الله بما ينتزه عنه. يقول: "والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق" بمعنى: والرقص على الإيقاع، الرقص على إيقاع الدفوف وما شابهها، وهذا أيضا موجود عند طوائف من أهل التصوف، يضربون الدفوف ويقومون بتراقصون مع أنغام هذه الدفوف، يزعمون أنهم في حالة تواجد، تعبد إلى الله ﷻ قال: هذا الأمر فسق.

وأیضا "نعت الرقاصين على أحكام الدين فسق" بمعنى: وصف هؤلاء الرقاصين أنهم من الأولياء أو الأتقياء أو المؤمنين أو العباد أو الزهاد هذا فسق لا يجوز؛ لأن هؤلاء حقيقة فسقة؛ لأن هذه الصفات صفات الفساق، "وعلى أحكام التواجد" التواجد أيضا من مقامات الصوفية، ومصطلح من مصطلحات الصوفية، وهو: يقولون من وَجَدَ وَجَدًا أو وَجَدًا، بالفتح يعني الحب وبالكسر يعني الحزن، عندهم التواجد عند الصوفية استجلاب الوجد بالذكر والتفكير، يجتمعون وإما أن يغنوا ويرقصوا ويطربوا أو يقومون يرددون بعض الأذكار جماعيا أو حتى فرديا ذكر مخصوص، يزعمون أنهم يستجلبون بذلك -تعالى الله- الروح الإلهية، وأنهم يرتفعون عن هذا العالم، ويحلّقون عن هذا الوجود إلى عالم آخر.

ولهذا أحيانا عن طريق هذا الوجد يصلون إلى حالة ما يسمى أيش؟ الأسطيلان السكر مصطلحات صوفية، يغيب الواحد عن الحالة الموجودة والناس الموجودين، ويعيش في عالم آخر حتى أحيانا يزعم أنه خلاص الآن بدأ يعيش مع الحضرة الإلهية، وكل هذا مما لبس به الشيطان على هؤلاء، نعم.



حكم سماع هذه القصائد الملحنة

وحرام على كل من سمع القصائد والرباعيات الملحنة الجاري بين أهل الأقطاب على أحكام الذكر إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك لما لا يليق به وَعَلَيْكُمْ مما هو منزّه عنه فيكون استماعه كما قال: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾^(١).

نعم، من سمع هذه القصائد وهذه الرباعيات كسماع سائر الشعر وسائر الأبيات، فكما سبق أن ذكره المؤلف: الحسن منه حسن والقبیح منه قبیح، -بس- بشرط أن لا يتعبد الله وَعَلَيْكُمْ بهذا الأمر، وبشرط أيضا ألا تتضمن هذه الأبيات وصف الله وَعَلَيْكُمْ بما ينتزه عنه، ولهذا قال: فيكون استماعه كما قال تعالى: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٢) كسائر القول يستمعه المؤمن فيأخذ بالحسن ويدع القبیح، نعم.

١ - سورة الزمر آية : ١٨ .

٢ - سورة الزمر آية : ١٨ .



عدم جواز اشتغال هذه القصائد على وصف لله توصف به المخلوقات

وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله وَعَلَيْكَ على غير تفصيله فهو كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز إلا لمن عرف ما وصفت من ذكر الله ونعمائه وما هو موصوف به وَعَلَيْكَ ما ليس للمخلوق فيه نعت ولا وصف بل ترك ذلك أولى وأحوط.

هذا كله شرح للكلام المتقدم أن الرباعيات إذا اشتملت على وصف الله بما يتنزه عنه من وصف المخلوقات فهذا لا يجوز وهذا هو الكفر، نعم.



التعبد إلى الله بهذا الاستماع مما أنكره الأئمة والعلماء

والأصل في ذلك أنها بدعة.

أي التعبد إلى الله ﷻ بهذه القصائد وبهذا الرقص وبهذا التواجد وبهذا الاستماع أن الأصل فيه أنه أقل ما فيه أنه بدعة، نعم.

والفتنة فيها غير مأمونة إلى أن قال: واتخاذ المجالس على الاستماع والغناء والرقص بالرباعيات بدعة، وذلك مما أنكره المطلبي ومالك، والثوري ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق، والإقتداء بهم أولى من الإقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين.

نعم يعني أن التعبد إلى الله ﷻ بهذا الاستماع المحدث المبتدع مما أنكره الأئمة والعلماء وذكر منهم الشافعي ومالك والثوري ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وغيرهم. نعم.



قول بشر بن الحارث في هذه القصائد

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد، قال: مثل أيش؟ قال: مثل قوله:

اصبري يا نفس حتى تسكني دار الجليل

فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت: ببغداد. فقال: كذبوا والله الذي لا إله غيره، لا يسكن ببغداد من يسمع ذلك.

نعم. يقول: بلغني أنه قيل لبشر بن الحارث لبشر الحافي الذي يعظمه الصوفية لزهده وعبادته وعلمه قد أثنى عليه الإمام أحمد وهو من الزهاد الذي زهدهم يوافق للسنة، إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد قال مثل أيش؟

قال: مثل قولهم يعني يرددون هذا الكلام يترنمون به:

اصبري يا نفس حتى تسكني دار الجليل

أي دار الجنة فقد حصل لكن أين يكون هؤلاء الذي يستمعون لذلك قال قلت ببغداد قال: كذبوا والذي لا إله غيره لا يسكن ببغداد من يسمع ذلك؛ وذلك أن بعض أهل الزهد وأهل العلم كانوا ينكرون السكنى ببغداد آنذاك، والسبب أن ببغداد كان الغالب على أهلها الترف والفسق واللهو؛ ولهذا كانوا يرون أن السكنى في مثل هذه المدن ليست من صفات الصالحين الزهاد؛ لأنه لا بد أن يتأثر بهذه الحياة المترفة.

نعم. ولعلنا نقف على ذلك، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



الفقير يصبر فإذا عجز عن الصبر كان السؤال أولى به

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لعلنا نكمل كلام أبي عبد الله بن الخطيب إلى أن يحضر أخونا القارئ.

يقول: قال أبو عبد الله: ومما نقول وهو قول أئمتنا أن الفقير إذا احتاج وصبر لم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله عليه السلام لأن يأخذ أحدكم حبله عنه الحديث.

يقول: ومما نقول وهو قول أئمتنا أن الفقير، والفقير مرتبة من مراتب الصوفية، ولهذا سئل سهل بن عبد الله التستري عن الفقير الصادق فقال: هو من لا يسأل ولا يرد ولا يحدث. وقال ابن الجلاء: الفقر ألا يكون لك، فإذا لك فلا يكون لك حتى تؤتيه الشاهد أن مصطلح الفقير أو مسمى الفقير هذه مرتبة من مراتب الصوفية.

يقول: إذا احتاج وصبر ولم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى فمن عجز عن الصبر. لا شك أن الفقر ليس مطلوباً لذاته وليس بمستحسن بالنظر إليه كصفة بل هي حكاية واقع حادث والنبى عليه السلام لم يتمن الفقر. هذا ما غلط فيه الصوفية، ولا شك أن الغني المنفق نفقه أكثر من نفع هذا الفقير المعدم. . الغني المنفق في سبيل الله عليه السلام أثره في الأمة وأثره على المسلمين أحسن حال من هذا الفقير يقول: على هذا الفقير أن يصبر حتى يفتح الله عليه السلام له فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله عليه السلام لأن يأخذ أحدكم حبله عنه الحديث في الصحيحين.

وذلك لأن -النبى صلى الله عليه وسلم- قال من حديث أبي هريرة: عنه والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه عنه .



فالتكفف عما في أيدي الناس والضرب في الأرض وفعل الأسباب هذا هو الأمر ..

يقول، ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط مرسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس.

ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح فهو مجنون في الحقيقة خارج، أي خارج عن الطريقة الصوفية ولا شك

أن أهل التصوف يرون أن الجلوس وترك التكسب أن هذا أمر . وأمر مطلوب وهذا خطأ ولهذا أنكر عمر-رضي

الله عنه- على أولئك الذين جلسوا في المسجد يتعبدون انقطعوا للعبادة فسألهم أو سأل من أين لهم هؤلاء

الرزق؟

قالوا: هؤلاء المتوكلون على الله، فضربهم -رضي الله عنهم- بالدرّة، وقال: هؤلاء المتوكلون، سمعت النبي

ﷺ يقول: لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا ﴿٢٤﴾ هذا هو

التوكل الصحيح، وهذا هو التوكل الشرعي.

التوكل مع فعل السبب وليس بترك الأسباب.

فكون هؤلاء يجلسون بالمساجد أو يجلسون في الزوايا يسألون الناس يتكففون الناس ويزعمون أنهم

منقطعون للعبادة وأنهم تركوا التكسب وطلب الرزق زهدا في الدنيا، يقال لهم: ليس هذا هو الأمر المشروع بل

الأمر المشروع البيع والشراء، نعم من الطرق المباحة، وفعل الأسباب.



فسق المستمع إلى الغناء والملاهي

ثم قال: ونقول إن المستمع إلى الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام: ﴿الغناء ينبت النفاق في القلب﴾ وإن لم يكفر فإنه فسق لا محالة.

لا شك أن استماع الغناء وأدوات اللهو أن ذلك ضرب من ضروب الفسق؛ وذلك لثبوت الأدلة الدالة على تحريم الغناء، ذكر المؤلف هذا الحديث وهو عن ابن مسعود مرفوعاً رواه أبو داود والبيهقي وابن أبي الدنيا لكن نقل المناوي في فيض القدير عن العراقي قوله: رفعه غير صحيح؛ لأن في إسناده من لم يسم وهذا هو الصحيح، فإن هذا الحديث لا يصح مرفوعاً، بل يصح موقوفاً عن ابن مسعود-رضي الله عنه- كما رواه عنه ذلك البيهقي في السنن الكبرى.

أما قوله: إن لم يكفر فلعله أراد الكفر الأصغر، الكفر بالنعمة حتى وإن قال قائل: لعله أراد أن من استباح الغناء، من استحلّه فإنه يكفر فيقال له حتى . فإن المستحل الغناء لم يستحل أمراً معلوماً تحريمه من الدين بالضرورة لأجل أن يكفر، فإن المستمع للغناء فاسق عاصي، لكن لا يصل إلى حد الكفر.



كفر من زعم أن الرسول واسط يؤدي وأن المرسل إليه أفضل

ثم قال: والذين اختاروا قول أئمتنا: ترك المرء في الدين والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، وهذا كله تقدم الكلام عليه.

ومن زعم أن الرسول ﷺ واسط يؤدي، وأن المرسل إليه أفضل فهو كافر بالله.

وهذا مذهب غلاة المتصوفة الذين زعموا أن الرسالة عبارة عن واسطة فقط للتبليغ؛ ولهذا الولي عندهم أفضل من الرسول.

ويقول ابن عربي في ذلك وقد ذكرت ذلك سابقا بيتا من الشعر:

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي

ولهذا الترتيب عنده أن أعلى الدرجات الولاية ثم يليه النبوة ثم يلي ذلك الرسول، ويروى عنه أنه قال ابن عربي وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام ولا بقاء لها بعد انقضاء البلاغ، ولهذا يقول: فقط هي إبلاغ كان فإذا انتهى هذا البلاغ انتهت هذه الصفة، فهي حال لا مقام باقي مثل الولاية كما يزعم، ويروى عنه أنه قال: إن الولي يعلم علمين علم الشريعة وعلم الحقيقة أي الظاهر والباطن والتنزيل والتأويل حيث إن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة.

وقيل لبعضهم بعض هؤلاء الغلاة: إن لواء الناس جميعا أو إن الخلق كلهم تحت لواء محمد ﷺ يوم القيامة هذا يدل على فضل الرسول ﷺ فرد عليهم وقال: والله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ لوائي من نور تحته الجان والإنس.

فهذا غلو وخروج عن الدين، فمن اعتقد أنه في درجة مماثلة لدرجة الرسل فقد كفر، فكيف بمن زعم أنه

أفضل من الرسل؟



كفر من قال بإسقاط الوسائط على الجملة

ولهذا قال المؤلف: فهو كافر بالله، ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر.

الوسائط التي بين الخلق وبين الله فمن الوسائط؟

الوسائط الرسل والملائكة هم الوسائط، لكن حلولية وغلاة الصوفية يزعمون أنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ويسمعون من الله بلا واسطة. وقد روي عن ابن عربي أنه قال: الولي يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل.

يقول: المكان والمعدن الذي يأخذ منه الملك يأخذ من جبريل ويؤديه إلى الرسل، الولي يأخذ من هذا المكان مباشرة أي يسمع من الله مباشرة فهم يسقطون الوسائط بينهم وبين الله؛ ولهذا كفر المؤلف من ذهب إلى هذا القول، نعم.



كلام الشيخ عبد القادر الجيلي في إثبات الصفات

ومن متأخريهم الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قال في كتاب الغنية: أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد. إلى أن قال: وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١).
﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٢).

ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣) وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.
قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف، وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا.

نعم. وهذا -أيضا- قول أحد الأئمة الذين ينتسب إليهم هؤلاء الصوفية الذين ينفون عن الله صفة العلو ويزعمون أن الله في كل مكان بذاته سبحانه وتعالى، وهذا الإمام يعظمونه وينتسبون إليه وهو الإمام عبد القادر

١ - سورة فاطر آية : ١٠.

٢ - سورة السجدة آية : ٥.

٣ - سورة طه آية : ٥.



بن أبي صالح الجيلي المقصود به الجيلاني وهناك الآن طريقة مشهورة ومنتشرة تنتسب إلى الشيخ عبد القادر وهي الطريقة القادرية.

والشيخ عبد القادر هو المتوفى سنة خمس مائة إحدى وستين كما قال فيه الإمام الذهبي وصفه بأنه الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء، ثم قال: وفي جملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض أقاويله ودعاويه والله الموعود وبعض ذلك مكتوب عليه.

ونقل شيخ الإسلام - رحمه الله - عن عبد القادر أنه سئل هل كان لله ولي على غير طريقة الإمام أحمد أو على غير اعتقاد الإمام أحمد؟ فقال: لا، لا كان ولا يكون.

وعلى كل كما قال أهل العلم، وذكر ذلك الإمام الشاطبي في الاعتصام أن كثيرا مما نقل عن الشيخ عبد القادر أو ما نسب إليه ونسب إلى غيره من الأئمة المتقدمين الذين ينتسب إليهم المتصوفة الذين عرفوا بالتصوف المعتدل، نعم وقع منهم أخطاء، وربما وقع من بعضهم بعض الزلات وهم ليسوا بمعصومين، لكن كثير مما ينسب لهؤلاء مكذوب، إنما هو من افتراء وصنع أتباعه ممن أتى بعدهم، كنقلهم بعض الشطحات التي لا يقول بها مسلم؛ ولهذا يروى أن عبد القادر - رحمه الله - رأى في المنام عرشا بين السماء والأرض وهناك من يناديه من فوق العرش يقول: يا عبد القادر قد وضعت عنك التكليف، أنا ربك قد وضعت عنك التكليف. بماذا أجاب؟

قال: احسأ عدو الله.

ف قيل له لما قص الرؤيا: كيف عرفت أنه الشيطان؟

قال: لا يمكن أن يضع الله ﷻ التكليف عن أحد من عباده.

فهذا مما أوقع الصوفية في ما أوقعهم فيه، يتلبس لهم الشيطان بصور ويزعم أنه الله ﷻ وأنه يخاطبهم وأنه يأمرهم بكذا ويضع عنهم كذا.



.....
فهذا يدل على سلامة منهج هذا الرجل -رحمه الله- فذكر في كتابه الغنية وهذا الكتاب مطبوع، ذكر هذا الكلام أن معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاتصاف، وهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد إلى أن قال: وهو بجهة العلو.

الشاهد أن هذا الكلام فيه تصريح بإثبات صفتي العلو والاستواء على العرش حقيقة لله ﷻ وهذا فيه رد على هؤلاء الحلولية الصوفية المنتسبين لهذا الإمام، فهو يخالفهم صراحة، وهذا كتابه بين أيدينا نعم.



كلام العلماء في إثبات الصفات لا يحصى

ولو ذكرتُ ما قال العلماء في ذلك لطال الكتاب جدا.

نعم، رحمه الله يقول يعني لو ذكرت كل ما قاله العلماء في إثبات هذه الصفات أو إثبات جنس هذه الصفات لطال هذا الكتاب وليس هذا هو المقصود؛ لأن الكتاب عبارة عن جواب، عن إجابة فقط لفتوى ولهذا سيذكر فيما بعد أنه بسط الكلام في هذه المسألة في مواضع أخرى كما بسطها - رحمه الله - في درء تعارض العقل والنقل كما بسط ذلك في . التأسيس في الرد على أساس التقديس للرازي، كما بسط ذلك - أيضا - في كتابه جواب الاعتراضات المصرية عن الفتوى الحموية.

وهذا الكتاب مفقود يسر الله - عز وجل - العثور عليه وهو كبير وهو كتاب كبير الحجم كثيرا ما يحيل عليه الشيخ، حسب وصف تلامذته ابن القيم والذهبي أنه قريب الحجم من درء تعارض العقل والنقل، أو منهاج السنة نعم.



كلام أبي عمر بن عبد البر في إثبات الصفات

بيان مذهب الأئمة في أحاديث الصفات

قال أبو عمر بن عبد البر:

روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والأوزاعي ومعمّر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت، قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات، أو جاء عن الصحابة - رضي الله عنهم - فهو علم يَدان به؛ وما حدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة.

نعم. وهذا نقل عن أبي عمر بن عبد البر وسفيان بن عبد الله المتوفى سنة أربعمئة وثلاثة وستين.

هذا الإمام العلم الشارح من موطأ مالك في كتابه التمهيد الذي يعتبر فريدا من نوعه وله كتاب -أيضا- الاستذكار، وله جامع بيان العلم وفضله وله كتب كثيرة، رحمة الله عليه قال: روينا يعني روى عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والأوزاعي ومعمّر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت، بمعنى لا تتعرضوا لها بالتحريف كما هي حال المعطلة أو التشبيه.

أمروها كما جاءت على ظاهرها قال أبو عمر ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات وجاء عن الصحابة - رضي الله عنهم - فهو علم يدان به.

لا شك أن هذا هو العلم الذين يدين المرء به ربه - سبحانه وتعالى - ما نقل عن هؤلاء ما نقل عن النبي ﷺ أو نقل عن صحابته يقول: أما ما حدث بعدهم ولم يكن له أصل، أما ما جاء بعدهم وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا عن أحد من الصحابة نعم فهو بدعة وضلالة يجب رده نعم.



إثبات صفة العلو

وقال في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه، من أخبار العدول عن النبي ﷺ وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان. قال: والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض الآيات، إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم.

نعم. ثم ذكر في كتابه الكلام السابق نقل شيخ الإسلام عن كتاب الجامع بيان العلم وفضله ثم نقل عن ابن عبد البر -أيضا- في شرح الموطأ الذي هو التمهيد كلامه عن حديث النزول، وأنه أثبت هذا الحديث؛ لأنه وصل إلينا بإسناد صحيح، ثم ذكر أن في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش؛ لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل فلو كان الله ﷻ في كل مكان أو ليس في العلو كما يزعم المعتزلة. لم يكن لهذا الحديث دلالة ظاهرة، يقول: كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في مكان وهذا قول حلولية الجهمية.

ثم قال: والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله ثم ذكر يقول بعض الآيات إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكاية يعني ذكر الأدلة النقلية. ثم أراد أن يشير إلى الدليل الفطري على إثبات صفة العلو كأنه يقول لهؤلاء النفاة: هب أنكم طعنتم في هذه الأدلة النقلية الثابتة عن النبي ﷺ وطعنتم في دلالة الآيات على صفة العلو وسلطتم عليها سيف التحريف الذي سميتموه أيش تأويلا؟



سلمنا لكم ..

لكن ماذا تصنعون في هذه الضرورة التي يجدها كل إنسان، المتعلم وغير المتعلم، العجائز والصبيان والأعراب والأطفال في الكتاتيب، بل حتى الكفار يجدون هذه الضرورة في أنفسهم ما قال عارف قط: يا الله.

أين يتجه قلبه؟

يمين شمال أسفل؟

لا يتجه إلا إلى السماء.

وهذا دليل فطري لم يجتمعوا عليه سواء بقول الإمام أو قول قائل: إنما فطروا على هذا الأمر، وهذا من أقوى الأدلة التي يستدل بها على نفاة العلو وهو الدليل الذي اعترض به الهمذاني على الجويني، نعم لما قام يتكلم ويشرح للناس حديث: «كان الله ولم يكن شيء معه أو قبله» [٩٢] ويقرر نفي صفة العلو عن الله «لا شيء» بالطرق الكلامية المعتادة عند المتكلمين.

المعروف أن الجويني أشعري ينفي صفة العلو، فقام إليه الهمذاني وقال: يا شيخ دعنا من هذا كله، دعنا من هذه المقدمات وهذه الأدلة التي تذكرها وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ما قال عارف قط: يا الله إلا اتجه إلى السماء، فضرب الجويني رأسه وقال: حيرني الهمذاني حيرني، ما استطاع أن يجيب إن هذا أمر فطري أمر جبلي.

فالإمام ابن عبد البر -رحمه الله- هنا يشير إلى هذا الدليل أو هذا النوع من الأدلة على إثبات صفة العلو يقول: لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم، يعني هذا الأمر الفطري ما قلدوا فيه قول فلان أو قول فلان أو قول فلان ولم ينكر مسلم على أحد أنه يجد في نفسه هذه الضرورة نعم.



إجماع علماء الصحابة والتابعين أن الله على العرش وعلمه في كل مكان

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ ^(١) هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله.
وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون.

أهل السنة مجمعون سيأتي هذا الكلام إن شاء الله بعد صفحات.



إجماع أهل السنة على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة وحملها على الحقيقة

وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكييفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم أئمة الجماعة.

نعم. ثم ذكر أبو عمر بن عبد البر -رحمه الله- أن أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة أي صفة ثبتت في القرآن والسنة فيجب الإقرار بها والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز. وسبق في القسم الأول أن ذكرنا أن المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة، بمعنى أن يصرف هذا اللفظ عن المعنى الذي وضع له في الأصل إلى معنى بعيد آخر، يصرف معنى اليد من اليد الحقيقية إلى القدرة أو النعمة فقد يجب حمل هذه النصوص الواردة في الصفات على حقيقتها - لا على المجاز كما صنع المعتزلة - إلا أنهم لا يكييفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة بمعنى أنهم يشبّهون هذه الصفات كما جاءت في النصوص لكن من غير تكييف، من غير تحديد **لكنه** هذه الصفة لأن هذا مما استأثر الله بعلمه.

يقول: وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج وكل من ينكرها ينكر هذه الصفات ولا يحمل منها شيئا على الحقيقة بل يحملونها على المجاز، ويزعم أن من أقر بها مشبه، يعني يزعم كل واحد من هؤلاء أن من أقر بشيء من هذه الصفات الثابتة فيكم بالكتاب والسنة فهو مشبه عندهم، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق في ما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة، بمعنى أن الحق هو ما جاء بالكتاب



.....

والسنة صريحا وما فهمه سلف الأمة الذين هم الجماعة من هذه النصوص، هذا كلام ابن عبد البر، وهذا نوجهه إلى إخواننا ممن ينتسبون لمذهب الإمام مالك ويعطلون الله ﷻ عن بعض صفاته فالإمام ابن عبد البر عندهم إمام مسلم بإمامته، ولا يناقشون ولا يناظرون في ذلك ويعظمونه، ويعظمون أقواله فنقول لهم: هذا كلامه في مسائل أصول الدين، تقبلون قوله في أحكام الوضوء وأحكام الطهارة، تقبلون قوله في أحكام النكاح وأحكام البيع ثم تعترضون على قوله في مسائل أصول الدين! هذا عين التناقض نعم.



كلام الحافظ أبو بكر البيهقي في صفات الله ﷻ

وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري، وذبه عنهم، قال في كتاب الأسماء والصفات: باب ما جاء في إثبات اليمين صفة . لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيٍّ ^ط ﴾ ^(١) وقال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ^(٢) .

وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب، مثل قوله في غير حديث، في حديث الشفاعة ﷻ يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ﷻ ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: ﷻ أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك الألواح بيده ﷻ وفي لفظ: ﷻ وكتب لك التوراة بيده ﷻ ومثل ما في صحيح مسلم: ﷻ وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ﷻ ومثل قوله ﷺ تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة ﷻ .

وذكر أحاديث مثل قوله: ﷻ بيدي الأمر ﷻ ﷻ والخير بيديك ﷻ .
ﷻ والذي نفس محمد بيده ﷻ و ﷻ إن الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ﷻ .

وقوله: ﷻ المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ﷻ وقوله: ﷻ يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ﷻ وقوله: ﷻ يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق

١ - سورة ص آية : ٧٥ .

٢ - سورة المائدة آية : ٦٤ .



السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع ﴿٢٤﴾ وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

وذكر -أيضا- قوله: ﴿٢٥﴾ إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، قال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ﴿٢٦﴾ وحديث: ﴿٢٧﴾ إن الله لما خلق آدم مسح على ظهره ﴿٢٨﴾ إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.

ثم قال البيهقي: أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب، وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين.

—

يقول: وفي عصر ابن عبد البر الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي أحمد بن حسين البيهقي الإمام المعروف المشهور المتوفى سنة أربعمائة وثمان وخمسين صاحب السنن الكبرى وصاحب دلائل النبوة وصاحب الأسماء والصفات وصاحب البعث المنشور وله كتب كثيرة -رحمه الله- وهو شافعي المذهب، ولهذا قال بعض أهل العلم: كل شافعي فالمنة للإمام الشافعي عليه إلا البيهقي فإن المنة للبيهقي على الشافعي؛ لأنه ممن نشر مذهب الشافعي رحمهما الله.

البيهقي على مذهب الأشاعرة وقد تتلمذ على يد ابن فورك وأبو الحسن الطبري الذين من تلامذة تلامذة أبي الحسن الأشعري والبيهقي والبغدادى يمثلون الطبقة الثالثة أو المرحلة الثالثة من مراحل تدوين مذهب الأشاعرة. المرحلة الأولى يمثلها أبو الحسن الأشعري وابن كلاب، المرحلة الثانية يمثلها الباقلاني وابن فورك، المرحلة الثالثة يمثلها أبو بكر البيهقي والبغدادى.

ألف كتابه الأسماء والصفات وروى بهذا الكتاب النصوص المثبتة في صفات الله ﷻ بإسناده إلى النبي ﷺ لكنه أول بعض الصفات على مذهب الأشاعرة المتقدمين، لكنه خالف جمهور الأشاعرة، وهم الأشاعرة المتأخرون والذين استقر المذهب على رأيهم وذلك أنه أثبت كثير من الصفات الخبرية خاصة الذاتية الوارد منها في القرآن



كإثبات الوجه العين اليتين خلافا لمذهب جمهور الأشاعرة، وأول بعض الصفات، ولهذا نقل في تأويله في بعض هذه الصفات عن بعض أئمة الأشاعرة كما ذكر الشيخ.

يقول: وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي أي في عصر ابن عبد البر مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن. نعم لأنه متأثر بل يعد من الأشاعرة من أئمة الأشاعرة.

أبو الحسن الأشعري سيأتي إن شاء الله الكلام عليه عند النقل عنه والمراحل وأطوار المراحل المذهبية التي مر بها، يقول: وذبه عنهم أي يعني دفاعا عن مذهب وعن أصحاب أبي الحسن الأشعري قال في كتابه الأسماء والصفات- وهذا الكتاب له عدة طبعا- باب ما جاء في إثبات اليتين صفتين لا من حيث جارحة لورود خبر الصادق به يعني إثبات اليتين لله حقيقة، لا على الوجه الثابت للمخلوق هذه اليد الجارحة للمخلوق لكن نسبتها حقيقة لله على الوجه اللائق به سبحانه.

ثم ذكر الأدلة على ذلك ذكر آية يا إبليس ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْيَ ۖ ﴾ ^(١) وآية ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ^(٢) ثم ذكر هذه الأحاديث الكثيرة التي كما قال ابن القيم: مهما صرفتها لا تتصرف إلا على الحق الذي أثبتته أهل السنة ما تقبل التأويل لو قبل منها نص لو قبلت، قبل هذا النص أو نصين أو ثلاثة هذا التأويل الذي جاء به هؤلاء لكن ما يمكن أن جميع هذه النصوص تقبل هذا التأويل.

وهذا نموذج لما ذكره الإمام البيهقي فذكر منها حديث الشفاعة ﴿ يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيديه ﴾ هذا هو الشاهد، والحديث في الصحيحين والحديث الآخر -أيضا- في الصحيحين ﴿ أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده ﴾ إثبات صفة اليد حقيقة لله ﴿ وكل يقول: وفي لفظ: ﴾ وكتب لك التوراة بيده ﴾ ومثل ما في صحيح مسلم ﴿ وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ﴾ ومثل قوله ﴿ تكون الأرض يوم

١ - سورة ص آية : ٧٥.

٢ - سورة المائدة آية : ٦٤.



القيامة خبزة واحد يتكفاهما الجبار بيده [هـ] وهذا حديث البخاري وحديث [و] بيدي الأمر [ز] أيضا الحديث في البخاري [ح] والخير بيدي [ط] الحديث في مسلم [ي] والذي نفس محمد بيده [ك] جاء في أحاديث كثيرة منها ما هو متفق عليه.

[ل] إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل [م] وهذا في مسلم وقوله: [ن] المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين [س] وهذا أيضا في مسلم إثبات اليمين لله حقيقة [ع] على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين [ف] وأيضا [ق] ويطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك [ك] وهذا في صحيح مسلم ثم ذكر يطوي الأرضين بشماله. [ل] ويطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك [م] وهذا في صحيح مسلم ثم ذكر [ن] يطوي الأرضين بشماله [س] وذكرنا في القسم الأول الجمع بين هذين الحديثين وما قاله الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- من أنه لا تعارض بين هذين الحديثين كون النبي ﷺ أثبت هنا الشمال، وفي الحديث الذي قبله قال: [ع] وكلتا يديه يمين [ف] فقلوه: [ق] وكلتا يديه يمين [ك] أي كلتا يديه يمن وبركة بمعنى لئلا يتبادر إلى الذهن أنه إذا قيل له شمال أن الشمال أنقص من اليمين كما هي الحال في المخلوق. المخلوق الشمال أنقص من اليمين في كل شيء حتى في القوة؛ ولهذا اليمين للشيء المحترم والشمال لما سوى ذلك، لكن يدي الجبار سبحانه وتعالى كلتيهما يمين مباركة.

ثم قال: وقوله: [ع] يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار [ف] هذا أيضا فيه تصريح إثبات اليمين لله.

ثم ذكر [ح] إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت [ط] ويداه مقبوضتان [ي] صريحة في إثبات اليمين لله ﷻ قال: [ع] اخترت يمينا اخترت يمين ربي وكلتا ربي مباركة [ف] والحديث أخرجه الترمذي



وحديث: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ﴾ [١] وأيضا هذا الحديث أخرجه أبو داود وغيره إلى أحاديث آخر ذكرها من هذا النوع.

أي أحاديث أخرى تثبت اليمين لله حقيقة، ثم قال البيهقي: أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب وذكرنا سابقا أن معنى قولهم: لم يفسروا، أي تفسير الجهمية، أي التأويل لم يفسروا هذه النصوص تفسير الجهمية المعطلة.

من الآيات والأخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على العرش بمعنى أنه أثبت الاستواء لله حقيقة وسائر الصفات الخيرية مع أنه سيحكي قول بعض المتأخرين، يعني قول بعض الذين أولوا هذه الصفات من الأشاعرة بمعنى أنه يخالفهم في تأويل هذه النصوص أن الإمام البيهقي مع أنه إمام من أئمة الأشاعرة إلا أنه يخالف أولئك الأشاعرة الذين يؤولون هذه النصوص. نعم.



كلام القاضي أبي يعلى محمد بن حسين محمد البغدادي الحنبلي في صفات الله ﷻ

وجوب قبول الأخبار التي وردت في صفات الله وحملها على ظاهرها

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب إبطال التأويل: لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها؛ لكن على ما روى عن الإمام أحمد وسائر الأئمة. وذكر بعض كلام الزهري، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والليث، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن عيينة، والفضيل بن عياض، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وأسود بن سالم، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، ومحمد بن جرير الطبري، وغيرهم في هذا الباب. وفي حكاية ألفاظهم طول.

نعم. ثم نقل عن القاضي أبي يعلى محمد بن حسين محمد البغدادي الحنبلي المشهور بالقاضي المتوفى سنة أربعمائة وثمانية وخمسين صاحب كتاب إبطال التأويلات، وهو من أئمة الحنابلة ولهذا هو في الفروع على مذهب الإمام أحمد، أما مذهبه في الأصول فهو من الأئمة الذي حصل عندهم شيء من الاضطراب - رحمه الله - ولهذا قال عنه شيخ الإسلام: ونوع ثالث سمعوا الأحاديث والآثار وعظموا مذهب السلف وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة في القرآن والحديث والآثار ما لأئمة السنة والحديث لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها.



ولهذا هو في كتابه إبطال التأويلات لما أخذ عليه إيراد بعض الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة والمبالغة - أحيانا - في إثبات بعض الصفات يقول: ولا من جهة الفهم لمعانيها بمعنى أنه لم يكن لدى هؤلاء ما كان لأئمة



السلف لا من جهة تمييز هذه الأحاديث الصحيح منها والسقيم ولا من جهة فهم المعنى الحق الدال عليه هذه الأحاديث.

يقول: وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية ورأوا ما بينها من التعارض، وهذا حال أبي بكر بن فورك والقاضي هذا هو الشاهد والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأمثالهم، فحقيقة مذهبه في الأصول فيه شيء من الاضطراب. يقول: لا يجوز.

كتاب إبطال التأويلات طبع جزء منه، وكما قلت لكم هو ألفه للرد على ابن فورك في كتابه مشكل الحديث.

ابن فورك ألف كتاب مشكل الحديث وهو مطبوع أول فيه الأحاديث الدالة على الصفات على أصول الأشاعرة فجاء أبو يعلى في كتابه إبطال التأويلات ليرد على كتاب ابن فورك لكنه أخطأ في كونه -رحمه الله- أولاً - أنه جمع بهذا الكتاب الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة. وأيضاً أحياناً يبالغ في إثبات بعض الصفات التي لم يشتها أهل السنة والجماعة.

يقول: لا يجوز رد هذه الأخبار، أي الأخبار الثابتة في صفات الله ﷻ ولا التشاغل بتأويلها كما هي الحال عند المعطلة، بمعنى صرف هذه النصوص عن ظاهرها إلى معان بعيدة، والواجب حملها على ظاهرها، على ظاهرها اللائق بالله سبحانه وتعالى ﷻ غضب الله عليه ﷻ ثبت أو نحمل هذا النص على ظاهره فنثبت لله الغضب على الوجه اللائق به سبحانه ﷻ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١﴾ ثبت هذا اللفظ على ظاهره على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، وأنها صفات لله، وأنها صفات الله لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ولا نعتقد التشبيه فيها لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة، وذكر كلام الزهري ومكحول ومالك والثوري، وقد ذكر بعض



.....

هذه النقوش في الإسلام في أول هذه الرسالة التي بين أيدينا فكلهم قالوا عن هذه الأحاديث لما سئلوا عنها عن أحاديث الصفات ماذا قالوا؟

أمروها كما جاءت بلا كيفية.

بمعنى أمروها على ظاهرها مع نفي التكليف، بمعنى لا تفيد أثبتوا حقيقة الصفة التي دل عليها ظاهر هذا النص، فلم يعطلوا كما هي الحال عند المعطلة ولم يشبهوا ويمثلوا كما هي الحال عند الممثلة نعم.



دلائل إبطال التأويل

إلى أن قال: ويدل على إبطال التأويل : أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا إليه أسبق لما فيه من إزالة التشبيه ورفع التشبيه.

نعم، يقول: ما يدل على إبطال التأويل، الذي هو التأويل الفاسد الذي استخدمه المعطلة لنفي الصفات الثابتة بهذه النصوص، وهو صرف النص عن ظاهره عن معناه الظاهر بلا معنى آخر بعيد.

يقول: هذا التأويل باطل ما الدليل على بطلان هذا التأويل؟

الذي هو سلاح المعطلة تجاه هذه النصوص، المعطلة يتسلحون بالتأويل الإمام أبو يعلى يقول: هذا النوع من التأويل ضار. ما دليلك؟

قال: دليلي أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين وهم الذين عاصروا نزول الوحي وهم أعلم الأمة بمعنى هذه النصوص؛ لأنهم أفصح الأمة وأحرص الأمة على الفهم الصحيح، وأحرص الأمة على إبلاغ الدين الصحيح ومع ذلك حملوا هذه النصوص على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها كما صنع المتأخرون.

نعم، لا يمكن أن تجد نصا واحدا عن أولئك أنه سلط عليه التأويل أو أول هذا النص، يستحيل، لا يعرف عن أحد من الصحابة أو أحد من التابعين أنه أول نصا من نصوص الصفات مما لا يسوغ فيه التأويل كما هي الحال عند هؤلاء المعطلة، بل إنهم حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا إليه أسبق.

لو كان التأويل هذا صحيح لاستخدمه هؤلاء؛ لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة، بمعنى لو كان ظاهر هذا النص يدل على التشبيه لبادر صاحبه وبادر التابعون لتأويل هذه النصوص لإزالة هذا التشبيه الذي يتبادر إلى الأذهان كما يزعم هؤلاء نعم.



كلام أبي الحسن الأشعري في صفات الله ﷻ

الإقرار بما جاء عن الله ورسوله من الصفات بلا كيف

قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم، صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين، وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة: قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون شيئاً من ذلك، وأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾^(٢) وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣) أن له عينين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤) وأن له وجهها كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥).

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.

٣ - سورة المائدة آية : ٦٤.

٤ - سورة القمر آية : ١٤.

٥ - سورة الرحمن آية : ٢٧.



نعم. انتقل بعد ذلك إلى النقل عن إمام الأشاعرة عن الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي تنتسب إليه طائفة الأشاعرة؛ ولهذا قال الشيخ المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام والإمام الأشعري نشأ أول ما نشأ على مذهب الاعتزال وذلك أنه تربى على يد أبي علي الجبائي زوج أمه في اليمن، وأبو علي الجبائي إمام من أئمة المعتزلة ولهذا نشأ على مذهب الاعتزال، يقال: إنه بقي على مذهب المعتزلة أربعين سنة ثم رجع عن هذا المذهب وأعلن براءته من مذهب المعتزلة فاختلَف إلى أي شيء انتقل؟

فمن أهل العلم من قال: إنه مر بعد الاعتزال بطور واحد، انتقل بعد الاعتزال لمذهب ابن كُلاب متوسطا بين ذلك، بين أهل السنة وبين المعتزلة. وهناك قول آخر ذهب إلى أن الإمام أبي الحسن مر بعد الاعتزال بطورين ما هما هذان الطوران؟

قالوا: انتقل بعد الاعتزال إلى مذهب ابن كُلاب، ثم انتقل بعد ذلك إلى مذهب أهل السنة يعني استقر على مذهب أهل السنة.

الأشاعرة يعكسون القضية يقول: لا انتقل كردة فعل إلى مذهب أهل السنة إلى مذهب الإمام أحمد ثم استقر أمره على مذهب ابن كُلاب.

وعلى كل حال فهو -رحمه الله- أعلن أنه على مذهب الإمام أحمد، والمنقول في كثير من كتبه يخالف ما عليه جمهور الأشاعرة لكنه تأثر بابن كُلاب في بعض المسائل وبعض الأصول؛ ولهذا من نظر إليه من جهة قربه بابن كُلاب انتسب إليه من هذه الطريقة وقال: إنه على هذا المذهب وإنه على مذهب الأشاعرة وإنه...

ومن نظر إليه من الجانب الذي اقترب فيه إلى مذهب أهل السنة قال: إنه من أهل السنة وعلى مذهب أهل السنة.

يقول -رحمه الله- في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين، وهذا الكتاب مطبوع وهو من أوائل الكتب التي ألُفَت في الفرق بل هو عمدة لمن أتى بعده ممن لف في الفرق، يقول: وذكر فرق الروافض



والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم، ثم قال: مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة، يعني مذهب أهل السنة وأهل الحديث ثم ذكر هذا الكلام واضح . كلام المتقدم.

الشاهد من إيراد المؤلف لكلام أبي الحسن قوله: وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) وأنه له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾^(٢) وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣) وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤) وأن له وجها كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥).

فهذا يخالف فيه جمهور الأشاعرة الصراح، يثبت لله الاستواء والأشاعرة وجمهور الأشاعرة ينفون عن الله صفة الاستواء، يثبت لله صفة الوجه وجمهور الأشاعرة ينفون عن الله صفة الوجه، يثبت لله صفة اليدين وجمهور الأشاعرة ينفون عن الله صفة اليدين، يثبت لله العينين وجمهور الأشاعرة ينفون عن الله صفة العينين.

نعم. بل إنه كما سيأتي أن نقل عنه في كتاب الإبانة أنه يرد على الأشاعرة في تأويله اليدين بالنعمة وهذا يدل على أنه يثبت هذه الصفة لله حقيقة كما أثبتها أهل السنة نعم.

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.

٣ - سورة المائدة آية : ٦٤.

٤ - سورة القمر آية : ١٤.

٥ - سورة الرحمن آية : ٢٧.



إثبات أسماء الله تعالى وصفاته خلافا للخوارج والمعتزلة

وأن أسماء الله - تعالى - لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن الله علما كما قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ ﴾ ^(١) وكما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ ﴾ ^(٢) وأثبتوا له السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ ﴾ ^(٣) وذكر مذهبهم في القدر. إلى أن قال: ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق.

نعم، ثم ذكر أن أسماء الله - تعالى - لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج هذا سبق الكلام عليه في مسألة الاسم والمسمى وقلنا الصحيح أنه لا يقال الاسم هو المسمى، ولا الاسم غير المسمى، بل الصحيح أن الاسم ها؟ للمسمى ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ۚ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ ﴾ ^(٤) كما جاءت، لكن الجهمية والخوارج والمعتزلة عندما قالوا: إن أسماء الله غير الله أرادوا بذلك أن أسماءه مخلوقة. ثم ذكر الدليل على إثبات صفة العلم وإثبات صفة السمع والبصر، نعم رادا بذلك على المعتزلة الذين لا يشبتون شيئا من هذه الصفات، وأثبت لله القوة، نعم. ثم قال: والقرآن كلام الله غير مخلوق وهذا - أيضا - تقدم الكلام عليه والكلام في اللفظ والوقف، اللفظ أيضا تقدم الكلام عليه، وهم اللفظية الذين قالوا: لفظنا بالقرآن

١ - سورة النساء آية : ١٦٦.

٢ - سورة فاطر آية : ١١.

٣ - سورة فصلت آية : ١٥.

٤ - سورة الإسراء آية : ١١٠.



مخلوق الذين أنكر عليهم الإمام أحمد وقال هؤلاء جهمية؛ ولهذا أنكر على من قال لفظي بالقرآن مخلوق، وأنكر على من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهذا جهمي وذاك مبتدع أو هذا مبتدع وذاك جهمي.

ثم قال: والوقف أي والوقف في القرآن وهو المذهب أو ما يسمى بمذهب الواصفة الذين يقولون القرآن كلام الله ويسكتون لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق، أنكر عليهم الإمام أحمد قال: أما قبل أن يتكلم الناس فيسوغ لهم أن يقفوا، أما لما تكلم الجهمية وزعموا أن القرآن كلام الله مخلوق فيجب أن يعتقد المسلم ويصرح بهذا الأمر أن كلام الله غير مخلوق.

ولهذا ذكر الإمام أحمد أن الجهمية انقسموا إلى ثلاثة أقسام منهم من صرح وقال القرآن كلام الله مخلوق عفا القرآن مخلوق ليس بكلام الله. ومنهم الصنف الثاني من قال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.

والصنف الثالث قالوا: القرآن كلام الله وسكتوا، فجعل هذا النوع وهذا الصنف قسما من الجهمية.

ثم قال: والوقف من قال أيضا باللفظ، وهي المسألة اللفظية الذي تقدم الكلام عليها الذين يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق أو لفظنا بالقرآن غير مخلوق، يقول: فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ في القرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق، ثم ذكر أنهم يقرون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر خلافا لمذهب المعتزلة والجهمية والخوارج والرافضة، قال: ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون قال الله ﷻ ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾ ^(١) هذه الآية استدل بها الإمام الشافعي على إثبات رؤية الله ﷻ وكذلك استدل بها الإمام أحمد، ووجه الدلالة أن الله لما احتجب عن هؤلاء حال السخط دل على أن أوليائه يروونه حال الرضا وإلا لما كان لتمييز هؤلاء لأنهم عن ربهم محجوبون معنى، نعم.



إنكار الجدل والمراء في الدين

وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء.

إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار.

إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة فيه والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون للروايات الصحيحة، ولما جاءت بها الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ لا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة.

إلى أن قال: ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(١) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢).

إلى أن قال: ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق مع بذل المعروف، وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المآكل والمشارب، قال: فهذه جملة ما يأمر به، ويستسلمون إليه، ويرونه بكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان.

١ - سورة الفجر آية : ٢٢.

٢ - سورة ق آية : ١٦.



نعم. يقول: وذكر قوله من قول أهل السنة في الإسلام والإيمان والخلاف في ذلك والحوض والشفاعة وأشياء إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

قلنا: هذا مذهب جمهور أهل السنة والجماعة ولا يقولون مخلوق خلافا لمذهب الجهمية، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار كما هي الحال عند الخوارج، إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة فيه والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، قلنا: هذا الجدل الذي نعم الذي لا يؤدي أو لا ينتصر فيه للحق ويتنازعون فيه من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة بمعنى يسلمون لكل ما ثبت عن النبي ﷺ ولما جاءت بها الآثار التي جاء بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ لا يقولون كيف ولم؟ بمعنى لا يعترضون على ما ثبت عن النبي ﷺ لأن ذلك بدعة.

الاعتراض على الله وعلى رسوله بلما وكيف، نعم أو المجادلة في مسائل أصول الدين بما لا فائدة فيه كل هذه من البدع والمحدثات، إلى أن قال: ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(١) وهذا صريح في مخالفة جمهور الأشاعرة الذين ينفون عن الله صفة المجيء.

ثم قال: وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء تقدم الكلام على هذا وأن الآية المراد بها قرب الملائكة على القول الراجح، لكن الله ﷻ يقرب من الداعين بالإجابة ويقرب من العابدين بالإثابة كما ثبت في القرآن والسنة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^(٢) فنحن نثبت لله ﷻ صفة القرب لكن من الداعين وصفة القرب من العابدين إلى أن قال: ويرون مجانية كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن.

نعم. وهذا مشهور عن أئمة السلف - رحمهم الله - أنهم أمروا بمجانبة أهل البدع؛ لضررهم وتأثيرهم على عقيد المسلم، لو لم يكن في ذلك إلا التشويش وقد تجنبهم كبار الأئمة، الإمام الشافعي والإمام أحمد أنكر على من

١ - سورة الفجر آية : ٢٢.

٢ - سورة البقرة آية : ١٨٦.



.....
يجلس إلى هؤلاء ويستمع إلى أقوالهم إلا في حالات الضرورة في حالات إقرار أو إحقاق الحق وإعلان الحق والرد على باطل هؤلاء وبيان زيفهم وبيان شبهتهم وإزالة ما يعلق من ذلك على الناس وعلى العامة. ابتداء لا ينبغي ابتداء - معاشر الإخوة - لا ينبغي عقد المناظرة مع هؤلاء خاصة المناظرات العلنية، لكن إذا ابتلي المسلمون بوجود هؤلاء علنا والظهور علنا أمام الناس فلا بد أن يتصدى لهم أهل السنة أهل العلم ليزيلوا هذه الشبه عن العامة ولئلا ينطلي هذا على عموم المسلمين.

ثم قال: ذكر شيئا من آداب وأخلاق ومنهج وسلوك أهل السنة والجماعة في عموم حياتهم فقال: مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية يعني السعاية أو الوشاية بين الناس وتفقد المآكل والمشارب.

قال: فهذه جملة ما يأمر به ويستسلمون إليه ويرونه.

نعم. وينبغي على المتمسك بمنهج أهل السنة المقتدي بسلف السنة أن يلتزم منهجهم حتى في مثل هذه الأمور البعد عن الغيبة، البعد عن النميمة الحرص على الأكل الحلال، بذل المعروف الحرص على الناس على هداية الناس كما قال شيخ الإسلام: أرحم الناس بالناس أهل السنة.

أرحم الناس بالناس أهل السنة والجماعة، هذا الذي ينبغي أن نكون أقرب الناس إلى عموم المسلمين بقضاء حوائجهم، بلين الجانب بذل المعروف لهم، البعد عن التطاول عليهم، البعد الوقيعه فيهم بالألسن أو حتى بالأقلام والتماس المعاذير لمن أخطأ منهم.

إذا علمنا أن هذا مسلم فالأصل فيه السلامة ولا ينتقل عن إسلامه ولا عن إيمانه إلا بيقين؛ لأن إسلامه الآن ثابت بأيش؟

ييقين فهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، منهج أهل السنة والجماعة ليس فقط اعتقاد صرف كما يظنه البعض.



المنهج السلفي الذي عليه سلف الأمة لا، في البيع والشراء في التعامل مع الناس في العبادات في الدعوة. ينبغي أن نكون على أعلى درجة من الخلق؛ لأجل أن نحجب الناس إلى هذا المنهج، وهذا هو منهج أسلافنا- رحمهم الله- وهذا المنهج هو الذي تلقفوه عن أصحاب النبي ﷺ الذين تلقفوه عن النبي ﷺ فهو منهج محمدي، منهج الأثر.

ثم قال: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وهذا حجة صريحة حجة قائمة على جمهور الأشاعرة الذين يخالفون إمامهم في هذه الصفات التي يشبهها.

ثم قال: وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد. ===
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال النقل مستمرا عن الإمام أبي الحسن الأشعري -رحمه الله- الذي تنتسب إليه طائفة الأشاعرة، فقد نقل عنه الشيخ كما سمعنا بالأمس كلاما من كتابه نعم؟ مقالات الإسلاميين، وقلنا: إن هذا الكتاب من أوائل ما كتب في الفرق ولهذا من أتى بعده عالة عليه.

يقول: وقال الأشعري -أيضا- اختلاف أهل القبلة في العرش.

وهذا -أيضا- في نفس الكتاب قال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس يجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش، يعني العرش ليس بجسم لا يشبه الأشياء وذكرنا سابقا أن لفظ الجسم من الألفاظ المجملة التي ينبغي الإمساك عنها، لا تنفى ولا تثبت، ومن أطلقها فلا بد أن يفصل في ذلك؛ ولهذا نحن نثبت العرش على ما جاء في النص وأنه أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات وأن له قوائم وأنه مقبب مثل القبة.

نعم، وأن الله تمدح به في آيات عدة.

نعم. تفضل.



اختلاف أهل القبلة في العرش

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه.

قال -رحمه الله تعالى-:

وقال الأشعري -أيضا- في اختلاف أهل القبلة في العرش: قال أهل السنة وأصحاب الحديث أن الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ في القول؛ بل نقول: استوى بلا كيف، وأن له وجهها كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢) وأن له يدين كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٣) وأن له عينين كما قال تعالى: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤) وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٥) وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى استولى وذكر مقالات أخرى.

نعم. يلاحظ في هذا النقل أنه صرح بإثبات صفات ينكرها متأخرو الأشاعرة فأثبت الاستواء على العرش وأثبت أن لله وجهها، وأثبت له يدين، وأثبت العينين، وأثبت المعجىء، وأثبت النزول ثم أعطاها هذه القاعدة العامة

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ - سورة ص آية : ٧٥.

٤ - سورة القمر آية : ١٤.

٥ - سورة الفجر آية : ٢٢.



.....
التي هي لم يقولوا شيئا إلا ما وجدوه في الكتاب أو ما صح عن رسول الله ﷺ فكأنه يقول: إن أهل السنة التزموا ما ثبت في الكتاب والسنة، فما جاء في هذين المصدرين أثبتوه وما لم يرد امسكوا عنه.
ثم ذكر قول المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى استولى، والعجيب أن هذا التأويل للاستواء في الأصل أن الذي قال به من؟

المعتزلة الذين هم أعداء الأشاعرة والذين وقف الأشاعرة في وجوههم وردوا عليهم وبينوا زيف مقالاتهم، لكن المتأخرين من الأشاعرة سلكوا منهج المعتزلة في تأويل الاستواء، ولهذا البغدادي الذي يعتبر من طبقة البيهقي أنكر على بعض الأشاعرة قال: وقال بعض أصحابنا أن معنى الاستواء هو الاستيلاء، وهذا قول المعتزلة ولا يصح تأويل الاستواء في هذا المعنى، وأوله بتأويل آخر والرد على من أول الاستواء بالاستيلاء تقدم في القسم الأول يقولوا نعم.

مذهب أبي الحسن الأشعري في كتابه الإبانة عن أصول الديانة

موافقته لما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث

وقال -أيضا- أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الإبانة في أصول الديانة وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه، فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة.

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.



قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل؛ الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلالة، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائعين، وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم.

نعم. وهذا النقل الثاني عن أبي الحسن من كتابه الذي هو أشهر من الكتاب الذي قبله، وهو كتاب الإبانة عن أصول الديانة، وقد طبع عدة طبعات منها أو من أشهرها الطبعة التي خرجت عام سبع وتسعين وثلاثمائة وألف بتحقيق الدكتورة فوقية حسين، وهذه الطبعة وإن اعتمدت على أكثر من نسخة لكن وقعت المحققة في غلط منهجي، بل غلط علمي ينبغي التنبيه له. أولاً كثرة الأخطاء المطبعية والإملائية، هذه لا تهم، الذي يهم أن



.....

المحققة أدخلت في صلب الإبانة بعض الكلمات التي وجدت في إحدى النسخ خلافا لجميع النسخ، وهذه الكلمات تخالف منهج الكتاب العام، المنهج السلفي في مسألة الاستواء، وفي مسألة اليدين فسرت الاستواء بالاستيلاء وفسرت اليدين بالقدرة وأدخلت هذا الكلام في صلب كلام الأشعري، وهذا مخالف لجميع النسخ، فكان الأولى بها كمنهج علم إذا جاءت مثل هذه الزيادات في نسخة واحدة مخالفة لجميع النسخ أن تثبت ذلك في الهامش وتشير إليه، لكنها أدخلت هذا في صلب كلام الأشعري وهو ليس من كلام الأشعري بل من كلام بعض النساخ.

يقول: وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في بالذب عنه عند من يطعن عليه، فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية.

القدرية إذا أطلق هذا الاسم فالمقصود به المعتزلة في كتب الفرق وكتب العقائد إذا قالت القدرية أو هذا مذهب القدرية فالمقصود المعتزلة النافون لعموم خلق الله ﷻ وعموم مشيئته، لكن إذا عطفت المعتزلة على القدرية صار المقصود بالقدرية هم من؟

الجبرية؛ لأن المعتزلة ضد الجبرية في مسألة القضاء والقدر، ويطلق على الجبرية أنهم قدرية بمعنى أنهم غلوا في إثبات القدر، لكن هذا قليل، الأصل إطلاق هذا الاسم على المعتزلة، لكن إذا مثل الأشعري -رحمه الله- وقال: هذا قول المعتزلة وقول القدرية أو إلى هذا ذهب المعتزلة والقدرية. فنعلم أن القدرية المقصود بهم الجبرية.

ثم قال والجهمية والحرورية يعني الخوارج نسبة إلى حروراء المدينة التي انحازوا إليها بعد أن خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. والرافضة والمرجئة تعرفون قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له يعني أجاب الأشعري قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل

نضر



.....
الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون، لاحظ لو لم يذكر الإمام الأشعري إلا هذه العبارة بمعنى لو لم يفصل في الإثبات لقلنا: إنه على مذهب أهل السنة ومخالف لطريقة أتباعه.

المتأخرين، كيف وقد أكد ذلك بالتصريح بإثبات ما نفاه أولئك؛ لأنه الآن يصرح أنه على مذهب الإمام أحمد ولم يستثن شيئاً، لم يقل إلا في مسألة إثبات كذا فإني أخالفه، أو في مسألة إثبات كذا فإني أخالفه، أعطى هذه القاعدة العامة أنه على مذهب الإمام أحمد، والإمام أحمد هو إمام أهل السنة في هذا الباب، وبهذا يتبين أن أتباعه خالفوه في كثير من مسائل الأسماء والصفات، ثم أثنى على الإمام أحمد -رحمه الله-، وهو أهل لهذا الشاء. نعم جملة قولنا.



الإقرار بالله وملائكته ورسله وبما جاءوا به من عند الله

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً؛ وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله مستوٍ على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) وأن له وجهاً كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢) وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾^(٣) وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٤) وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾^(٥) وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً. وذكر نحواً مما ذكر في الفرق إلى أن قال:

نعم ذكر أولاً الجملة أو الأسطر الأولى وهي معروفة وظاهرة، مثلاً (أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله)، وذكر القاعدة العامة أننا نقر ونثبت كل ما جاء عن الله، وما ثبت عن رسول الله ﷺ ثم قال: (وأن الله مستو)

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ - سورة ص آية : ٧٥.

٤ - سورة المائدة آية : ٦٤.

٥ - سورة القمر آية : ١٤.



.....
على عرشه) هذا هو الشاهد كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) نسخة فوقية حسين وضعت بعد هذا: (وأن الاستواء هو العلو بالقهر والقدرة).

هذا كلام مفسوس على كلام الإمام الأشعري -رحمه الله-، ثم ذكر أن له وجهها، واستدل على ذلك، ثم ذكر (وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾^(٢) وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٣)) ، ثم جاءت نسخة فوقية حسين وأيضاً وأدخلت هنا عبارة: (وأن اليدين هما النعمة). (وأن له عيني بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤) وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً، وذكر نحو مما ذكر في الفرق)، وهذه المسألة تقدم الكلام عليها نعم.

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.

٣ - سورة المائدة آية : ٦٤.

٤ - سورة القمر آية : ١٤.



الفرق بين الإسلام والإيمان

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً، وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله ﷻ وأنه ﷻ يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ . إلى أن قال: والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ .

إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي يُثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب ﷻ يقول: "هل من سائل؟ هل من مستغفر؟" وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعول فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ^(١) وأن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال تعالى: ﴿ وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(٢) وكما قال: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ ^(٣) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(٤).

إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره باباً باباً، ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول أنه مخلوق ولا غير مخلوق، ورد عليه.

١ - سورة الفجر آية : ٢٢ .

٢ - سورة ق آية : ١٦ .

٣ - سورة النجم آية : ٨-٩ .



نعم ثم ذكر: (إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً)، وهذه المسألة من المسائل الخلافية التي جرى الخلاف فيها أيضاً بين أهل السنة أنفسهم، فاختلف أهل السنة هل الإسلام هو الإيمان أو الإسلام يختلف عن الإيمان؟ والقول الوسط الذي تشهد له الأدلة: أن الإسلام إذا ذكر وحده أو ذكر الإيمان وحده دخل الآخر فيه؛ بمعنى إذا ذكر الإسلام دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان في النص دخل فيه الإسلام، وإذا ذكرا معا عطف أحدهما على الآخر.

فالإسلام المقصود به: الأعمال الظاهرة؛ كما فسر ذلك النبي ﷺ في حديث جبريل: ﴿الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة...﴾ إلى آخر الحديث الصلاة الحج الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بر الوالدين الأعمال الظاهرة هي الإسلام. والإيمان: الأعمال المتعلقة بالقلب التي ذكرها النبي ﷺ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿لهذا قال أهل العلم: أن الإسلام والإيمان إذا اجتماعا افترقا وإذا افترقا اجتماعا. كحال الفقير والمسكين، والبر والتقوى ونحو ذلك من هذه الألفاظ.

ثم قال: إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً، نعم قد يكون الإنسان مسلماً وليس كل إسلام إيماناً نعم كما ذكرنا، قد يكون الإنسان عنده أعمال ظاهرة فيسمى مسلم في الظاهر؛ لكنه ليس مؤمناً؛ لأنه ليس بمؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله كحال المنافقين.

الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابعه سبحانه

ثم قال: (وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل)، وهذا ثبت في صحيح مسلم وتقدم الكلام عليه، (وأنه ﷻ يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ) كما في حديث الحبر كما في صحيح مسلم أيضاً.



الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

إلى أن قال: (والإيمان قول وعمل يزيد وينقص) وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، (ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) خلافا لمن رد الأحاديث الصحيحة بحجة أنها خبر آحاد، نلاحظ أن الأشعري هنا يقول المعول فقط على الثبوت؛ ولهذا لم يذكر هل هذا خبر آحاد أو متواتر كما صنع جمهور أصحابه.

إلى أن قال: (ونصدق بجميع الروايات التي يشتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب ﷻ يقول هل من سائل هل من مستغفر، وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل) يعني يثبت صفة النزول لله ﷻ على الوجه اللائق به.

ثم قال: (ونعول أي ونعتمد فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه) بمعنى أن المرجع لنا في هذه المسائل وفي غيرها من المسائل التي جرى بها الخلاف؛ المعول في ذلك ليس إلى قول فلان أو قول فلان أو رأي فلان أو قياس فلان إنما المعول كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة، (ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ^(١)) إثبات صفة المجيء، (وأن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال تعالى) نعم نشبث لله القرب الخاص: (﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ^(٢)) قلنا أن القول الراجح أن هذه الآية دليل على قرب الملائكة، (وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ^(٣)) قلنا أن القول الراجح أن هذا أيضا على القول الراجح أنه جبريل -عليه السلام- إلى أن قال: (وسنحتج لما ذكرناه) بمعنى سنستدل لما ذكره وما

١ - سورة الفجر آية : ٢٢.

٢ - سورة ق آية : ١٦.

٣ - سورة النجم آية : ٨-٩.



سيذكره من الأبواب التي ذكرها في كتابه الإبانة نعم، وتكلم على مسألة أو ذكر مسألة القرآن مخلوق أو غير مخلوق ومن وقف في القرآن، وكل هذا تقدم الكلام عليه نعم.



إثبات الاستواء على العرش

ثم قال: باب في ذكر الاستواء على العرش.

فقال: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(١) وقد قال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ^(٢) وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ^(٣) وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ^(٤) وقال تعالى حكايةً عن فرعون: ﴿يَنْهَضُونَ أَبْنِيَّ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ﴾ ^(٥) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا ^(٦).

كذب موسى في قوله: إن الله فوق السماوات، وقال: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ ^(٧) فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ^(٨) لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، فكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات، ليس إذا قال: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ^(٩) يعني جميع السماء، وإنما أراد العرش

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة فاطر آية : ١٠.

٣ - سورة النساء آية : ١٥٨.

٤ - سورة السجدة آية : ٥.

٥ - سورة غافر آية : ٣٦-٣٧.

٦ - سورة الملك آية : ١٦.

٧ - سورة الملك آية : ١٦.

٨ - سورة الملك آية : ١٦.



العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى أن الله ﷻ ذكر السماوات فقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾^(١) فلم يرد أن القمر يملأهن وأنه فيهن جميعا.

ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله على العرش الذي فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

نعم ذكر إثبات صفة الاستواء وإثبات صفة العلو ﷻ واستدل عليها بما استدل به أهل السنة والجماعة، ثم تكلم على آية: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾^(٢) فكأنه فسر السماء هنا بمن فسر السماء بالعلو، وأن المقصود بالسماء هنا العرش؛ لأنه يقول: أن أعلى المخلوقات العرش والله فوق العرش، نعم.

ثم ذكر الدليل الفطري الذي تقدم قبل صفحات: (ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء) كما قلنا هذا أمر فطري جليّ جبل الله ﷻ عليه بني آدم، سواء كان هذا الداعي مسلما أو كافرا، إذا دعا توجه بقلبه وبديه إلى أي جهة؟ إلى جهة السماء نعم، ثم قال: (لولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش) نعم.

١ - سورة نوح آية : ١٦ .

٢ - سورة الملك آية : ١٦ .



الرد على المعتزلة ومن تبعهم في تأويل الاستواء بالاستيلاء

ثم قال: فصل: وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية أن معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(١) أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عَلَيْهِ السَّلَام في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء والأرض، فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم.

فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء -وهو عَلَيْهِ السَّلَام مستولٍ على الأشياء كلها- لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادرا على الأشياء كلها ولم يجوز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية؛ لم يجوز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يخص العرش دون الأشياء كلها.

وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل.

ثم قال: باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين.

نعم في هذه الأسطر رد على المعتزلة ومن تبعهم في تأويل الاستواء بالاستيلاء، وما ذكره -رحمه الله- وجه من الوجوه التي يرد بها على هؤلاء، فذكر أنه لو كان معنى الاستواء هو الاستيلاء لما كان هناك فرق بين العرش وبين سائر المخلوقات؛ لأن جميع المخلوقات قد استولى الله عَلَيْهِ السَّلَام عليها، ليس هناك شيء خارج عن استيلاء



الله ﷻ وهل يقول مسلم أن الله مستو على الجبال أو مستو على الأشجار أو على الأنهار، فكونه سبحانه خص الاستواء بالعرش فهذا دليل على أن هذا الاستواء معناه العلو والارتفاع وليس معناه الاستيلاء؛ إذ لو كان معناه الاستيلاء لما كان هناك فرق بين العرش وغير العرش، فإن قالوا ربما أو اعترضوا هم وقالوا: لا؛ خص العرش بالاستواء لأنه أعظم المخلوقات ويدخل ما دونه من باب أولى.

واضح الإجابة؛ يعني لما قال لهم أهل السنة: أنتم تقولون معنى استوى استولى، إذن ما الفرق بين العرش وبين الجبال والأشجار والأحجار؟ قالوا: لا، هو خص الاستواء بالعرش لأنه أعظم وأكبر المخلوقات فغيره من باب أولى. قيل لهم: وهذا لا يمنع لو كان هذا هو المعنى المقصود لم يمنع أن يذكر الاستواء على غير العرش وإن كان العرش أعظم المخلوقات، وذلك كنسبة الربوبية، لما قال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١) نعم.

لم يمنع لما كانت الربوبية جائزة أن تنسب إلى العرش وما دون العرش نسبها إلى المخلوقات الأخرى ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾^(٣) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٤) فلم يمنع من نسبة الربوبية للعرش أي ينسبها لما دون العرش، فلو كان الاستواء معناه الاستيلاء لنسب الاستواء لما دون العرش، فدل على أن المقصود بالاستواء هو العلو والارتفاع، وهذا هو ظاهر النص، وهذا هو المعروف من لغة العرب، وهذا هو اللائق بالله سبحانه وتعالى نعم.

١ - سورة التوبة آية : ١٢٩.

٢ - سورة الرعد آية : ١٦.

٣ - سورة الشعراء آية : ٢٦.

٤ - سورة الأعراف آية : ١٢٢.



الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

ثم قال: باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين.

وذكر الآيات في ذلك، ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته، مثل قوله: **فَإِنْ سَأَلْتُمْ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ يَدَانِ؟ قِيلَ نَقُولُ ذَلِكَ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾** ^(١) وقوله تعالى: **﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾** ^(٢) وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذَرِيَّتَهُ﴾** ^(٣) وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ **﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَى بِيَدِهِ﴾** ^(٤) .
وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي. ويريد بها النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما من كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي. ويعني به النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: **﴿بَيْدَيَّ﴾** ^(٥) النعمة.
وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه.

نعم وهذا فيه أيضا التصريح بإثبات صفة اليدين لله ﷻ التي يؤولها جمهور الأشاعرة فضلا عن المعتزلة والجهمية، واستدل لذلك بقوله تعالى: **﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾** ^(٦) وقوله: **﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾** ^(٧) ثم ذكر

١ - سورة الفتح آية : ١٠ .

٢ - سورة ص آية : ٧٥ .

٣ - سورة ص آية : ٧٥ .

٤ - سورة الفتح آية : ١٠ .

٥ - سورة ص آية : ٧٥ .



حديث: [٥٤] إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته [٥٥] والحديث تقدم رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد ومالك في الموطأ ، ثم ذكر حديث: [٥٦] إن الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده [٥٧] حقيقة لم أقف على حديث بهذا اللفظ، وإنما جاء بمعناه في أحاديث منها ما رواه البيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال: [٥٨] إن الله ﷻ خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده [٥٩] وروى أيضا أبو نعيم في صفة الجنة والحاكم في مستدركه عن ابن عمر بلفظ: [٦٠] خلق الله أربعة بيده: العرش وجنات عدن وآدم والقلم [٦١] .

ثم قال: (وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي ويريد به النعمة) يرد على من فسر اليد أو أول اليد بالنعمة، وكذلك من أول اليد بالقدرة، فيقول هذا ليس سائغا في كلام العرب، ولا يجوز في كلام العرب أن يقول القائل: فعلت هذا الشيء بيدي ويريد بالنعمة، نعم يجوز في كلام العرب أن يقول: لي يد على فلان؛ بمعنى: لي نعمة على فلان؛ لكن لا يعرف في كلام العرب أن يقول: بنيت هذا البيت بيدي، ويقول قائل: يريدون النعمة، أو صنعت هذا الأمر بيدي، ويقول قائل: إنهم يريدون النعمة؛ فهذا ليس من كلام العرب.

وذكر أن الله ﷻ إنما خاطب العرب بلغتها، وبناء عليه فيفهم القرآن على وفق لغة العرب، ولهذا ذكر أهل العلم أنه لا يجوز للمفسر أن يفسر كلام الله إلا بعد أن يكون عالما بلغة العرب؛ لأن القرآن نزل بهذه اللغة، نعم.

(وما يجري مفهوما من كلامها ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أي أهل اللسان العربي أن يقول القائل: فعلت بيدي ويعني به النعمة، بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾^(١) النعمة، وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه)، وهذا فيه رد صريح لا يحتمل التأويل على أولئك الذين فسروا هذه الصفات بهذه التفسيرات، وهذا نموذج وعلى غيرها فقس نعم.



القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني وقوله في صفات الله

إثبات الوجه واليد والرد على من تأول ذلك

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري؛ ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده - قال في كتاب الإبانة تصنيفه: فإن قال: فما الدليل على أن لله وجهها ويدها؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ^(١) وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْهِ﴾ ^(٢) فأثبت لنفسه وجهها ويدها. فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجهها ويدها إلا جارحة؟ قلنا: لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه، وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرًا؛ لأننا وإياكم لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك، وكذلك الجواب لهم إن قالوا: فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفات ذاته عرضا واعتلوا بالوجود.

نعم وهذا النقل عن الرجل الثاني في مذهب الأشاعرة وهو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة أربعمائة وثلاثة، ويعتبره العلماء المؤسس الثاني لمذهب الأشعري، هو تتلمذ على تلامذة أبي الحسن الأشعري؛ لكنه يعد في الحقيقة المؤسس الثاني بعد أبي الحسن، وذلك لأنه وضع القواعد العقلية لمذهب الأشاعرة، والرجل - كما وصف شيخ الإسلام - ليس في هؤلاء المتكلمين لا قبله ولا بعده مثله، يعتبر صاحب - كما

١ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.



يقال - عقلية فذة، وكتبه تشهد بذلك، ولهذا كان حاضر الحجة حاضر البديهة، وناظر النصارى كثيرا، وأيضا رد على المعتزلة والجهمية والكرامية، وفي ردوده قوة؛ خاصة ما يتعلق منها بجانب العقل، ولهذا قال العلماء أنه فعلا هو المؤسس الثاني لمذهب الأشاعرة.

يقول: (وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده)، فعلا هو مقعد، يعني الرازي يعتبر من الأشخاص المبرزين في مذهب الأشعري؛ لكنه كثيرا - كما قال شيخ الإسلام - ما يقع في التناقض؛ لعدم التزامه القواعد العقلية التي أصلها، بخلاف الباقلاني نادرا ما يقع في التناقض لأنه اعتمد على قواعد عقلية، وكثير من القواعد التي اعتمد عليها الأشاعرة في تععيد مذهبهم بعد الباقلاني اعتمدوا فيها على ما أسسه هذا الرجل.

جاء بمسألة الجوهر الفرد، وجاء بمسألة أن العرض لا يقوم بنفسه، وجاء بمسألة بطلان المدلول إذا بطل الدليل، مسائل كثيرة يعتبر هو أول من قعدها - رحمه الله -.

يقول: قال في كتابه الإبانة - وللأسف هذا الكتاب لا يزال مفقودا - لكن له كتاب آخر التمهيد وهو مطبوع، ونقل منه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وسيشير إليه الشيخ هنا، ومما يحسن التنبيه إليه أن محققي هذا الكتاب؛ وهما الخضير ورجل يقال له أبو ريذة اعتمدوا على نسخة واحدة، وأشاروا إلى أن هذه النسخة ليست بكاملة، وكانت هذه النسخة لا تشتمل على ما نقله شيخ الإسلام ونقله ابن القيم من كلام الباقلاني في إثبات الاستواء والعلو.

فعرض هذا الأمر على الكوثري - عليه من الله ما يستحق - فقال ابن القيم: الآن أنتم تعرفون وأنتم تحققون هذا الكتاب على نسخة واحدة والنسخة أيضا أشرتكم إلى أنها ناقصة، فيقول الكوثري يجيب عن ذلك: - ابن القيم وابن تيمية نقلوا عن الباقلاني كلام في الاستواء وكلام في العلو ما وجدناه قال لهم: إما أن يكونا دسوا هذا



الكلام على الباقلاني لينصروا به مذهبيهم، وحسب هذا المسكين أن ابن تيمية أو ابن القيم أو غير ابن تيمية وابن القيم من أهل السنة بحاجة إلى كلام الباقلاني في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة.

أهل السنة والجماعة مستغنين بالكتاب والسنة، لكن نعم نستشهد بكلام الباقلاني وبكلام الأشعري لأجل الرد على من؟ على الخصوم، قال: إما أن يكونا دسا هذا الكلام على الباقلاني، وإما أن يكونا نقلا هذا الكلام من كتاب ظنا أنه كتاب الباقلاني الذي هو التمهيد. لكن لما أراد الله إظهار الحق خرج الكتاب بتحقيق مستشرق اسمه مكارثي حققه على مجموعة من النسخ الخطية، وجميع النسخ اشتملت على هذا النقل الذي ذكره شيخ الإسلام وابن القيم، فظهر الحق وزهق الباطل.

يقول في كتابه الإبانة: فإن قال: فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ^(١) وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ ^(٢) فأثبت لنفسه وجهاً ويداً، وهذا خلاف -أيضاً- مذهب الأشاعرة، فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجهاً ويداً إلا جارحة؟

هذه من الشبه التي يقول بها من ينفي عن الله صفة الوجه وصفة اليد. يقول: كيف تثبت لله وجهاً ولله يدين ونحن لا نعقل وجهاً ولا يدين إلا هذه الجوارح التي هي صفات البشر؟ -واضح وجه الاعتراض- فرد عليهم الباقلاني بقوله: قلنا: لا يجب هذا؛ يعني لا يلزم؛ لا يلزم من إثبات الوجه واليد لله ^(٣) أن يكون كيد ووجه الإنسان؛ لأننا لا نعقل وجهاً ولا يداً إلا هذا الوجه واليد المعهود.

قلنا: لا يجب هذا، كما لا يجب إذا لم نعقل حياً -أنتم معاشر الأشاعرة تثبتون أن الله حي أو ما تثبتون؟ - يثبتون أن الله حي، (عالماً) - تثبتون لله العلم - (قادراً) - تثبتون لله القدرة - (إلا جسماً) يعني أنتم معاشر

١ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.



.....
المعتزلة أستم تسمون الله ﷻ حيا عالما قادرا؟ وإلا لا؛ المعتزلة يسمون الله ﷻ بهذه الأسماء لكن لا يشبتون الصفات، وأنتم معاشر الأشاعرة تثبتون لله الحياة والسمع والبصر؛ هل تعقلون: حي عالم قادر غير هذا الجسم الذي تشاهدون؟ الجواب: لا. إذا كيف أثبتتم لله ﷻ هذه الأسماء وهذه الصفات؟ فإن قالوا: أثبتناها على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى. قلنا لهم: ونحن نثبت الوجه واليدين وبقية الصفات على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

وهذه قاعدة من أقوى القواعد التي يرد بها على من يشبث شيئا وينفي ما يماثلها، وهذه القاعدة هي ما ذكرها شيخ الإسلام: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض، هذه القاعدة تستخدمها للرد على كل شخص أثبت شيئا ونفى ما يماثلها، ولهذا نستخدم هذه القاعدة مع الجهمية في نفي الأسماء والصفات، ونستخدمها مع المعتزلة الذين يشبتون الأسماء وينفون الصفات، ونستخدمها مع الأشاعرة الذين يشبتون بعض الصفات وينفون بعضها، وهي من أقوى القواعد التي يرد بها على الأشاعرة؛ لأنهم الآن يشبتون لله العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

نقول: أنتم الآن تثبتون لله سبع صفات ونحن لا نعقل متصف بهذه الصفات إلا ما هو جسم. قالوا: لا. نحن نثبت هذه الصفات على الوجه اللائق به سبحانه. قلنا لهم: ونحن نثبت النزول والمجيء واليدين والوجه والقدم والأصابع والغضب والرحمة كلها نثبتها على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

وهذا معنى كلام الباقلاني في هذه الأصل؛ أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، يقول: (قلنا: لا يجب هذا؛ كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه).

يقول: نحن لا نقول أن الله جسم لأنه يسمى حيا عالما قادرا أو يوصف بهذه الأشياء، كذلك نثبت أن له وجه ولا نقول أنه يماثل وجوه المخلوقين، وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرًا؛ الجوهر من



الألفاظ أيضا المجملة التي جاء بها المتكلمون، وهي أو يعرفون الجوهر: ما قام بنفسه، يقابل ماذا؟ العرض: القائم بغيره. الرحمة هل تقوم بنفسها؟ الغضب، العلم، الحياة؟ هذه يسمونها أعراض لأنها لا يمكن أن تقوم بنفسها، لا بد أن تقوم بجوهر، لكن اليد جوهر قائم له ذات. واضح، فالجوهر هو الشيء الذي يقوم بنفسه.

يقول: (وكما لا يجب في كل شيء قائم بذاته) يعني يقول: هل تقولون أن الله قائم بذاته ولا ليس بقائم بذاته؟ الجواب: المعتزلة والأشاعرة يقولون: الله قائم بذاته. طيب يقول: هو: لا نعقل شيئا قائما بذاته إلا ما كان جوهرًا، وهم والمعتزلة ينفون أن يكون الله جوهرًا، ونحن لا نثبت ولا ننفي لأنها من العبارات المجملة ولا بد فيها من الاستفسار.

فالشاهد أنه من باب الإلزام، الباقلاني يلزم هؤلاء الذين نفوا بعض الصفات وأثبتوا بعضا، (لأننا لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك، وكذلك الجواب لهم) بمعنى أننا نثبت لله اليد اليدين والوجه ولا نقول أنها جوارح، ولا يلزم أن تكون جوارح كما هي ثابتة لبني آدم، إن قالوا: فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا بالوجود، نعم هؤلاء المعتزلة، المعتزلة ينفون هذه الصفات عن الله ﷻ خلافا للأشاعرة - ينفون عن الله العلم والحياة والكلام والسمع والبصر وسائر الصفات، وعلتهم في ذلك أو من شبههم أنها أعراض وهذا لا يجوز أن ينسب لله عز وجل؛ لأن العرض لا يقوم إلا بجوهر، وعندهم الجواهر متماثلة، والأجسام متماثلة، إلى آخر شبه عقلية لا تنتهي لها.

الشاهد أنه يقول: أنه يلزمكم في كل ما أثبتموه نظير ما نفيتموه حتى تصلوا إلى صفة الوجود، آخر المطاف سننتهي نحن وإياكم إلى صفة الوجود، هل تثبتون لله صفة الوجود ولا لا؟ فإن قالوا: لا. فقد حكموا على الله بأنه عدم وهذا غاية الإلحاد، وإن قالوا لا؛ نثبت لله أنه موجود وصفة الوجود، قيل: وهل تعقلون وجودا في هذا الشاهد غير وجود هذا المخلوق؟ فإن قالوا: لا. وجود الله لائق به سبحانه. قلنا لهم: وسمعه وبصره وكلامه وحياته وعلمه ووجهه ويديه كلها لا ثقة به سبحانه وتعالى لا فرق بين هذا وذاك. نعم.



إثبات صفة الاستواء لله ﷻ

وقال: فإن قال: تقولون إنه في كل مكان. قيل له: معاذ الله؛ بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(١) وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ^(٢) وقال: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ^(٣) قال: ولو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.

يقول: فإن قال قائل: تقولون إنه في كل مكان. قال: معاذ الله؛ يعني لا يمكن أن نشب ذلك؛ بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه، وهذا تصريح منه - رحمه الله - بإثبات صفة الاستواء، وأنه عال على الخلق، ثم ذكر هذه الأدلة النقلية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(٤) و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ^(٥) وقلنا: إن هذه الأدلة الصريحة في إثبات العلو.

ثم ذكر دليلا عقليا يرد على من قال: إنه في كل مكان. فقال: لو كان في كل مكان للزم أن يكون في بطن الإنسان وفمه؛ يعني لا يخلو منه مكان لأنه في كل مكان، كل ما صدق عليه أو كل ما صدق أن يطلق عليه مكان

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة فاطر آية : ١٠.

٣ - سورة الملك آية : ١٦.

٤ - سورة طه آية : ٥.

٥ - سورة فاطر آية : ١٠.



.....
فيلزم أن يكون في هذا المكان، ولزاد بزيادة هذه الأمكنة، فإذا ولد مولود - تعالى الله - صار في هذا المكان، وإذا فني هذا المخلوق ذهب من هذا المكان، وهذا لا يقوله عاقل، ولهذا قال: يزيد بزيادة الأمكنة إذا خَلَقَ منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها، كل هذه أدلة عقلية للرد على هؤلاء.

والدليل الثاني - أيضا العقلي - : ولصلح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، نحن قلنا أن الله ﷻ فطر الخلق أنهم يتوجهون إلى أي جهة؟ إلى جهة العلو، فيقول: لو لم يكن في العلو وكان في كل مكان؛ لتوجه الناس إليه بقلوبهم وأيديهم؛ أمام وخلف ويمين وشمال وتحت وفوق لأنه في كل مكان، وهذا أيضا لا يقوله عاقل. ولهذا قال: وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله؛ بل ذكر شيخ الإسلام أنه حتى الكفار لا يقولون بهذا القول، الكفار إذا حاربهم أمر توجهوا بقلوبهم إلى السماء، وذكر ابن القيم حتى الحيوانات تتوجه بأعينها ورؤوسها إلى السماء، فهذا مما فطر عليه الخلق قاطبة نعم.



إثبات الصفات الذاتية لله ﷻ

وقال أيضا في هذا الكتاب: صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا. وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا، وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن يطلبه، وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

نعم. يقول: وقال أيضا بهذا الكتاب الذي هو كتاب الإبانة: صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها، وقلنا أن الصفات الذاتية تقابل الصفات الفعلية وهي اللازمة لله ﷻ أزلا وأبدا، لا يمكن أن ينفك عنها بحال من الأحوال كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر؛ بمعنى أننا لا نتصور أن الله ﷻ يمكن أن يتجرد عن هذه الصفة فهي لازمة له، هذه الصفات الذاتية، ذكر أو مثل على ذلك بالحياة العلم القدرة السمع البصر الكلام الإرادة البقاء، هذا لا خلاف فيه، الوجه هذا مما يخالف فيه الأشاعرة، والعينان واليدان.

لكن كيف جعل الغضب والرضا من الصفات الذاتية؟ جعلهما من الصفات الذاتية لأنه أولهما بالإرادة، لأنه قال في كتابه: والغضب والرضا هما الإرادة، والإرادة صفة ذاتية.

ثم قال: وقال في كتاب التمهيد - وهو الكتاب المطبوع الآن المتداول - كلاما أكثر من هذا؛ يعني أكثر مما ذكره هنا في كتابه الإبانة ثم قال: وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن يطلبه؛ يعني يقول ليس المقصود هنا جمع كل كلام المتكلمين؛ وإنما المقصود الإشارة، وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام، نعم.



.....

يعني لسنا أو ليس أهل السنة والجماعة في عقيدتهم يتوقفون على إثبات فلان أو فلان أو فلان لهذه المسائل؛ يعني لسنا متوقفين على إثبات هذه الصفات لله ﷻ على إثبات أبي الحسن، أو إثبات البيهقي، أو إثبات أبي بكر بن فورك، أو إثبات أبي عبد الله بن خفيف، نعم أو إثبات الباقلاني في التمهيد؛ لأننا مستغنين بالكتاب والسنة وكلام السلف ففيهما الغنية؛ لكن الشيخ أورد كلام هؤلاء للرد به على أتباعهم، للرد به على الخصوم، كأنه يقول: معاشر الأشاعرة هؤلاء أئمتكم، هذه نصوص الكتاب والسنة صريحة.

فإن قلتم: أنتم لم تفهموا الكلام؛ كلام الله ولا كلام رسوله، قيل لهم: هذا كلام أئمتكم الذين إليهم تنتسبون، ولهم تعظمون، وتزعمون أن مذهبكم امتداد لأقوالهم، هذه أقولهم صريحة لا تحتل النقاش، فإن قالوا: قالوا هذا أول الأمر ورجعوا عنه.

قلنا لهم: هذه دعوى، ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١) هذه كتبهم متداولة بين أيدينا وكلامهم صريح، فإذا لم تقبلوا لا كلام الله ولا كلام رسوله ولا كلام السلف ولا كلام أيضا من تعظمونه ومن تنتسبون إليه إذاً ستقبلون كلام من؟ ولكن هو الهوى كما سيذكره الشيخ، إذا ابتلي الإنسان بالهوى أصيب بالعمى والصمم، عمي قلبه عن الحق، وكما قال الله ﷻ عن حال هؤلاء: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ^(٢) نعم.

١ - سورة البقرة آية : ١١١ .

٢ - سورة الصف آية : ٥ .



قبول الحق ونبذ التعصب

وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانا بحيث يكون له عقل ودين، حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء؛ ولكن كثيرا من الناس قد صار منتسبا إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسنا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهما أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم.

ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة، ثم لا يستمسك بما جاءت به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ ^(١) فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل علينا.

قال الله لهم: فلم تقتلتم الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، يقول سبحانه: لا ما جاءكم به أنبياءكم تتبعون، ولا لما جاءكم به سائر الأنبياء تتبعون، ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرهم؛ مع كونه يتعصب لطائفة دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان.

نعم يقول: ملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانا، نعم. إذا أراد الله ﷻ لعبده خيرا وهب له حكمة، وهب له عقلا يزن به الأمور، وإيمانا يدين الله ﷻ به، يقول: ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء، نعم.



هذا هو الأصل وهذا هو المفترض أن الإنسان يستكمل بنور الكتاب والسنة، أن الإنسان يستتير بنور الكتاب والسنة، أن الإنسان يدين الله ﷻ بهذين الأصلين.

يقول: ولكن كثير من الناس قد صار منتسبا إلى بعض طوائف المتكلمين؛ يعني ينتسب إلى طائفة الأشعرية أو المعتزلة أو الكلابية أو الكرامية، نعم.

ومحسنا للظن بهم دون غيرهم؛ يعني محسنا للظن بأسلافه المتقدمين وبأئمة هذا المذهب دون غيرهم؛ يعني لأنه لو أتى مثلا بكلام الإمام الشافعي أو كلام الإمام أبي حنيفة أو كلام الإمام مالك ما قبل، ولا يقبل إلا إذا جاء الكلام عن إمامه هذا المعظم، وهذا خلاف المنهج العلمي الصحيح، وذلك أن المسلم مطلوب منه أن يقبل الحق ممن أتى به بغض النظر عن نحلة ومذهب هذا الشخص؛ لأن المقصود هذا الحق؛ فيقبل ممن جاء به.

هؤلاء لا؛ زاد عندهم التعصب فعميت أبصارهم فلا يقبلون إلا عن أهل نحلته، يقول: (ومتوهما أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم)؛ بمعنى أنه مغتر لما مع هؤلاء من زخرفة القول ومن هذه المقدمات ومن هذه الجدليات ومن هذه السفسطات، جاءوا بزخرف من القول اغتر به هؤلاء الجهال الأتباع، وحسبوا أن هذه المسائل لم يعرفها حق المعرفة إلا أولئك الأئمة الذين ينتسب إليهم ويعظمهم.

يقول: (فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم)، وهذه نتيجة التعصب والتقليد الأعمى؛ يعني يرد كلام الله وكلام رسوله، نعم ويقبل كلام فلان وعلان لأنه من أهل نحلته وملته، ويروى عن بعضهم؛ وإن كان في مسائل الفروع في مسائل الفقه، لكنها كلمة خطيرة وتدل على أثر التقليد الأعمى على بعض الناس، قال بعضهم: كل آية وحديث على خلاف ما قال به الإمام فهي إما مؤولة أو منسوخة؛ يعني جعل كلام إمامه هو الأصل، وهذا أحد أئمة الأحناف - عفا الله عنا وعنهم - جعل كلام الإمام هو الأصل والكتاب والسنة يعرضان على كلام هذا الإمام، وهذه نتيجة التعصب الأعمى.



يقول الشيخ: (ثم هم مع هذا) يعني مع هذا التعصب ومع هذا التقليد الأعمى لأئمتهم (مخالفون لأسلافهم)، هؤلاء الأشاعرة مخالفون لأسلافهم لأن هذا كلام أسلافهم، هذا كلام الأشعري، هذا كلام الباقلاني، هذا كلام البيهقي، يخالف ما عليه الأتباع، يقول: (ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى)؛ يعني لو قبلوا هذا الحق الذي جاء به أسلافهم مع صدق النية في الحرص على اتباع الحق لرجي لهم أن يوفقوا للحق.

يقول: ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءت به من الحق)؛ يعني لا يقبل هذا الأشعري لا يقبل إلا بما جاء به الأشاعرة، وهذا المعتزلي لا يقبل إلا بما جاء به أئمة المعتزلة، ثم لا يقبل الحق الذي جاء به هؤلاء الأئمة الذين ينتسب إليهم، يقول: من كانت حاله كهذه الحالة ففيه شبه ممن؟ ممن؟ من اليهود؛ الذين ما قبلوا الحق في الكتب المنزلة الأخرى، ولا قبلوا الحق الذي أنزل عليهم، يقول: (ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ^(١) الآية فإن اليهود قالوا: لا نؤمن بما أنزل الله علينا، قال الله لهم: فلم قتلتم الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، يقول سبحانه: لا ما جاءكم به أنبياءكم تتبعون، ولا لما جاءكم به سائر الأنبياء تتبعون، ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرهم، مع كونه يتعصب لطائفة دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان)، كونك تتعصب لهذه الطائفة أو هذا المذهب أو هذه الملة أو هذه النحلة، هذا تعصب مبتدع ليس عليه دليل وليس عليه برهان من الله ﷻ نعم.



أبو المعالي الجويني وقوله في صفات الله ﷻ

اختلاف العلماء في ظواهر نصوص الصفات

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية : اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردنا وتفويض معانيها إلى الرب. قال: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً أتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستندٌ مُعْظَمُ الشريعة.

نعم وهذا أبو المعالي الجويني المتوفى سنة ثمان وسبعين وأربع مائة؛ عبد الملك بن عبد الله بن يوسف؛ الملقب بإمام الحرمين، يعتبر من أئمة الأشاعرة؛ بل يعتبره بعض أهل العلم أنه من أوائل من قرب أصول مذهب المعتزلة لمذهب الأشاعرة، ذكر الذهبي -رحمه الله- أنه رجع في آخر حياته إلى مذهب السلف، ولهذا أثر عنه أنه قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام. ويروى عنه أيضاً أنه قال في مرض موته: أشهدوا علي أنني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وإنني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور، فنرجو له صدق التوبة، وقدم وأفضى إلى ما قدم.

يقول -رحمه الله- في كتاب له باسم الرسالة النظامية وطبعت باسم العقيدة النظامية بتحقيق الكوثري يقول: (اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر) أي ظواهر؟ ظواهر نصوص الصفات: قول الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى

عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١)



﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾^(١) ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾^(٢) ﴿ لَمَّا خَلَقَتْ بَيْدَى ﴾^(٣) نعم ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٤) ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾^(٥) ونحو ذلك، ظواهر نصوص الصفات. يقول: (اختلفت مسالك العلماء) يعني اختلفت مواقف العلماء تجاه هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتأويل: قلنا في اصطلاح المتأخرين وهو الذي يريده هنا الجويني ما هو؟ صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، عن المعنى الظاهر إلى معنى بعيد. هم يقولون: للدليل يقترب بذلك. نحن نقول: إذا كان الدليل صحيحا فالتأويل صحيح، وإذا كان الدليل فاسدا فالتأويل فاسد.

يقول: (فرأى بعضهم تأويلها) أي تأويل ظواهر هذه النصوص، لما يأتي قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(٦) يقول: لا، نحن نؤول الاستواء فنقول: الاستيلاء، إذا جاءت نصوص العلو يقول: نؤولها بعلو القدر علو القهر، باليدين نؤولها بالقدرة بالنعمة ونحو ذلك، هذا الذي يسميه هؤلاء تأويلا.

يقول: (فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن) يعني يؤولون ظواهر القرآن وظواهر نصوص السنة التي جاءت في صفات الله ﷻ.

(وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل)؛ بمعنى ترك التأويل بهذا المعنى الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، (وإجراء الظواهر على مواردها) بمعنى إجراء هذا الظاهر على معناه الظاهر.

١ - سورة النساء آية : ١٥٨.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ - سورة ص آية : ٧٥.

٤ - سورة الأعراف آية : ١٥٦.

٥ - سورة النساء آية : ٩٣.

٦ - سورة الأعراف آية : ٥٤.



(وتفويض معانيها إلى الرب) لنا هنا وقفة: فإن كان يريد أبو المعالي -رحمه الله- التفويض الذي هو التفويض في اصطلاح المتأخرين؛ فنقول: لا وكلا واتهمت السلف بذلك وحاشا السلف أن يقولوا بذلك، التفويض الذي هو أيش؟ لا، التفويض الذي يريده أبو المعالي؛ تفويض المعنى؛ بمعنى تفويض معنى هذه الآية أو هذا النص إلى الله ﷻ تقرأ قول الله ﷻ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(١) يقول ما ندري ما الله أراد بهذا اللفظ، ربما أراد به الصلاة، ربما أراد به الزكاة، ربما أراد به السفر، ربما أراد به الحج، ما نفقه من هذا اللفظ شيئا، ويسمون هذا يسمونه أيش؟ تفويض، فهذا ليس هو مذهب السلف ولا يقول به السلف، ومن نسبه للسلف فقد افترى عليهم إنما عظيمًا، حاشا السلف أن يقولوا بهذا القول، حاشا السلف أن يكونوا أمام هذه النصوص كالأعاجم؛ يسمع اللفظ ولا يفقه منه شيئا، إذا ما فائدة إنزال هذا النص؟ الله ﷻ أخبرنا أنه أنزل هذا القرآن لأيش؟ للتدبر، والتدبر متوقف على أيش؟ فهم المعنى، ولهذا مجاهد يقول: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه عند كل آية أسأله عن معناها. فهل يمكن أن يترك نصوص الأسماء والصفات؟ والقرآن مليء بنصوص الأسماء والصفات.

وإن أراد تفويض المعاني التي هي الكيفية وحقيقة هذه الصفات وكنه هذه الصفات فصدق، نعم السلف تركوا التأويل وأجروا اللفظ على ظاهره نعم وفوضوا الكيفية؛ لمن؟ لله ﷻ فقالوا: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَى﴾^(٢) هذه الآية نجريها على ظاهرها، فتدل على إثبات صفة اليدين حقيقتين لله عز وجل؛ لكننا نفوض كيفية هذه اليد لله ﷻ لا نعلم كيفيتها، وهذا هو المذهب الحق.

١ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.



اتباع سلف الأمة

قال: (والذين نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً؛ العقدة عند العرب هي الحائط الكثير النخل، كأن الرجل إذا اتخذ ذلك اتخذ هذا النخل فقد أحكم أمره ونفسه واستوثق من حاله، ثم أطلق على عقد القلب على الشيء واستيثاق القلب على الشيء، فقلوه: (الذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً)؛ أي عقيدة مستوثقين بهذا الأمر (اتباع سلف الأمة) في أي شيء؟

في إجراء هذه النصوص على ظاهرها، وتفويض الكيفية إلى الله ﷻ (والدليل السمي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة)، يقول: إن السلف أجمعوا على إجراء هذه النصوص على ظاهرها من غير تعرض لتأويلها هذه التأويلات الباطلة، وإجماعهم حجة، ومن ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ^(١) فالإجماع حجة، فما دام أنهم أجمعوا على هذا الأمر، فيقول: هذا هو الحق الذي يجب اتباعه، (وهو مستند معظم الشريعة)؛ أي الإجماع.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



إعراض الصحابة عن تأويل هذه النصوص ودرك ما فيها

وَقَدْ دَرَجَ صَحْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَعَانِيهَا، وَدَرَكِ مَا فِيهَا - وَهُمْ صَفْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَالْمُسْتَقْبَلُونَ بِأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ، وَكَانُوا لَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِي ضَبْطِ قَوَاعِدِ الْمِلَّةِ، وَالتَّوَصِّي بِحِفْظِهَا، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْهَا - فَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ مُسَوِّغًا أَوْ مُحْتَوًّا: لَأَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُمْ بِهَا فَوْقَ اهْتِمَامِهِمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، وَإِذَا انْصَرَمَ عَصَرُهُمْ وَعَصُرُ التَّابِعِينَ عَلَى الْإِضْرَابِ عَنِ التَّأْوِيلِ: كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَجْهُ الْمَتَّبِعُ، فَحَقَّ عَلَى ذِي الدِّينِ أَنْ يَعْتَقِدَ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ صِفَاتِ الْمُحَدَّثِينَ وَلَا يَخُوضَ فِي تَأْوِيلِ الْمُشْكَلَاتِ، وَيَكِلَ مَعْنَاهُ إِلَى الرَّبِّ؛ فَلْيَجْرِ آيَةُ الْإِسْتِثْوَاءِ وَالْمَجِيءِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ^(١) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ^(٢) وَقَوْلُهُ: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ ^(٣) وَمَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِ الرَّسُولِ ﷺ كَخَبَرِ النُّزُولِ وَغَيْرِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال هذا الكلام هو كلام أبي المعالي الجويني إمام الحرمين يقول: (قد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها)، كلامه حول مسألة إعراض الصحابة عن تأويل هذه النصوص.

١ - سورة ص آية : ٧٥.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ - سورة القمر آية : ١٤.



.....

وذكر في الكلام السابق أن هذا هو الأولى، هنا يقول: درج أصحاب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها، إن كان يقصد ترك المعاني من جهة التكييف فهذا حق، فالصحابه رضي الله عنهم لم يتعرضوا لكيفية الصفات، ولم يحاولوا أن يبحثوا في هذه المسألة؛ لأنهم علموا أن هذا مما استأثر الله بعلمه ولا يمكن أن يدرك بالعقل المجرد، أما إن أراد أنهم تركوا التعرض لمعانيها؛ بمعنى أنهم كانوا يقرءون هذه النصوص ويسمعون هذه النصوص كأنها ألفاظ أعجمية لا يفقهون منها شيئاً؛ فحاشا وكلا، وأنهم يفوضون المعنى على المذهب الباطل؛ الذي يزعم بعض المتكلمين أنه مذهب الصحابة.

التفويض تفويض المعاني؛ بمعنى أنهم لا يعرفون معنى قوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(١) ولا يعرفون معنى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَى﴾^(٢) بل يفوضون معنى هذا النص إلى الله، فهذا قول باطل ولا يسلم لقائله؛ بل ينزه الصحابة وينزه كلام الله ﷻ عن أن يكون منه ما لا يفهم معناه، وهذا سيأتي بيانه إن شاء الله.

(ودرك ما فيها) يعني معرفة كنه وحقيقة هذه الصفات، (وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهداً) أي لا يقصرون ولا يدعون جهداً (في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها)، بمعنى أنهم كانوا أحرص الناس على تبليغ شرع الله ﷻ لمن بعدهم، فإن الله ﷻ ائتمنهم على حفظ دينه فأدوا هذه الأمانة على أتم وأعلى الوجوه، أدوا هذا الشرع كما سمعوه من النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان.

يقول: (فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً) التأويل الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، يعني صرف معاني هذه الألفاظ عن معانيها الظاهرة معانيها القريبة معانيها المعهودة

١ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.



المعروفة عند أهل اللسان عند العرب ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَى﴾^(١) العرب يعرفون ما معنى اليدين. فيقول: لو كان التأويل يعني صرف هذه الظواهر وهذه النصوص عن معناها إلى معنى بعيد سائغا أو متحتما (لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة).

إذا كانوا حرصوا يبلغون الأمة حركة إصبع النبي ﷺ في الصلاة، وحرصوا أن يبلغوا الأمة وينظروا للأمة اضطراب حركة لحيته في الصلاة، ونقلوا للأمة كيف كان يقضي حاجته ﷺ وكيف كان ينام، بل نقلوا للأمة أنه لما انتقل من مزدلفة إلى عرفة وقف في أثناء الطريق ونقض وضوءه وتوضأ، نقلوا الحركات والسكنات، نقلوا حياة النبي ﷺ العلمية والعملية كاملة، فلو كان هذا التأويل سائغا أو متحتما لكان اهتمامهم به أعظم من اهتمامهم بفروع الشريعة؛ لأن هذا متعلق بماذا؟ متعلق بأهم المهمات متعلق بالعقيدة متعلق بالتوحيد متعلق بالشيء الذي يترتب عليه السعادة الحقيقية للمسلم في الدنيا والآخرة، يعني كون المسلم يجهل بعض أحكام الوضوء أو يجهل بعض أحكام الصلاة أو بعض أحكام الزكاة أو بعض أحكام البيع أو بعض أحكام النكاح أهون من أن يجهل مسألة واحدة من مسائل أصول الدين، فكيف يقول عاقل: إن الصحابة تركوا تأويل هذه النصوص لأن هذا كلامهم موجود؟ ما نقل عن واحد منهم أنه أول نص واحد من نصوص الصفات، فلو كان هذا هو المتحتم وهذا هو الواجب لبادروا إليه كما بادروا لتبليغ سائر أحكام الشرع؛ بل أعظم مما بادروا لتبليغ سائر أحكام الشرع.

(أو يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل) فهذا كلامهم منقول مبسوط في دواوين السنة، في مصنفات الأئمة، وكذلك كلام التابعين لم ينقل عن شخص واحد منهم أنه قال: إن معنى قول الله ﷻ ﴿ثُمَّ آسَتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢) ثم استولى على العرش،

١ - سورة ص آية : ٧٥.

٢ - سورة الأعراف آية : ٥٤.



﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾^(١) بقدرتي أو بنعمتي، أو ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) أراد عقابهم أو ﴿ وَرَحِمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٣) أي أردت الإثابة. لم ينقل عن واحد منهم ولا عن التابعين، فإضرابهم عن هذا الأمر دليل على أنه ليس بمشروع، وأنه باطل لأنه لو كان حقاً لكانوا أسبق إليه.

(كان ذلك هو الوجه المتبع)؛ بمعنى إذا كان الصحابة والتابعون أضربوا عن التأويل فالأولى لمن أتى بعدهم والأولى بنا... أيش؟ الأولى اتباعهم بهذا الأمر، فترك تأويل هذه النصوص كما تركوها، ونجربها كما أجزاها أولئك على ظاهرها من غير التعرض لمعرفة كيفيتها أو التعرض لتشبيهها بصفات الخلق.

(فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الله عن صفات المحدثين) نعم يجب على المسلم أن ينزه الله ﷻ عن صفات المخلوقين؛ بمعنى إذا أثبت لله اليمين أو أثبت لله العينين أو أثبت لله الوجه أو أثبت لله المجيء أو النزول فلا بد أن أعتقد أن هذه الصفات تليق بجلاله وعظمته.

يقول: (ولا يخوض في تأويل المشكلات) هو عد هذه النصوص من النصوص المشككة؛ لكن الصحيح أنها ربما تشكل على بعض الناس لكن ليست بمشككة على الإطلاق بل هي من النصوص المحكمة النصوص البينة النصوص الظاهرة.

(ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناه إلى الرب) يكل معناه من حيث الكيفية أما المعنى الحقيقي فلا، فالله ﷻ بين لنا معنى هذه النصوص، كيف بينها؟ كيف بين لنا معنى هذه النصوص؟ أبو المعالي يقول: ويكل معناها إلى الله. نحن نقول: معناها من جهة الكيفية؛ لكن من جهة المعنى فإن الله بينه ولم يخفه عن عباده، كيف بين ذلك؟ أحسنت، نقول: بينها لأن الله ﷻ أنزل إلينا هذا الكتاب باللسان العربي وأمرنا بتدبره؛ فدل على أن

١ - سورة ص آية : ٧٥.

٢ - سورة المجادلة آية : ١٤.

٣ - سورة الأعراف آية : ١٥٦.



معناه مقبول نعم من حيث يفهم اللسان العربي فليس فيه تعمية وليس فيه إلغاز وليس فيه أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه.

(فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾^(١) ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢) وقوله: ﴿تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٣) وما صح من أخبار الرسول ﷺ كأخبار النزول وغيره على ما ذكرنا) أي ليجري هذه النصوص من غير تعرض أيش؟ لتأويلها كما صنع المتأخرون وليجرها على ظاهرها، لأن الذي يؤول هذا النص هل أدى النص على ظاهره؟ لا. الظاهر هو المعنى القريب المفهوم، فهذا الذي أول النص نقل النص من ظاهره إلى معنى... أيش؟ إلى معنى آخر بعيد، فالمؤلف هنا يقول: طريقة الصحابة وطريقة التابعين أنهم أجروا هذه النصوص على ظاهرها ولم يتعرضوا لها بالتأويل كما صنع المتأخرون نعم.

١ - سورة ص آية : ٧٥.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ - سورة القمر آية : ١٤.



مراد شيخ الإسلام من جواب الفتوى الحموية

قُلْتُ: وَلْيَعْلَمِ السَّائِلُ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ ذِكْرُ أَلْفَاظِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ نَقَلُوا مَذْهَبَ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْ قَوْلِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُ بِجَمِيعِ مَا نَقُولُهُ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ؛ وَلَكِنَّ الْحَقَّ يَقْبَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ؛ كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَقُولُ فِي كَلَامِهِ الْمَشْهُورِ عَنْهُ، الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: (اقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ؛ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا - أَوْ قَالَ فَاجِرًا - وَاحْذَرُوا زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، قَالُوا: كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: إِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا) أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

نعم انتهى كلام الجويني، ثم قال الشيخ أي شيخ الإسلام: (قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب) الذي هو هذه الرسالة التي بين أيدينا؛ لأنها في الأصل جواب لسائل، يقول: (وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب)؛ أي جواب الفتوى الحموية (ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب) بمعنى ليس المقصود هنا حصر جميع أقوال الأئمة، هذا يتعذر في كتابة جواب لسائل.

يقول: (وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره) نعم وهذا أمر مهم، وهو أن الشيخ نقل فيمن نقل عنهم نقل عن بعض المتكلمين نعم كما نقل أبي الحسن الأشعري، وكما نقل عن أبي المعالي الجويني، وعن أبي بكر بن فورك، وعن البيهقي وغيرهم، فهؤلاء لا يقولون بكل ما يقوله أهل السنة، ولا يذهبون إلى كل ما يذهب إليه أهل السنة، فعندهم مخالافات في أمور أخرى.

ولكن الشيخ يقول: (ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به) وهذا هو المنهج الصحيح، هذا هو المنهج العلمي الذي درج عليه الأئمة: أن الحق يقبل ممن جاء به حتى وإن كنت لا أتفق معه في كل ما يقوله أو في كل



.....

ما .يقدر فيه، فإذا كان النبي ﷺ أمر أبا هريرة رضي الله عنه أن يقبل الحق من الشيطان نعم من الشيطان؛ فكيف لا يقبل الحق من غيره؟! ولهذا لما وافق مثلاً الباقلاني والجويني أهل السنة في إثبات بعض نصوص الصفات.

أو ترك التأويل بالمعنى الموجود عند المتكلمين؛ استشهد بهذا المؤلف استشهد بكلامهم واحتج بكلامهم لأن كلامهم هنا أيش؟ حق. وهذا هو - كما أسلفت - المنهج الحق، وهذا خلاف ما عليه بعض الإخوة - عفا الله عنها وعنه - في هذا الوقت، إذا أخطأ شخص أهدر جميع حسناته، إذا أخطأ في مسألة فكأن هذا الرجل لا يتكلم بصواب ألبتة، فكل ما يقوله باطل، حتى أحياناً يقول قولاً ظاهره ومفهومه ومنطوقه هو الحق؛ لكن يذهب هذا الرجل ليلتمس معنى بعيد جداً لهذا الكلام ليلويه ويدل أن الرجل ما أراد الحق، يا أخي لا يضر أن نقبل الحق من هذا الشخص وإن كنا لا نوافقه مثلاً في هذه المسألة أو في تلك أو في هذا الرأي أو في هذا المذهب.

لاحظ عندنا شيخ الإسلام استدل بكلام أو احتج؛ لا أقول استدل؛ إنما احتج بكلام هؤلاء المتكلمين؛ بكلام الجويني وقد سود شيخ الإسلام كتبه في الرد على الجويني؛ في كتابه الإرشاد وغيره، لكن الحق يقبل ممن جاء به، رد على أبي بكر بن فورك، واستشهد بقوله، وربما رد على بعض المتصوفة لكنه استشهد بأقوالهم هنا، فإذا كان قولهم يوافق الحق فما المانع أن أستشهد به خاصة إذا كان في مجال الرد على من؟ على الخصوم، وسبق أن ذكرت لكم أن هذا المنهج هو من أقوى المناهج في الرد على المخالف.

وربما رد على بعض المتصوفة، لكنه استشهد بأقوالهم هنا، فإذا كان قولهم يوافق الحق؛ فما المانع أن نستشهد به؟ خاصة إذا كان في مجال الرد على من؟ على الخصوم.

وسبق أن ذكرت لكم أن هذا المنهج هو من أقوى المناهج في الرد على المخالف؛ أنك تحتج عليه، وتستشهد عليه بقول من يعظمه، بقول من يقلده فلا يبقى له أدنى عذر، وهذا ما سلكه الشيخ هنا، وفي غير هذا الموضوع في كتبه الأخرى.



ثم يقول: ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به، كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه: "اقبل الحق من كل من جاء به، وإن كان كافرا" حتى لو كان المتكلم بالحق كافرا يقبل؛ لأن العبرة أيش؟ بما يقول . لا العبرة بحاله حالهم أبغض .

إذا جئت أناقش مظهر الشخص، وحكم هذا الشخص نعم أنظر إلى أقواله الأخرى، لكن إذا تكلم بالحق فأقبل عليه أو قال فاجرا واحذروا زيغة الحكيم؛ قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال إن على الحق نورا أو كلاما هذا معناه الشيخ اختصره.

وإنما هو عند أبي داود عن أبي إدريس الخولاني قال: أن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل أخبره، قال: كان لا يجلس مجلسا للذكر -يعني معاذ- حين يجلس إلا قال: الله حكم قسط، هلك المرتابون، فقال معاذ بن جبل يوما: إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن؛ حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر -ملاحظ الآن واقع اليوم- قلما أن تجده لا يقع، ثم يقول: فيوشك قائل أن يقول:

ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، واحذروا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق.

قال: قلت لمعاذ: ما يدريني -رحمك الله- أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال لها ما هذه، ولا يشيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع وتلقى الحق إذا سمعته أي اقبل الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا نعم.



إثبات الصفات الخيرية واستوائه سبحانه وعلوه بالدليل والرد على الشبه

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإمارة ما يعرض من الشبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامة، فما تتسع له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب - إن شاء الله - في ذلك ما يحصل المقصود به.

نعم، يقول تقرير ذلك أي تقرير هذه المسألة، مسألة الصفات الخيرية ومسألة إثبات علو الله ﷻ على خلقه نعم. تقرير ذلك بالدليل وإمارة ما يعرض من الشبه.

معلوم أن لهؤلاء المخالفين شبهها، وما صرفهم عن هذا الحق إلا الشبه التي علقت الهانة فإمارة ما يعرض من هذه الشبه، وتقرير هذا الأمر بالأدلة الواضحة يقول: وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد بهذه المهامة أي المفازة البعيدة، فما تتسع له هذه الفتوى بمعنى: أن مجال ذلك الكتب المطولات، وهذه فتوى عبارة عن إجابة لسائل.

يقول: وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض ما يجالسنا، وربما أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصل المقصود به، وقد كتب رحمه الله فوفى وأحسن كتب كتابه درء تناقض العقل والنقل، وكتابه منهاج السنة، وكتابه نقض التأسيس، وكتابه جواب الاعتراضات المصرية عن الفتوى الحموية، وقلت لكم سابقاً: إن هذا الكتاب لا يزال مفقوداً، وكتب غير ذلك في تقرير هذه المسائل بشيء من البسط، وعرض الأدلة وعرض شبه الخصوم والإجابة عنها، نعم.



جماع الأمر في باب الأسماء والصفات أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن قصد الحق

وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

وهذه قاعدة عامة يقول: لكن هناك قاعدة جماع الأمر في هذا، في هذا الباب وفي غيره في باب الأسماء والصفات، وفي غيره من أبواب الاعتقاد، بل وفي غيره من أبواب الشرع، جماع الأمر أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور، بمعنى من أراد الكمال من أراد الشرع كما أراد الله ﷻ فيلتزم بهذين الأصلين؟ ففيهما النور وفيهما الهدى لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسمائه وآياته.

الكتاب والسنة الجميع يقرأه، حتى هؤلاء المخالفون يقرءون نصوص الكتاب والسنة، فلماذا لم يكن الكتاب لهم نورا كما كان لغيرهم؟ هه، لا هناك الهوى، الهوى أحيانا يحول بين الإنسان وبين الحق وبين نور الحق الصادر من هذا المصدر الأصلي، ولهذا اشترط الشيخ هنا قال: لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق بعيدا عن الهوى، بعيدا عن الأغراض الشخصية، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسمائه الله وأمره.

ولا فكل يدعي وصلا بليلي



كل يزعم أنه يأخذ من هذا الكتاب، لكن هذا الكتاب لم ينتفع به حقيقة إلا من أخذه بتجرد عن الهوى، وتسليم لنصوص الوحيين؛ التسليم التام على حد قول الله ﷻ ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

من أخذ نصوص الكتاب والسنة على أنها زيادة في الاحتجاج وليس أصلاً بالاحتجاج

هل من أخذ نصوص الكتاب ونصوص السنة على أنها زيادة في الاحتجاج، وليس أصلاً بالاحتجاج، هل هذا فعلاً حكم الكتاب والسنة؟

لا، ولهذا: الأصل عنده العقل، الأصل عنده هذه المقاييس التي وضعوها فيعرضون نصوص الكتاب والسنة على هذه المقاييس، ما وافقها قبلوه وما خالفها رده، فهؤلاء في واقع الأمر لم ينظروا بالكتاب والسنة النظر الشرعي الذي أراد الله عز وجل؛ إذ لو نظروا فيهما كما أراد الله لانتفعوا ولسلموا من الضلال والانحراف. نعم.



نصوص الكتاب والسنة لا يناقض بعضها بعضا في مسألة الاستواء والمعية

معنى المعية والرد على شبهة؛ أن أهل السنة يصرفون اللفظ عن ظاهره بالتأويل

ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا ألبتة؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر من قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(١) وقوله ﷻ ﴿ إِذْ قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ ﴾ ونحو ذلك فإن هذا غلط، وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة؛ كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٢).

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا؛ كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: ﷻ والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه ﷻ.

وذلك أن كلمة "مع" في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين وشمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك؛ فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة.

١ - سورة الحديد آية : ٤ .

٢ - سورة الحديد آية : ٤ .



نعم، هنا مسألة مهمة، وهي أن المؤلف -رحمه الله- ذكر هذه النصوص الكثيرة الدالة على إثبات صفة العلو لله ﷻ و أن الله عال على الخلق، له العلو المطلق، لكن هناك نصوص تدل على أن الله مع خلقه، وهذه النصوص جاءت في الكتاب والسنة من الكتاب قول الله ﷻ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(١) وقوله سبحانه: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ جَبْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾^(٢) الآية.

، وقول النبي ﷺ ﴿ إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ ﴾^(٣) وهذا الحديث في الصحيحين، فهل هناك تعارض أو تناقض بين نصوص العلو وبين نصوص المعية؟

الجواب: لا، ولهذا قال المؤلف: ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك أي من نصوص العلو يناقض بعضه بعضا ألبتة؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(٤) وقوله: ﴿ إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾^(٥) ونحو ذلك فإن هذا غلط.

طيب إذن، ما معنى هذه المعية؟ لأجل أن لا يكون هناك تعارض، وقبل أن أذكر كلام المؤلف في مسألة المعية، المتكلمون اعترضوا على أهل السنة في الإنكار عليهم في التأويل، اعترضوا عليهم بنصوص المعية، وممن اعترض أبو المعالي قال: إذا أنكرتم تأويلنا لنصوص العلو، في علو القدر والقهر أوردنا عليكم أو أنكرنا عليكم تأويل المعية بمعية العلم، فإذا جاز لكم أن تؤولوا المعية بالعلم، تقولون: الله معنا أي بعلمه.

نحن نقول: أيضا الله مستو على عرشه بقدرته بقوته، واضح وجه الاعتراض واضح، ولهذا الشيخ أورد هنا الرد عليهم، لكن من غير أن يورد الشبهة.

١ - سورة الحديد آية : ٤ .

٢ - سورة المجادلة آية : ٧ .

٣ - سورة الحديد آية : ٤ .



فالجواب أن ليس في تفسير المعية بالعلم تأويل، من قال لكم: إن قولنا الله معنا أي بعلمه، أن هذا تأويل صرف للفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، فالقرآن نزل بلغة من؟ بلغة العرب، نرجع إلى كلام العرب إذا أطلقوا المعية: ماذا يريدون؟ العرب إذا أطلقوا المعية أرادوا مطلق المصاحبة مطلق المصاحبة.

ولا يلزم من ذلك المخالطة والمماسة هذا كلام العرب، والدليل على ذلك قول الله ﷻ ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ ^(١) هل يقول قائل: إن مع هنا تقتضي المخالطة والمماسة، وأوضح من ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَبَنَاتٍ خَلَائِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ ^(٢) النبي ﷺ من صحبه وخالطه في الهجرة اثنان فقط: أبو بكر وعامر بن فهيرة، بنات خاله ما هاجرن إنما لحقنه أو سبقنه، ومع ذلك قال الله ﷻ ﴿ وَبَنَاتٍ خَلَائِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ ^(٣) ؛ وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ ^(٤) .

هل معنى هذا: أنهم فقط الذين خالطوه أم كل مؤمن اتبعه يدخل في هذه الآية؟ كل مؤمن، وهذا بالإجماع، وقول الله ﷻ ﴿ يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهَ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ ^(٥) لو قال: قائل أن المعية تقتضي فقط المخالطة والمماسة لأخرج ما عدا الصحابة من هذه الآية وهذا لم يقله أحد.

أما في لغة العرب فحدث ولا حرج، العرب اشتهر عنهم أنهم يقولون: ما زلنا نسير والقمر معنا، هل يقول قائل أو عاقل: إن القمر مخالط، مماس لهم وهو في السماء وهم في الأرض، ويقول القائل: فلان زوجته معه، وربما يكون هو في الصين وهي في أقصى الأرض.

فمعنى المعية هنا مطلق المصاحبة ولا يلزم منها المخالطة، ويقول القائل: كأسى معي هنا مخالط.

١ - سورة آل عمران آية : ١٩٣ .

٢ - سورة الأحزاب آية : ٥٠ .

٣ - سورة الأحزاب آية : ٥٠ .

٤ - سورة الفتح آية : ٢٩ .

٥ - سورة التحريم آية : ٨ .



فالذي يحدد المعنى ما هو؟ ما الذي يحدد المعنى؟ السياق؛ ينظر إلى سياق الكلام؛ ولهذا يقال: فلان ماله معه وماله أرقام فقط التي معه، أما حقيقة المال فهي عقار، مزارع، أرصدة في البنوك، ويقولون: فلان ماله معه، ومع ذلك ليس بمخالط لماله ولا مماس لماله، بل الأمير يرسل إلى الجند وهم في أرض المعركة وبينهم آلاف الأميال.

ويقول: أنا معكم فاثبتوا، معكم بماذا؟ معكم بالتأييد، معكم بالإعانة معكم؛ فلم يلزم من هذا الكلام المخالطة والمماس إذ ننتهي إلى أن تفسير المعية بمعية العلم ليس فيه تأويل كما يزعم هؤلاء، ليس فيه صرف للفظ عن ظاهره.

ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذه الآية قال للسائل: اقرأ أول الآية وآخر الآية، وهذا تفسيرها؛ لأن الآية افتتحت بماذا؟ بالعلم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(١) ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ خَجْوٍ ثَلَاثَةٌ ﴾^(٢) إلى أن قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٣) كذلك الإمام مالك قال: اقرأ أول الآية وآخر الآية.

ولهذا قال ابن كثير: أجمع السلف على أن المعية في هذه الآية وبغيرها معية العلم، وليس معية الذات؛ وبناء على ذلك؛ فليس هناك صرف اللفظ عن ظاهره.

نعم، وليس هناك تعارض بين نصوص المعية ونصوص العلو، يقول وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة، نعم فوق العرش، عال حقيقة ومعنا حقيقة، وحقيقة هذه المعية هل يلزم منها المخالطة والمماس؟ لا المعية

١ - سورة المجادلة آية : ٧.

٢ - سورة المجادلة آية : ٧.

٣ - سورة المجادلة آية : ٧.



الحقيقية هنا.. هي معية أيش؟ معية العلم؛ كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) أثبت الاستواء العلو على العرش. ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢)؛ فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال ص والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه ص؛ ليثبت أن المعية هنا معية علم لا معية مخالطة.

وذلك أن كلمة " مع " الشيخ أراد أن يرد على هؤلاء الذين قالوا: أنتم أولتم ما في تأويل لأن ما نرجع إلى كلام العرب: ماذا أرادوا بها؟ نقول: لأن كلمة " مع " في اللغة إذا أطلقت وليس بظاهرها في اللغة إلا المقارن المطلقة من غير وجوه مماسة أو محاذاة هن يمين وشمال يعني: مطلق المصاحبة.

" مع " إذا أطلقت في لغة العرب فالمراد بها أيش؟ مطلق المصاحبة، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى؛ فإنه يقول: ما زلنا أو يقال ما زلنا ونسير والقمر معنا أو النجم معنا، ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة، فليس في هذا تأويل. نعم.

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة الحديد آية : ٤.



المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد

أمثلة على أن المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا^ط وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ^ج﴾^(١) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطَّلِعٌ عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. نعم، ليس هناك من تأويل هذا هو ظاهر النص ظاهر الخطاب. نعم.

وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ^ط﴾^(٢) إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا^ط﴾^(٣) ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا^ط﴾^(٤) كان هذا أيضا حقا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم المعية هنا مع الاطلاع النصر والتأييد.

نعم، وذلك أن المعية تنقسم إلى قسمين:

١ - سورة الحديد آية : ٤ .

٢ - سورة المجادلة آية : ٧ .

٣ - سورة المجادلة آية : ٧ .

٤ - سورة التوبة آية : ٤٠ .



معية عامة، وهي التي دلت عليها آية المجادلة وآية الحديد: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(١) ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾^(٢) ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾^(٣) هذه المعية العامة ومقتضاها الاطلاع، الإحاطة. واضح.

هناك المعية الخاصة، وهي التي تكون لبعض الناس، وتكون بالنصر يعني: يكون مقتضاها النصر، التأييد ومن هذا قوله سبحانه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّهَ مَعَنَا ﴾^(٤) وقوله أيضا لموسى وهارون: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾^(٥).

فهؤلاء لهم معية خاصة إضافة إلى المعية العامة، فالله محيط ومطلع عليهم، وأيضا أيش؟ . مؤيد وناصر لهم بهذه المعية، وكالمثال الذي سيورده المؤلف أيضا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٦) مع هؤلاء خاصة إضافة إلى معيته العامة. نعم.

١ - سورة الحديد آية : ٤ .

٢ - سورة المجادلة آية : ٧ .

٣ - سورة المجادلة آية : ٧ .

٤ - سورة التوبة آية : ٤٠ .

٥ - سورة طه آية : ٤٦ .

٦ - سورة النحل آية : ١٢٨ .



أمثلة أخرى على أن المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد

وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ^(١) وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ^(٢) هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد.

وقد يدخل على صبي من يخيفه، فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول: لا تخف أنا معك، أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه؛ ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فتختلف باختلاف المواضع.

إذن الذي يحدد مقتضى المعية، نعم، ما هو؟ السياق، مورد الكلام سياق الكلام هو الذي يحدد هل هي معية عامة معية خاصة معية مخالطة معية علم نعم معية اطلاع معية نصر الذي يحدد ذلك هو سياق الكلام لكن مع مجردة تدل على مطلق المصاحبة نعم.

١ - سورة النحل آية : ١٢٨.

٢ - سورة طه آية : ٤٦.



لفظ المعية من الألفاظ المتواطئة

لفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردّها، وامتناز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين: ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق؛ حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها.

نعم، لفظ المعية كما سيذكر المؤلف من الألفاظ المتواطئة، تستعمل في الكتاب والسنة في مواضع متعددة لكن الذي يحدد معناها سياق هذا اللفظ الذي وردت فيه، كلمة "مع".

يقول: وعلى كل حال وبكل التقادير، فإن المعية المنسوبة لله ﷻ في هذه النصوص لا تقتضي أي شيء؟ المخالطة ولا المماسّة؛ وبناء على ذلك إذا قيل: إن الله معنا بعلمه، لا يقول قائل: أنتم صرفتم اللفظ عن ظاهره بل هذا هو ظاهره، وهذا هو مقتضاه، وهذا هو معناه الحقيقي. نعم.



نظير المعية من بعض الوجوه مسألة الربوبية والعبودية

ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية، فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والتعبيد فلما قال: ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٢١] رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ ١٢٢ ﴾ ^(١) كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره: فقد ربه ورباه وربوبيته وتربيته أكمل من غيره.

وكذلك قوله: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ^(٢) وقوله: ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ ^(٣).

فإن العبد تارة يعني به المعبود فيعم الخلق؛ كما في قوله: ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ^(٤) وتارة يعني به العابد فيخص، ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالا، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

نعم، يقول: ونظيرها أي: نظير المعية من بعض الوجوه مسألة الربوبية والعبودية، فهي تنقسم إلى ربوبية عامة وربوبية خاصة، وعبودية عامة وعبودية خاصة، فالربوبية العامة؛ كقوله سبحانه: ﴿ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) قرب

١ - سورة الأعراف آية : ١٢١-١٢٢.

٢ - سورة الإنسان آية : ٦.

٣ - سورة الإسراء آية : ١.

٤ - سورة مريم آية : ٩٣.

٥ - سورة الأعراف آية : ١٢١.



العالمين هذه ربوبية عامة، كون الله ﷻ هو الذي رب هذا الخلق، قام على هؤلاء الخلق وقوله سبحانه: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ ^(١).

هذه ربوبية خاصة، لا يشاركهما فيها سائر الخلق إلا من استثناه الله ﷻ ولهذا قال: كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال، وهذا موسى وهارون أكثر مما أعطى غيره، فقد ربه ورباه وربوبيته وتربيته أكمل من غيره؛ فعلم أن الربوبية المنسوبة لموسى وهارون أخص من الربوبية المنسوبة لجميع الخلق من المعية.

وكذلك العبودية: هناك عبودية عامة، وهي عبودية القهر والملك، وهذه شاملة لجميع الخلق؛ فكل الخلق تحت أيش؟ قهر الله، وتحت ملك الله، ولهذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ^(٢) الكل عبد لله ﷻ تحت ملكه تحت قهره تحت سلطانه، لكن هناك عبودية خاصة امتاز بها بعض الخلق؛ وهي عبودية الطاعة.

عبودية الامتثال، تختلف عن العبودية الأخرى المنسوبة لسائر الخلق كقوله سبحانه: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) هؤلاء نسبة العبودية لهم تختلف عن العبودية التي جاءت في قوله: ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

١ - سورة الأعراف آية : ١٢٢.

٢ - سورة مريم آية : ٩٣.

٣ - سورة الإنسان آية : ٦.



وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ^(١) وهذه أعلى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ﴾ ^(٢) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ ^(٣) ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ ^(٤) .

قاله في الأنبياء؛ فهذه العبودية تسمى عبودية خاصة، مثل قضية المعية، معية عامة ومعية خاصة يقول: فمن
كان أعبد علما وحالا، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل أي: إضافتها إلى الله ﷻ مع أنها
حقيقة في جميع المواضع يعني: الخلق كلهم عبيد لله حقيقة ولا مجاز؟ هه حقيقة، والرسول ﷺ عبد لله حقيقة
لا يقول قائل أنها هنا حقيقة وهنا ليست بحقيقة لها معنى آخر. نعم.

١ - سورة مريم آية : ٩٣ .

٢ - سورة الإسراء آية : ١ .

٣ - سورة الكهف آية : ١ .

٤ - سورة الفرقان آية : ١ .

٥ - سورة ص آية : ٤٥ .



المعية والربوبية والعبودية والاستواء واليدين هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة، أو من قبل المشتركة في اللفظ

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس مشككة، لتشكيك المستمع فيها، هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة، أو من قبل المشتركة في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضح اللغة إنما وضع بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعاً مختصاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

يعني لفظ المعية، ولفظ العبودية، ولفظ الربوبية، ولفظ السمع، لفظ الوجه، نعم، لفظ الاستواء لفظ اليدين؛ هذه الألفاظ يسميها أهل المنطق ألفاظ مشككة، والألفاظ المشككة عبارة عن اللفظ الذي يدل على أشياء باعتبار معنى واحد تختلف فيما بينها إما بشدة أو ضعف أو تقدم أو تأخر أو يمكن أن نقول: هو اللفظ الدال على معنى يوجد بأفراده بنسب مختلفة.

اللفظ الدال على معنى يوجد في أفراده بنسب مختلفة، عندنا نور لفظ مشكل نعم، لو نزلنا كلمة نور على أفراد هذا النور؛ لوجدنا أن هذا النور يختلف بنسب بحسب ما أضيف له، فعندنا نور الشمس، ونور القمر ونور المصباح ونور الشمعة نعم، ونور المؤمن. الجميع اشترك في أيش؟

في كلمة نور، لكن هل يقول قائل: إن نور الشمس مثل نور الشمعة، لا، هذه العبارات تسمى في لغة المناطق مشككة، لماذا سموها مشككة؟ لأنهم اختلفوا يعني دائرة أو في دائرة الشك: هل هي من قبيل المتواطئ؟ أم من قبيل المشترك اللفظي؟

فما معنى المتواطئ؟ ما اتفق لفظه، ومعناه العام، المتواطئ ما اتفق لفظه ومعناه العام، والمشارك اللفظي: هو ما اتفق لفظه وتباين أو تباين معناه أو اختلف معناه، التباين أفضل من الاختلاف، تباين معناه مثل المشترك اللفظي؛



العين تطلق يعني: كلمة عين لو قلت لكم: عين ماذا يتبادر إلى ذهنك؟ عين الإنسان، والعين الجارية، وأحيانا يطلق على الجاسوس عين.

ولهذا نقول: حضر عين الأمير؛ إذن اللفظ واحد؛ عين ثلاثة حروف نطقها واحد، لكن المعنى هل هو سواء؟ متباين تماما.

مثال آخر: المشتري لما أقول لكم المشتري كلام مجرد ماذا تفهمون؟ يعني الاحتمالات اللي تدور في ذهنه إما أن يكون: الكوكب المسمى بالمشتري أو يكون المبتاع هل بينهما أي توافق علما أنهما اشتركا في لفظ واحد؟ فاتفقا في اللفظ وتباينا في المعنى.

لو قلت لكم: "سهيل" ما هي الاحتمالات التي تدور في أذهانكم؟ سهيل بن عمرو اسم رجل، النجم. هل بينهما توافق؟

الجواب: لا، هذا يسمى مشترك لفظي طيب هل لفظ المعية والربوبية والعبودية كلفظ، وكذلك استواء كلفظ، ووجه كلفظ، وعين كلفظ الواردة في القرآن: هذه تسمى مشككة؟

تسمى ألفاظا مشككة؛ لأنها تشمل عدة معاني واحتمالات، لكن هل الاشتراط فيها من قبيل المتواطئ أم من قبيل المشترك اللفظي؟

نعم، أنتم معي وإلا طيب، هل هي من قبيل المشترك اللفظي أو المتواطئ؟ هذه القاعدة لو سلم لها المتكلمون قاطبة، المعطلة قاطبة لما خالفوا أهل السنة، لسلموا من المخالفة، هذه المسألة: هل هي من قبيل المشترك اللفظي أم من قبيل المتواطئ؟

أجيبوا! مشترك، كل هذه الألفاظ أنا ذكرت الاستواء والوجه واليدين، عبد رب، من قبيل المتواطئ بالاتفاق، متواطئ. الجواب صحيح، وهذا هو القول الصحيح: أن الاشتراك فيها من قبيل التواطؤ بمعنى الاتفاق



.....

في اللفظ والمعنى العام، لكنها تختلف في المعنى الخاص بحسب الإضافة، وسياق الكلام؛ فإذا قيل: يد الله خلاص تخصصت بمعنى أبعدت المعنى العالق في الذهن أنه يد المخلوق.

إذا قال الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١).

نسب الاستواء لمن؟ لله، خلاص انتهت كل معاني الاستواء الأخرى، وبقي الاستواء الخاص بالله، وإذا قال: ﴿عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ﴾^(٢) انتهى معاني الاستواء المنسوبة لله وغير الله، وفهمنا أن الاستواء هنا هو استواء المخلوق، كذلك هنا المعية، وكذلك هنا الربوبية، هي من قبيل المتواطئ المتفق في اللفظ والمعنى العام واضح لكن المتكلمين أو المعطلة على وجه العموم قالوا: لا، الاشتراك هنا من قبيل المشترك اللفظي، اللفظ صحيح واحد، لكن المعنى متباين تماما، وهذا قول باطل منقوض بالشرع والعقل.

وهذا معنى قول المؤلف هنا: ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس مشككة، لتشكيك المستمع بها هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة؟ وعرفتم ما هو المتواطئ، معروف؟ ولا ما هو معروف؟، طيب أو من قبيل المشتركة في اللفظ المشترك اللفظي فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة أي: من قبيل أيش؟ المتواطئ، إذا واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، يعني الله ﷻ لما أنزل علينا هذا القرآن، وأنزله بلغة العرب، وأنزله بهذه الألفاظ، أراد منا فهم المعنى أو أراد منا أن نقرأ هذه الألفاظ ولا نفقه منها أحدا؟

أجيبوا، أراد أن نفهم، نتدبر هذا الكلام، ونفهم معناه، طيب كيف سنفهم معناه إلا أن يكون هناك قدر مشترك بين الشيء الذي نفهمه والشيء الذي ذكره، ولهذا ما جاء للعرب بألفاظ جديدة جاء إليهم بلفظ السماء، السماء الموجودة عندهم، الأرض الأرض، الشجر الشجر، البحر البحر، الصلاة عندهم ما هي الدعاء فزاد عليهم .

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة هود آية : ٤٤.



فكذلك جاء بألفاظ الأسماء والصفات جاء بنفس الألفاظ التي يفهمونها، لما قال لهم ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾^(١) خاطبهم بلسانهم، بما يفهمون ويعرفون معنى اليد عنده.

ولهذا صار عندهم قدر مشترك يفهمون به اللفظ، فلو لم يكن هذا القدر المشترك موجودا لأصبح هذا الكلام الذي أنزل عليهم كلاما أعجميا لا يفقهون منه حرفا واحدا، وقالوا للنبي ﷺ أنت تطلب منا مستحيل، تطلب منا أن نهتدي ونسلم بهذا القرآن ونحن لا نفقه منه حرفا واحدا؛ ولهذا من دعي إلى الإسلام ممن كانت لغته غير العربية لا بد أن نترجم له معنى الشهادة بلغته؛ لأجل يتشهد أن يقولها، وهو أيش؟ عالم بها، عالم بمعناها، عالم بمقتضاها

يقول: إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعا مختصا من المتواطئة؛ فلا بأس بتخصيصها بلفظ بمعنى: أن المتواطئ أليس هو فيه معنى عام؟ ما الذي يخصه؟ اللفظ، السياق إذا نسب العين لله؟ خلاص تحدد معنى العين بمعنى انتقلت من كونها متواطئة إلى كونها خلاص واضحة، بينة، ليست مشككة، مشككة قبل الإرادة، ولهذا الذي يحدد معنى الكلام السياق والإضافة، السياق؛ سياق الكلام وإضافة هذا اللفظ؛ فإذا أضيف اللفظ وجاء في سياق فهم معنى هذا الكلام. نعم.



المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلاً، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازاً: علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

نعم، ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات تضاف إلى عموم الخلق، وتضاف إلى المؤمنين، وتضاف إلى النبي ﷺ وأضيفت إلى موسى وهارون كإضافة الربوبية مثلاً، وأن نسبة المعية والربوبية والعبودية فقط للتمثيل ولتقرير المعنى للمسألة الأم التي يناقشها رحمه الله، وهي قضية الأسماء والصفات التي عطلها المعطلة.

يقول: وأن الاستواء على الشيء ليس إلا على العرش، هذا الاستواء الموصوف به الله ﷻ هل هو عام وإلا خصه بالعرش؟ خصه بالعرش، فعلمنا أن هذا الاستواء خاص، وأنه العلو والارتفاع، نعم، والصعود على هذا العرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازاً. يعني: لا ينسب له هذه الصفات بل ينزه عنها سبحانه وتعالى حقيقة ومجازاً، علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف بمعنى: أن دلالة القرآن على ظاهره من غير أن يتعرض له بتأويل، ولسنا بحاجة إلى هذا التأويل أو هذا التحريف الذي سموه تأويلاً. نعم.



من توهم أن كون الله في السماء معناه أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب وضال

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدا نقله عن أحد، ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله تعالى ورسوله ﷺ إن الله في السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

نعم، ثم قال: ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب يعني: إن توهم إنسان أن قول الله ﷻ ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(١) أن المفهوم من هذا اللفظ أن السماء محيطة بالله ﷻ فيقول الشيخ: فهذا كذب، ولا يمكن لمسلم أن يتوهم هذا الوهم الفاسد، إن نقله عن غيره بمعنى إن قال: قاله فلان أو قاله الإمام الفلاني أو قاله آحاد الناس قاله فلان أنا والله فهمت أن هذا النص يدل على أن السماء تحيط به .، ولا يمكن أن يفهم إنسان من هذا النص أن السماء تحيط به.

وضال إن اعتقده في ربه، إن اعتقد هو أن السماء تحيط بالله عز وجل؛ فهذا أيضا ضلال؛ لأن هذا يتنافى مع علو الله ﷻ على خلقه.

سيأتي يمثل المؤلف كيف يمكن للمسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد؟ وهو يعتقد أن السماوات والأرض بجوف الكرسي الذي هو تحت العرش، ونسبته إلى العرش كحلقة ملقاة، كيف يعتقد أن الله ﷻ في السماء؟ بمعنى: أن السماء تحيط به، هذا لا يمكن أن يقوله عاقل.



يقول: وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ، يقول: ما سمعنا أحدا فهم من هذا اللفظ أن السماء تحيط بالله
ﷻ ولا رأينا أحدا نقله عن أحد، هذه كتب الناس وهذا كلامهم، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول
الله



.....
تعالى ورسوله: إن الله في السماء أن السماء تحويه، لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله أن يخطر
ببالنا.

بل الظاهر من هذا اللفظ ومقتضى هذا اللفظ، والذي فهمه صاحب العقل السليم، صاحب الفهم السليم
الذي لم يتلوث بالشبه، فهم أن الله في السماء، أن الله بأيش؟ على السماء أو في العلو، ولعلنا نقف على هذا،
وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على محمد.



من التكلف أن نجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد، عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وإذا كان الأمر هكذا، فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو لا في السفلى، وقد علم المسلمون أن كرسیه سبحانه وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا ضَلِيلٌ لَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ ^(١) وقال تعالى ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٢) بمعنى على ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

١ - سورة طه آية : ٧١.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٣٧.



يقول المؤلف رحمه الله: وإذا كان الأمر هكذا بمعنى أن قول الله ﷻ ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(١) أن هذا اللفظ لا يدل ظاهره على أن الله تحويه السماء أو تحيط به السماء، يقول: فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه. بمعنى: من التكلف أن نجعل ظاهر قول الله ﷻ ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(٢) نعم، أن ظاهر هذا اللفظ يدل على ماذا؟ على أن السماء محيطة بالله ﷻ.

يقول: هذا فيه تكلف، لأن هذا شيء يستحيل، يستحيل أن تحيط السماء به سبحانه، وسيبين وجه استحالة ذلك أن السماء والأرض أصلاً في جوف الكرسي، ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة، والله ﷻ أعظم من العرش، فكيف يكون هناك شيء يحيط بالله عز وجل؟!!

هذا لا يمكن أن يتوهمه مسلم، شيء محال لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله. نعم، يجعل هذا المعنى الباطل هو ظاهر النص، يجعل المعنى الباطل هو ظاهر النص ثم يقول: إذن لا بد لهذا النص من تأويل، وسيأتينا الكلام إن شاء الله في قضية: هل ظاهر النص مراد؟ أو ليس بمراد؟

الشاهد هنا: أنه يستحيل أن يكون هذا المعنى الباطل هو ظاهر النص لأجل أن يقول: ما دام إن هذا هو ظاهر النص نعم، وهو معنى باطل إذن هذا الظاهر يحتاج إلى تأويل، إلى أن نصرفه إلى معنى آخر، فيقال لهم: من قال لك: إن هذا هو ظاهر النص بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد.

يعني المسلمون إذا سمعوا قول الله ﷻ ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(٣) ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٤) فالمعنى عندهم واحد بمعنى: أنه على السماء، على العرش فالعرش أرفع وأعلى المخلوقات، والله فوق العرش إذ السماء

١ - سورة الملك آية : ١٦ .

٢ - سورة الملك آية : ١٦ .

٣ - سورة الملك آية : ١٦ .

٤ - سورة الأعراف آية : ٥٤ .



.....
إنما يراد به العلو وهذا قلنا لكم في اللغة العربية سائغ أن السماء تطلق ويراد بها العلو، فالمعنى أن الله في العلو لا في السفلى، وقد علم المسلمون أن كرسیه سبحانه وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة.

وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته بمعنى: لا تناسب أصلا بين العرش وبين عظمة الله ﷻ ومع ذلك فالعرش أعظم من الكرسي، والسماوات والأرض في جوف الكرسي، فكيف يتوهم متوهم أن السماء تحيط بالله عز وجل؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

يقول: وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾^(١) هذا دليل على أن "في" تأتي في اللغة العربية بمعنى "على" وقال: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) بمعنى "على" ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا بمعنى أن ظاهر النص وحقيقة النص يدل على أن الله على السماء وليس داخل السماء، وليس في هذا مجاز، وليس في هذا تأويل.

واضح. وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة؛ كما قلنا بالأمس: إن مثل هذه الألفاظ هي من باب المتواطئ لا من باب المشترك اللفظي. نعم.

١ - سورة طه آية : ٧١.

٢ - سورة آل عمران آية : ١٣٧.



أمثلة لبيان أن ظاهر بعض النصوص لا يدل إلا على الحق ولا يحتاج إلى تأويل

وكذلك قول النبي ﷺ **﴿**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصق قبل وجهه **﴾** الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضا قبل وجهه. وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك والله المثل الأعلى.

ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه، لا تشبيه الخالق بالمخلوق، وقال النبي ﷺ **﴿**ما منكم من أحد إلا سبى ربه مخليا به، فقال له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي ﷺ سأنبئك مثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخليا به، وهو آية من آيات الله، فالله أكبر **﴾** أو كما قال النبي ﷺ.

وقال: **﴿**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر **﴾** شبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه؛ كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا.

نعم، ثم مثل أيضا النبي ﷺ بمثال آخر لبيان أن ظاهر بعض النصوص لا يدل إلا على الحق، لا يدل على المعنى الباطل الذي توهمه هؤلاء وبنوا على ذلك أنه يلزم أن يؤول هذا الظاهر فيقول: كذلك قول النبي ﷺ **﴿**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصق قبل وجهه **﴾** الحديث في الصحيحين، يقول: الحديث حق على ظاهره.

الحديث هذا حق على ظاهره؛ وظاهره لا يدل إلا على الحق لكن لا يتوهم إنسان أن ظاهر هذا الحديث أن الله موجود بذاته أمامه في الحائط الذي يصلي فيه ليس هذا هو ظاهر النص، ثم قال: نعم، وهو سبحانه فوق



العرش، وهو قبل وجه المصلي؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات مثل بمثال ليقرب المعنى إلى الأذهان فيما يتعلق بخلق من المخلوقات.

والمسألة الأصل متعلقة بالخالق ولا مقارنة بين الخالق والمخلوق، لكن يقول: إذا جاز هذا في حق المخلوق مع المخلوق فمن باب أولى الخالق مع المخلوق، يقول: هذه الشمس وهذا القمر وهذه السماء يمكن الإنسان أن يناجي الشمس أو يناجي القمر أو يناجي السماء. نعم، والسماء قبل وجهه، والشمس قبل وجهه، والقمر قبل وجهه، ومع ذلك أين ذات الشمس؟ وذات السماء؟ وذات؟ فوق.

يقول: بل هذا الوصف ليثبت المخلوقات، فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء ويناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضا قبل وجهه. يقول: وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك، والله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل: بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق.

النبي ﷺ. أن يضرب مثالا ليقرب هذه الحقيقة إلى الأذهان، وليس مقصوده نعم تشبيه الخالق بالمخلوق، فيقول في حديث أبي رزين: [١] ما منكم من أحد إلا سيري ربه مخليا به [٢] بمعنى خاليا به ليس هناك ازدحام، ليس هناك غيب، ليس هناك مضايقة، فقال له أبو رزين العقيلي، كيف يا رسول الله، وهو واحد ونحن جميع؟ جميع أهل الجنة سيرون الله ﷻ وهو واحد وهؤلاء كثر، كيف يمكن هذا؟ فأراد النبي ﷺ أن يقرب هذا بهذا المثل؛ فقال النبي ﷺ [٣] سأنبئك مثل ذلك في آلاء الله - أي في خلق الله - هذا القمر كلكم يراه مخليا به، وهو آية من آيات الله، فالله أكبر [٤].

القمر ليس الناس الآن على وجه الأرض، بل بين الناس يرونه وكل يراه خاليا به؟ وإلا لا، والله أعلم والله سبحانه وتعالى أجل وأعظم. الحديث جاء بمعناه عند أبي داود وابن ماجه والإمام أحمد والحاكم وصححه وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .



وقال: إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر ﴿٢٤﴾ وهذا متفق عليه مثل رؤية الناس أو رؤية المؤمنين لله ﷻ في الجنة كرؤية الناس الآن للشمس والقمر بوضوحها وبيانها وعدم ازدحام الناس، وعدم لحاق الضرر بأحد عند رؤيته سبحانه وتعالى.

يقول المؤلف: فشبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي، النبي ﷺ شبه رؤيتنا لله يوم القيامة كرؤيتنا الآن لأيش؟ للقمر لكنه لم يشبه الله سبحانه وتعالى بالقمر، هو شبه الرؤيا بالرؤيا، وليس في هذا تشبيه كما يدعي المعطلة.

يقول: فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلا، لا منافاة بين نصوص العلو ونصوص المعية، وهذه النصوص التي فيها أن الله قبل وجه المصلي. نعم.



مذهب السلف في الصفات

إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره بالكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد.

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا لفظ مجمل فإن قوله ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين؛ مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلي، أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأن الله معنا ظاهره أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد.

نعم، يقول: من كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره بالكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد بمعنى: إثبات دلالة الكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد في نفسه وأظهر وأبين لرسوخه ومعرفته بدلالة الكتاب والسنة.

ثم انتقل للكلام على هذه المسألة المتعلقة بما تقدم فقال: واعلم أن من المتأخرين أي: من أهل الكلام من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به، إقرار ماذا؟ نصوص الصفات، نصوص الصفات، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا لفظ مجمل، لفظ الظاهر من الألفاظ المجملة؛ ولهذا إذا قال قائل: هل ظاهر النص مراد أو غير مراد؟ فلا بد من التفصيل، ولا بد من الاستفسار بمراده بهذا الظاهر، وبالتفصيل يزول الإشكال ويزول الإجمال.



أولاً: ما المقصود بظاهر النص؟ ظاهر النص هو مدلول النص المفهوم بمقتضاه الخطاب العربي، ظاهر النص هو مفهوم النص أو مدلول النص المفهوم بمقتضى الخطاب العربي فقول الله ﷻ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾^(١) ما ظاهر هذا النص؟ هو وجوب الحج، الحج الذي هو قصد مكة.

هذا ظاهر النص، هل هو مراد ولا غير مراد هذا المعنى؟ مراد مباشرة.

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾^(٢) ظاهر النص: وجوب الصيام الذي هو الإمساك، هذا هو مدلول النص المفهوم بمقتضى اللسان العربي.

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ ﴾^(٣) ظاهر النص واضح بيع وربا، هذا حلال وهذا حرام؛ طيب قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(٤) وقوله سبحانه: ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَىٰ ﴾^(٥) وقول النبي ﷺ ﴿ ينزل ربنا ﴾^(٦) نعم، وقوله سبحانه: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(٧) إلى آخر نصوص الصفات، ما ظاهر هذا النص؟ مدلوله؟ دلالة هذا النص المفهوم بأيش بمقتضى اللغة العربية؟ هل هذا الظاهر، هذا المفهوم مراد ولا غير مراد؟ يعني الله ﷻ لما جاءنا بهذا النص، هل أراد منا أن نفهم ظاهر هذا النص على ما هو عليه أو أراد معنى آخر؟ واضح الإشكال ولا ما واضح.

١ - سورة آل عمران آية : ٩٧.

٢ - سورة البقرة آية : ١٨٣.

٣ - سورة البقرة آية : ٢٧٥.

٤ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٥ - سورة ص آية : ٧٥.

٦ - سورة المائدة آية : ٨.



يقول الشيخ: واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها، إقرار هذه النصوص، يقول: أنا أقر وأعترف وأثبت هذا النص، يقول: مذهب السلف أنهم يقرون بهذه النصوص، نصوص أيش؟ الصفات على ما جاءت كما جاءت، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد.

هل هذا الكلام سليم؟ طيب يقول: وهذا لفظ مجمل فإن قوله: ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين يعني: ربما هذا الشخص الذي نسب للسلف أنهم قالوا: إن ظاهر النصوص غير مراد أنه أراد بالظاهر، أيش؟

المفهوم مما يفهمه من صفات المخلوق بمعنى: إذا سمع قول الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) فهم من هذا النص أو قال: إن ظاهر هذا النص يدل على أن هذا الاستواء كاستواء المخلوق على المخلوق؛ كاستوائي الآن على الكرسي بمعنى: لو سقط الكرسي لسقطت من فوقه، قال: هذا ظاهر النص؛ ولهذا السلف قالوا: ظاهر النص غير مراد.

يقول: إن كان يقصد هذا الأمر يقصد أن ظاهر النص هو التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم، إن كان قصد بالظاهر هذا المعنى فكلامه صحيح، ولا ما هو صحيح، أن ظاهر النص غير مراد. لا شك أن ظاهر النص ليس معناه - أو قبل أن نقول هذا الكلام - إذا كان ظاهر النص هو إثبات هذه الصفة؛ كما هي الحال بالنسبة للمخلوق فظاهر النص غير مراد، لكن هل هذا هو فعلا ظاهر النص أو ليس بظاهر؟



يأتي الكلام، لا نريد أن.. هو الصحيح أن ليس هذا بظاهر النص، ويستحيل أن يكون ظاهر النص، ظاهر نصوص الكتاب والسنة لا يدل إلا على الكفر والإلحاد؛ لأن إذا كان ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) أن هذا الاستواء يعني ظاهر النص دلالة النص، هذا يدل على استواء كاستواء المخلوق، هذا إلحاد.

إننا لا نثبت لله ﷻ استواء كاستواء المخلوق ويستحيل أن يكون ظاهر كلام الله لا يدل إلا على الكفر والإلحاد بل الله أعلم وأحكم أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال، وهذا افتراء على السلف، وكذب على السلف أنهم قالوا: إن ظاهر النص يدل على أيش، التشبيه!! ولهذا ظاهر النص غير مراد؛ فالقول الصحيح أن ظاهر النص لا يدل إلا على المعنى اللائق بالله عز وجل؛ إذن فظاهر النص مراد. واضح ولا ما هو واضح؟

هذه المسألة هل ظاهر النص مراد أو ليس بمراد عقد لها شيخ الإسلام رحمه الله قاعدة مستقلة في التدمرية وتكلم عليها يقول: قوله ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين يعني: أراد بظاهر هذا النص الصفات المنسوبة للبشر؛ استواء المخلوق، يد المخلوق، وجه المخلوق، كل هذا ظاهر النص لا يدل على إلا على أيش؟!!

استواء كاستواء المخلوق أو يدين كيدي المخلوق، مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلي، أنه مستقر في الحائط، يكون ظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ﴾ ظاهر هذا النص ما هو أن الله بذاته أمامه في الحائط يقول: هذا هو ظاهر النص أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأن الله معنا ظاهره وأنه إلى جانبنا أنه بذاته مخالط مماس لا، لا يكون هذا هو ظاهر قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٢) ونحو ذلك، فلا شك أن هذا الإشارة إلى أيش؟ هه؟ نعم؟ أن هذا الإشارة إلى أيش؟

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة الحديد آية : ٤.



.....

وقلت لكم في القسم الأول: شيخ الإسلام، إذا فهمت الضمائر والإشارات التي يطلقها فهمت نصف الكلام غالباً يعتمد على الضمائر والإشارات لقوة حافظته - رحمه الله - أحياناً يترك المسألة بعد عشر صفحات ثم يحيل إليها بضمير فقوله: فلا شك أن هذا أي: هذا المعنى الباطل، هذا المعنى الباطل غير مراد، ليس ظاهر النص غير مراد الشيخ دقيق في عباراته يقول فلا شك أن هذا المعنى الباطل، ما هو المعنى الباطل؟ أن الله أمام المصلي بذاته في الحائط، أن الله بجانب الإنسان مماس له، أن هذا الاستواء كاستواء المخلوق على المخلوق. واضح؟ فهذا المعنى مراد ولا غير مراد؟ لا شك أنه غير مراد. نعم.



من قال إن مذهب السلف أن ظاهر النصوص غير مراد أصاب في المعنى لكن أخطأ في إطلاق القول

ومن قال: إن مذهب السلف إن هذا غير مراد، فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا هو المحال ليس هو الأظهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع، اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس؛ فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار، معذورا في هذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية، وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون أعطى كلام الله وكلام رسوله ﷺ حقه لفظاً ومعنى.

نعم، ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب، أن هذا أي: هذا المعنى الباطل الذي زعم أيش؟ أنه ظاهر النص أن هذا غير مراد أي: هذا المعنى الباطل؛ التشبيه. واضح ولا ما هو واضح؟ طيب، فقد أصاب في المعنى، أصاب في المعنى ليش؟، أصاب أن الله ﷻ منزّه عن التشبيه، أن الله منزّه عن التشبيه، يعني لا يثبت له استواء كاستواء المخلوق، ولا يثبت لله وجه كوجه المخلوق، ولا يثبت لله نزول كنزول المخلوق، لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، خطأ هذا الرجل في كونه جعل ظاهر نصوص الكتاب والسنة يدل على أيش؟ يدل على التشبيه، وقلنا: هذا يستحيل أن يكون ظاهر كلام الله يدل على الإلحاد والكفر.

يدل على التشبيه. واضح؟ فإن هذا هو المحال، ليس هو الأظهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع بمعنى أن نصوص الكتاب والسنة ظاهرها لا يدل على التشبيه، الذي تبادر إلى ذهن هذا المتكلم، اللهم - استثنى الشيخ - قال: اللهم إما أن يكون هذا المعنى الممتنع، ما هو المعنى الممتنع؟ التشبيه، المعنى الممتنع التشبيه الذي ظهر أو زعم



هذا الشخص أنه ظهر من هذا اللفظ أو هو ظاهر هذا اللفظ، صار يظهر ببعض الناس يعني: الناس ليسوا على درجة واحدة من الفهم والعلم ولهذا الشيخ قال: مسألة الظهور والبطون أمر نسبي وليس مضطربا بين الناس، فقد يظهر لبعض الناس بسبب قلة العلم، بسبب الشبه التي علقته ذهنه.

نعم، قد يظهر له أن ظاهر هذا النص هو أيش؟ هو التشبيه!! يعني: يفهم من قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾^(١) أن هذا الاستواء كاستواء المخلوق على المخلوق، فلا شك يقال لهذا: ظاهر النص أيش؟ غير مراد، ظاهر النص بهذا المعنى الذي ظهر لك غير مراد، لكن أفضل من هذا الشيخ يقول: أفضل من أن نقول له ظاهر النص غير مراد أن نقول له: هه، إن ظاهر النص لا يدل على هذا المعنى الذي تبادر إلى ذهنك، أنت فهمت النص بمعنى باطل، فهمت النص بمعنى لا يريد الله ولا يريد الرسول، هذا التشبيه الذي تبادر إلى ذهنك ليس هو ظاهر النص؛ بل ظاهر النص إثبات هذا الاستواء اللائق بالله عز وجل؛ لأن الاستواء هنا هل ذكر مطلقا أو منسوباً؟ مضافاً إلى الله ﷻ منسوباً إلى الله ﷻ إذن خلاص انتهى استواء المخلوق.

لو ذكر الاستواء مطلقاً، لقلنا: نعم؛ ربما يتبادر إلى ذهن هذا الأمر؛ لأن الاستواء المطلق، نعم قد يتبادر ذهن الإنسان أنه استواء كاستواء المخلوق على الكرسي؛ كاستواء المخلوق على ظهر الدابة لكن لما ذكر الله هذا الاستواء مضافاً إليه سبحانه وتعالى علمنا أن هذا الاستواء يختلف عن استواء المخلوق؛ لأن الله ليس كمثله كل شيء؛ لأن الله ﷻ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) واضح.

يقول: فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار. مصيباً؛ لأن ظاهر هذا النص إذا فهمه هذا الشخص على المعنى الثابت للمخلوق فهو مصيب أن هذا ليس مراداً، معذورا في هذا الإطلاق في أي إطلاق؟

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة الإخلاص آية : ٤.



.....
أن ظاهر النص ليس بمراد فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أقوال الناس وهو من الأمور النسبية، وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر ما هو الإضافة إلى الضمير هنا يعود على أيش؟ أن هذا هو التشبيه، أن هذا هو التشبيه يعني: المعنى الدال على التشبيه أن هذا ليس هو الظاهر؛ حتى يكون أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى.

سابقاً أعطى كلام الله حقه بأيش؟ هذا الشخص الذي فهم من هذا النص أن ظاهره التشبيه؛ فقال ظاهر النص غير مراد، هذا أعطى كلام الله حقه بأيش؟ بالمعنى، لأن اللفظ، ظاهر النص غير مراد.

الصحيح أن ظاهر النص مراد، ظاهر النص لا يدل على التشبيه لكن المعنى الباطن الذي تبادر إلى فهم هذا الشخص هو الذي الآن ننفيه فنقول: فعلاً ظاهر النص ليس مراداً بهذا المعنى الذي فهمته أنت ولهذا أنت أعطيت كلام الله حقه في المعنى دون اللفظ، لكن إذا قلنا لك: إن ظاهر نصوص الصفات لا يدل على التشبيه؛ وبناء على ذلك فظاهر النص مراد، مراد ولا غير مراد؟ مراد، أعطينا كلام الله وكلام رسوله ﷺ حقه لفظاً ومعنى. نعم.



كذب من ينسب إلى السلف التفويض الباطل

وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: الظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي ظهرت من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته لا يختص بصفة المخلوقين، بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازا ذهنيا، أو جوازا خارجيا غير مراد، فقد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لا نصا ولا ظاهرا أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة.

نعم، الاحتمال الأول أجاب عليه الشيخ. هذا القائل أن مذهب السلف أنهم كانوا يقولون: ظاهر النص غير مراد، ويقصدون أن ظاهر النص هو التشبيه. واضح؟

فيقول: هذا صحيح في المعنى لكن أخطأ في اللفظ، لكن إذا كان الناقل عن السلف هذا الذي يزعم أن السلف يقولون: ظاهر النص غير مراد، ويقصد بظاهر النص المعنى اللائق بالله سبحانه وتعالى؛ الاستواء اللائق بالله، الوجه اللائق بالله، اليدان اللائقتان بالله ﷻ المجيء اللائق بالله، النزول اللائق به. نعم. قال: هذا هو ظاهر النص، ماشي والسلف يقولون: ظاهر النص غير مراد وينسب إلى السلف في ذلك التفويض الباطل وهذا هو مقصوده، هذا الذي ينسب هذا القول للسلف، نعم يقصد أن السلف كانوا مفوضة، ولهذا يقولون: ظاهر هذه النصوص غير مراد.

يقول الشيخ ردا عليه: فهذا كاذب، قد نعود لتحليل كلام الشيخ. يقول: وإن كان الناقل عن السلف، الناقل عنهم أنهم كانوا يقولون: هه، ماشي خليكوا معي، الظاهر غير مراد، ظاهر النص غير مراد، يقول مذهب السلف أنهم يرون أن ظاهر نصوص الصفات غير مراد. طيب يقول: إن أراد إن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: الظاهر غير مراد عندهم وأن..



المعاني التي ظهرت من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، يعني الذي يظهر من نصوص الصفات هو على ما يليق به -سبحانه- الاستواء اللائق به الوجه اللائق به، لا يختص بصفة المخلوقين بمعنى لا تماثل صفة المخلوقين.

هذا الاستواء خاص بالله ﷻ لائق به سبحانه وتعالى.

يقول: هذا هو ظاهر النص، وكانوا يقولون: إن هذا الظاهر أيش؟

غير مراد فيقول: هو كاذب أو جاهل؛ لأنه لم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: ظاهر النصوص لهذا المعنى أنه غير مراد، كاذب إن نقله عن غيره وهذا كلامهم مكذوب.

أعطونا نقلاً واحداً عن أحد السلف، عن أحد الصحابة، عن أحد التابعين عن أحد الأئمة أنه قال: ظاهر قول الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ^(١) أنه غير مراد فهو إما كاذب أو جاهل، لكنهم أرادوا أن ينسبوا السلف للجهل فقالوا مذهبهم التفويض أنهم يقولون: ظاهر النص هذا غير مراد والله أعلم بما أراد لهذا النص.

يقول: بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً، أو جوازاً خارجياً. هذه الصفات اللائقة به -سبحانه وتعالى- غير مراد يعني ظاهر هذه النصوص، وهذا المعنى هذا المعنى اللائق بالله -سبحانه وتعالى- يقول غير مراد، يقول: فقد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب يعني لا تخلو حاله عن أحد أمرين: إما أن يكون أخطأ يعني فهم من قول مثلاً الإمام أحمد أمروها كما جاءت بلا كيف، فهم من هذا النص أنه يقول: إن ظاهر النصوص غير مراد، فيقال له ماذا يقال له؟

أخطأت . ليس هذا هو مراد الإمام أحمد، ولا مراد الإمام مالك لما قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة أنه أراد أن ظاهر نص الاستواء غير مراد، وأن معناه لا يعلمه إلا الله.



نقول: أخطأت في فهم هذا النص وإن أو تعمد الكذب أو قول السلف ما لم يقوله، يقول والله السلف يقولون بالتفويض يقولون: إن ظاهر أن الله ﷻ ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ^(١) ظاهر هذا النص على المعنى اللائق بالله ﷻ غير مراد والله أعلم بما أراد بهذا النص، يقال له: أنت كاذب . يعني واحد منهم أنه قال هذا لهذا المفهوم الباطل الذي تزعمون.

يقول: فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لا نصا ولا ظاهرا، وعرفنا دلالة النص، ودلالة الظاهر بالقسم الأول.

فدلالة النص ما كانت دلالة قطعية لا تحتمل النقيض ولا تحتمل التأويل كقوله سبحانه: ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ^(٢) هل يتبادر إلى الذهن معنى آخر؟ ها من هذا النص، هل يتبادر إلى الذهن ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ ^(٣) هل يتبادر إلى الذهن معنى آخر بخلاف دلالة النص، دلالة النص ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر يعني يكون النص يدل على معنيين لكن في أحدهما أظهر، مثل القرء يدل على الطهر، ويدل على الحيض مثل -أيضا- قول الله ﷻ ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ^(٤) يحتمل أن يكون المراد الملامسة مجرد الملامسة، ويحتمل أن يكون الجماع، فهذا تسمى دلالة هذا النص بالظاهر والأول من نص الشيخ يقول: لا يمكن لأحد أن ينقل عن أحد من السلف لا نصا كلام قطعي ولا حتى ظاهر أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق السماوات فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقي نعم.

١ - سورة الفجر آية : ٢٢ .

٢ - سورة البقرة آية : ١٩٦ .

٣ - سورة البقرة آية : ٢٧٥ .

٤ - سورة النساء آية : ٤٣ .



القول بأن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقولون: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله - سبحانه - لكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها، لمسيس الحاجة إلى ذلك، ويقول: الفرق أن هؤلاء يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره.

نعم. يقول: ورأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف . بعض الأشاعرة يزعم أن السلف والمؤولة كلهم متفقون، متفقون على ماذا؟

يقول: هؤلاء نحن الذين أولنا نصوص الصفات والسلف المتقدمون نحن جميعا متفقون، متفقون على ماذا؟ متفقون على أن ظاهر هذه النصوص لا تدل على هذه الصفات، ظاهر قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ^(١) لا يدل على الاستواء نحن والسلف جميعا متفقون على ذلك ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) نحن والسلف اتفقنا على أن هذه الآية لا تدل على إثبات صفة الوجه ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) اتفقنا نحن والسلف على أن هذه الآية لا تدل على إثبات صفة الرحمة. نعم. ﴿ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﴾ نحن والسلف متفقون على أن هذا النص لا يدل على إثبات صفة الغضب إذن ما الفرق بينكم وبين السلف معاصر المؤولة؟

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ - سورة الأعراف آية : ١٥٦.



قالوا: الفرق فقط أن السلف فوضوا معاني هذه النصوص كانوا يقرءونها مثل ما نحو نتهجى كلام الأعجمي لا يفقهون من حرف. واضح؟

أما نحن الذين أولنا النصوص فنحن بحثنا المعنى، بحثنا في معاني هذه النصوص وأولناها، السلف رأوا المصلحة الإضراب عن البحث في هذه النصوص واستخراج معانيها المعاني الصحيحة.

أما الخلف فلا أجهدوا عقولهم أجهدوا أنفسهم حتى استخرجوا هذه المعاني، استخرجوا أن معنى استوى أيش؟ استولى، وغضب أراد العقاب، والوجه الذات أو الرضا؛ ولهذا قالوا مقولتهم الكاذبة الخاطئة: طريق السلف أسلم وطريقة الخلف أو وطريقتنا أعلم وأحكم.

طريقة السلف أسلم . النص وتترك هذا النص ولا تتعب . لا تتعب نفسك في البحث عن معاني هذه أسلم، لكن طريقة الخلف الذين بحثوا في هذه النصوص وبينوا المراد منها وبينوا المعاني منها هذه أعلم وأحكم، وقد رد عليها الشيخ ردا وافيا في القسم الأول، وبين أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم، وأن هذا افتراء منهم على السلف.

أن مذهبهم هو التفويض وأنهم كانوا يقرءون هذه النصوص ولا يفقهون منها حرفا حتى اختلفوا فيما بينهم هل النبي ﷺ أيضا يعلم معناها أو لا يعلم معناها؟

فجمهورهم قالوا: النبي ﷺ لا يعلم معناها، ومنهم من قال: لا النبي ﷺ كان يعلم معناها، لكنه أمسك عن بيان ذلك.

سبحان الله!

النبي ﷺ يمسك عن بيان ذلك، والسلف يعرضون عن ذلك، وأنتم تسبقونهم فتحددون المعنى وتبينونه للناس!



هذا غاية الفساد وغاية الضلال، وغاية الانحراف؛ ولهذا قال: وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول: إن طريقة أهل التأويل أي الذين يصرفون هذه النصوص عن ظاهرها إلى معنى آخر هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله - سبحانه - ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها؛ لمسييس الحاجة إلى ذلك.

عجيب!

السلف تركوا ذلك لعدم الحاجة، يعني بينوا لنا آداب قضاء الحاجة وبينوا لنا آداب النوم، وبينوا لنا آداب الأكل، وآداب الخروج، نعم، وآداب الركوب، وتركوا هذه مسييس الحاجة إليها وتركوا أعظم ما حصلته القلوب والنفوس، تركوا الأمور المتعلقة بماذا؟

بالإيمان بالله المتعلقة بعقيدة الإنسان المتعلقة بأصول الإيمان تركوا ذلك لعدم مسييس الحاجة إذا كان المسجد ما هو محتاج لهذا بأي شيء يحتاج؟

يحتاج لأداء قضاء الحاجة؟

أي تناقض هذا ثم أنتم علمتم أن الناس محتاجون لذلك فأولتم والسلف لم يعلموا أن الناس محتاجون لهذا فأضربوا عن ذلك.

ويقول: الفرق أن هؤلاء يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيرهم.

كل هذا -أيضا- تجهيل للسلف، على حد قول هؤلاء، يعني يقول الفرق فقط بين طريق السلف وطريقة الخلف أن الخلف جزموا أن معنى هذه الصفة هذا المعنى أن ﴿أَسْتَوَى﴾^(١) استولى ماشي؟ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي﴾^(٢) بقدرتي أن السلف ما تركوا ذلك ليش؟

١ - سورة البقرة آية : ٢٩.

٢ - سورة ص آية : ٧٥.



لأن كان عندهم عدة احتمالات ربما يكون المعنى هذا، ربما يكون المعنى هذا، يعني السلف جهلوا أيش؟
المعنى الحقيقي، والخلف عرفوا المعنى الحقيقي، فكأن الخلف أدركوا ما لم يدركه السلف! نعم.



القول بأن طريقة أهل التأويل هي طريقة السلف كذب صريح على السلف

وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف: أما في كثير من الصفات فقطعاً، مثل أن الله فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

نعم. وهذا بيان لما تقدم أن هذا كذب وافتراء على السلف، وذكر أن كلام السلف في كثير من الصفات يناقض هذه الدعوى التي ادعوها.

يقول: أما في كثير الصفات فقطعاً مثل أن الله فوق العرش.

فمن تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره، يعني ولا شيء يسير الذي ذكرته لكم، هذه النقول الكثيرة التي أوردتها في هذا الجواب، هذا لا يمثل شيئاً في جانب ما نقل عنهم.

علم بالاضطرار، العلم الضروري.

وقلنا: إن العلم الضروري هو الذي لا يمكن دفعه.

أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح بكثير من الصفات بمثل ذلك. نعم.



السلف لا ينفون الصفات الخبرية

والله يعلم أنني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر، بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل إما نصا وإما ظاهرا على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحدا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم على من نفى الصفات كقول نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيها.

نعم. يقول: والله يعلم أنني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا حتى بالقرائن على نفي الصفات الخبرية، بمعنى أعطونا نصا واحدا عن أحد من السلف أنه نفى صفة لله ﷻ من الصفات الخبرية التي هي مدار الخلاف بين أهل السنة وبين من؟ بين من؟ المعتزلة والجهمية ينفون جميع الصفات الذاتية والخبرية، لكن الأشاعرة جمهورهم أثبتوا هذه السبع صفات لكن أكثرهم نفى الصفات الخبرية.

وقلنا: الصفات الخبرية متوقفة على ورود الخبر كصفة الوجه الاستواء النزول، نعم؟

المجيب الغضب الرحمة فيقول الشيخ: إنني ما وجدت عن أحد من السلف أنه نفى هذه الصفات، بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل إما نصا وإما ظاهرا على تقرير جنس هذه الصفات، يعني على إثبات جنس هذه الصفات. نعم. يعني لا يمكن مثلا نأتي وننقل عن ابن المبارك أنه أثبت كل الصفات بعينها الصفات الخبرية أثبت النزول والمجيب والغضب والرحمة إلى آخره، لأ، لكنه يثبت جنس نوعي.



مثلاً يثبت النزول فإذا أثبت النزول عرفنا أنه يثبت المجيء واضح؟

لكن النافي عليه الدليل، من قال: إنهم ينفون الصفات الخيرية، نقول: ما دليلك؟

فهذه النقول عنهم جميعاً يثبتون جنس هذه الصفات ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيته أحداً منهم نفاهاً، وإنما ينفون من الذي ما الشيء الذي ينفونه دائماً؟

التشبيه، يثبتون الصفة، لكن ينفون أن تكون هذه الصفة كصفة المخلوق أو مماثلة أو مشابهة لصفة المخلوق، وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم على من نفى الصفات كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -رحمه الله- من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً.

هذه قاعدة مع كل السلف، هذا مذهبهم بين التشبيه وبين التعطيل يثبتون لكن يصرحون أن هذا الإثبات لا يلزم عليه التشبيه. نعم.



السلف ينكرون التشبيه وإذا رأوا الإنسان قد غلا في التعطيل سموه معطلا

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: جهمي معطل. وهذا كثير جدا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - بذلك حتى قال ثمامة بن أشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(١) وعيسى حيث قال: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٢) ومحمد ﷺ حيث قال: ﴿يَنْزِلُ رَبُّنَا﴾.

وحتى إن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، وغيرهم في قسم المشبهة.

نعم. الشيخ يبين أن السلف كانوا ينكرون التشبيه، ولم ينقل عنهم أنهم عطلوا شيئا من الصفات، بل إنهم إذا رأوا الإنسان قد غلا في التعطيل سموه معطلا.

يقول: وهذا كثير جدا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها.

الجهمية والمعتزلة عندهم كل من أثبت حتى لو أثبت صفة واحدة لله فهو مشبه، ووصل ببعضهم الأمر إلى أن قال كما زعم ثمامة بن أشرس وهذا رئيس أو الذي تنتسب إليه فرقة من فرق المعتزلة الغلاة يقال لهم الشمامية،

١ - سورة الأعراف آية : ١٥٥.

٢ - سورة المائدة آية : ١١٦.



ثمامة بن أشرس هذا رمى حتى الأنبياء بالتشبيه فقال: ثلاثة من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - مشبهة من هم؟

موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(١) بمعنى كون موسى نسب الفتنة لله ﷻ فهو مشبه - وأيضا - عيسى حيث قال: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٢) حيث أثبت لله نفسا، ومحمد ﷺ حيث قال: ﴿يَنْزِلُ رَبَّنَا﴾.

وبناء على ذلك غلا المعتزلة حتى رموا كبار الأئمة بالتشبيه كما مثل المؤلف هنا فرموا مالكا - رحمه الله - بالتشبيه ورموا الثوري والأوزاعي والشافعي والإمام وأحمد وجل الأئمة الذين أثبتوا لله الصفات سموهم أيش؟ مشبهة. نعم.

١ - سورة الأعراف آية : ١٥٥.

٢ - سورة المائدة آية : ١١٦.



أهل البدع يلقبون أهل السنة بألقاب افتروها من عند أنفسهم

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءاً أسماه تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة، وذكر فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هذه الألقاب، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد؛ وكما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها.

فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة، والمرجئة يسمونهم شكاكا، والجهمية تسميهم مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثرا، إلى أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمى النبي ﷺ تارة مجنوناً، وتارة شاعراً، وتارة كاهناً، وتارة مفترياً.

نعم. يقول: مسألة تسمية هؤلاء لأهل السنة أو من أثبت شيئاً من الصفات مشبه هذا لا يضر، وهذا أمر اصطلاح عليه هؤلاء المخالفون لأهل السنة. فكل يطلق على أهل السنة لقباً الذي يناقض مع مذهبهم. ويقول: صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس المتوفى سنة ستمائة واثنين وعشرين كتاباً سماه تنزيه الشريعة عن الألقاب الشنيعة وذكر فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هذه الألقاب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها من عند أنفسهم.

وهذا الكلام -أيضاً- منقول عن أبي عبيد -رحمه الله- وعن الإمام أحمد أن من علامة أهل البدع تسمية أهل السنة بألقاب افتروها من عند أنفسهم، وضرب لذلك أمثلة فالروافض تسمي أهل السنة نواصب. والنواصب أو الناصبة هم الذين يبغضون علياً وآل البيت هذا ضابط النصب بمعناه العام.

لكن الرافضة يسمون أهل السنة نواصب لماذا؟



لأن عندهم قاعدة من أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض عليا هذه المقدمة الأولى.
المقدمة الثانية من أبغض عليا فهو ناصب إذن أهل السنة يحبون أبا بكر وعمر إذن هم نواصب فبناء على
هذه المقدمة الباطلة سمو أهل السنة نواصب.

يقول: والقدرية يسمونهم **مُجْبِرَة**، القدرية نفاة القدر يسمون أهل السنة مجبرة لماذا؟
لأن أهل السنة يشبتون أن أفعال العباد خلق لله ﷻ فسموهم مجبرة، جبريين والمرجئة يسمونهم شكاكاً.
المرجئة الذين يؤخرون الأعمال عن مسمى الإيمان يسمون أهل السنة شكاكاً لماذا؟
لأن أهل السنة أجازوا أن يقول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله.
فقالوا: هؤلاء يشكون في الإيمان.

فأهل السنة نعم يجيزون أن يقول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله لكن لا يجيزون ذلك بإطلاق.
يجيزونه من وجه ويمنعونه من وجه، فمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله شكاكاً في أصل إيمانه فهذا يمنع أن
يستثني.

ومن قال: أنا مؤمن إن شاء الله وأراد أن الإيمان قول وعمل يزيد في الطاعة وينقص بالمعصية وأنه لا يدري
هل استكمل جوانب الإيمان أو لا وأيضا أن الإيمان الحقيقي هو ما يختم الإنسان به فلا يدري ماذا سيختم له
به فيستثني بهذا الاعتبار فبهذا الاعتبار الاستثناء جائز. واضح؟

الشاهد أن المرجئة الذين قالوا: الإيمان شيء واحد لا يزيد لا ينقص ولا يجوز لأحد أن يستثني قالوا: إن
أهل السنة الشكاك؛ لأنهم أجازوا أيش؟ الاستثناء.

والجهمية تسميهم مشبهة؛ لأنهم يرون أن كل من أثبت لله صفة فقد شبه الله بخلقه بناء على قواعد عقلية
قعدوها وأسسوها، ربما الشيخ يشير إلى شيء منها قريباً.

وأهل الكلام يسمونهم حشوية أهل الكلام المقصود بهم - غالباً - الأشاعرة يسمونهم حشوية ونوابت وغشاء
وغثراً.



.....
حشوية معناها أنهم من حشو الناس أو أصحاب حشو في الكلام يعني ما عندهم إلا قال الله، قال الرسول، ما عندهم قواعد عقلية، ما عندهم مقدمات منطقية؛ ولهذا سموا أهل السنة حشوية بمعنى أنهم أهل حشو. وسموهم نوابت بمعنى صغار ليسوا شيئا، النابتة الشيء الصغير المحتقر. ويسموهم -أيضا- غشاء، والغشاء هو الشيء الرديء.

وغثرة بمعنى أنهم جهال، الغثرة الجماعة من . في اللغة العربية.
يقول: إلى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي ﷺ تارة مجنونا، وتارة كاهنا، وتارة مفتريا فهل ضر هذا النبي صلى الله عليه وسلم؟

أبدا فهؤلاء أطلقوا على أهل السنة هذه الألقاب، ولا تضر ولهذا قال الشاعر:
لا يضر البحر أمسى زاخرا أن رمى فيه غلام بحجر

ويقول الآخر في العسل:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشا قلت ذا قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفه والحق يعتريه سوء تعبير

ولهذا يقول ابن القيم كلاما جميلا بعد ما أثبت بعض الصفات وتكلم على بعض الصفات قال رحمه الله:
فهذه المعاني ثابتة للرب -تعالى- وهو موصوف بها لا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما، يعني لا ننفي هذه الصفات عن الله؛ لأنكم تسمون كل من اتصف بهذه الصفات أنه جسم، كما أنا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصب، ولا ننفي قدرة الرب، ونكذب به لأجل تسمية القدرية لمن أثبتته جبريا، ولا



نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية، ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه بتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسما مشبها. ولهذا قال:

فإن كان تجسيما ثبوت استوائه على عرشه إني إذن لمجسم
وإن كان تشبيها ثبوت صفاته فمن ذلك التشبيه لا أتكتم

ونقل عن شيخه شيخ الإسلام قوله:

فإن كان نصبا ولاء الصحاب فإني كما زعموا ناصبي
وإن كان رفضا ولا آلهي فلا برح الرفض من جانبي

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



علامة الوارث حقيقة هدي النبي أن يحصل له كما حصل للنبي من ابتلاء

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

قالوا: وهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادا واقتصادا وقولا وعملا؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرة، الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطنا وظاهرا.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يقول المؤلف: قالوا أي السلف الذين تقدم ذكر قولهم أن كل من خالف السلف وصفهم بالوصف الذي يعارض قولهم كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ بأسماء مكذوبة، تسميه كاهن، شاعر، ساحر.

يقول: وهذه علامة الإرث الصحيح.

علامة الوارث حقيقة هدي النبي ﷺ المقتفي سنته لا بد أن يحصل له كما حصل له عليه الصلاة والسلام، وهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة.

لا شك أن الإنسان كلما كان أكثر متابعة للنبي ﷺ كلما اشتد البلاء به، فالنبي ﷺ جاء في الحديث [٥٤] أن المرء يبتلى على قدر دينه [٥٥] وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل [٥٦].

يقول: فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ اعتقادا واقتصادا وقولا وعملا.



اعتقاداً معروفاً، والاقتصاد هو الاستقامة على الطريق باعتدال ووسطية. وقولا وعملا، فكما أن المنحرفين عنه، عن سنة النبي ﷺ وعن منهجه يسمونه بأسماء مكذوبة مذبذومة يسمون النبي ﷺ بأسماء مكذوبة ومذبذومة وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة.

يعني حتى ولو وجد من اعتقد أن هذا الوصف صادق في وصفه مثلاً للنبي ﷺ أو لأتباع النبي ﷺ بناء على عقيدته الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطنا وظاهرا. كذلك كل من اقتدى واقتفى أثر النبي ﷺ نعم، فسيحصل له ما للنبي ﷺ فسيجد من يطلق عليه أوصافاً وألقاباً مكذوبة؛ لأجل أن ينفر الناس عنه.

فكفار قريش لما وصفوا النبي ﷺ بالسحر والكهانة والكذب قصدوا من ذلك تنفير الناس عنه. كذلك أتباعهم سيجدون من يناوئه ويلصق بهم هذه التهم المكذوبة كما هي الحال الآن، في وقتنا يطلق على المتمسك بالسنة المتمسك بدينه متزمت متشدد متطرف، نعم. لكن هذه الألقاب لا تضر ولا تؤثر في إيمان المؤمن الحق؛ لأنه ما دام هذا الطريق هو الطريق الصحيح فلا يعبأ الإنسان بما اعترض له في طريقه هذا. نعم.



الذين وافقوا النبي ببواطنهم، وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن

وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الإمكان لا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونه به، ويسمونهم بأسماء مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها كقول الرافضي: من لم يبغض أبا بكر وعمر فقد أبغض علياً؛ لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما. ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصيباً، بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدوها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب؟ اعتقدوها صحيحة أو عاندوا فيها

وكقول القدري: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد: فقد سلب العباد القدرة والاختيار، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة. وكقول الجهمي: من قال: إن الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب وأنه مشابه لخلقه.

وكقول الجهمية والمعتزلة: من قال: إن الله علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب، وهو مشبه؛ لأن هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز، وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبه - وكل متحيز وكل متحيز كجسم - وكل متحيز كجسم مركب أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة.

ومن حكى للناس مقولاتهم وسماتهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وره، والله من ورائه بالمرصاد، ﴿وَلَا تَحْقِقُ الْإِصْرَ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١).



نعم. يقول: أما الذين وافقوا ببواطنهم وافقوا النبي ﷺ نعم ببواطنهم، وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، أو الذين وافقوه ظاهرا وباطنا بحسب الإمكان، يعني لو أخذت أهل البدع هؤلاء الذين أطلقوا على أهل السنة هذه الألقاب لوجدت أنهم غالبا يدخلون في أحد هذه الأقسام منهم من وافق النبي في باطنه وقصد تعظيم الله ﷻ وحرص على اتباع السنة، لكنه لم يستطع أن يوافق ذلك في الظاهر، وهناك أسباب.

وهناك أناس وافقوه في الظاهر، لكنهم عجزوا عن تحقيق ذلك في الباطن. وهناك من وافقوه ظاهرا وباطنا، لكن ليس على الوجه الأكمل أو الوجه الأمثل، فكل هؤلاء لا بد كل من انحرف عن سنة النبي ﷺ منهم ومن غيرهم أن يعتقد في من اتبع سنة النبي ﷺ ومنهجه أن يعتقد فيه نقصا ويذمه بناء على هذه العقيدة التي اعتقدها ويسميه بأسماء مكذوبة.

ثم ضرب الشيخ لهذا أمثلة فأخذ أولا قول الرافضة وهذا ذكرناه بالأمس. الرافضي عنده قاعدة أن من أحب أبا بكر وعمر، من تولى الصديق والفاروق فقد أبغض عليا، عنده يعني يستحيل أن يجتمع حب علي وحب أبو بكر وعمر وبناء على ذلك عنده من أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض عليا، ومن أبغض عليا فقد صار ناصيبا.

ولهذا عنده أهل السنة لما تولوا أبا بكر وعمر أنهم نواصب وأطلق عليهم هذا اللقب زورا وبهتانا. وهذه الملازمة باطلة وهذه من نسج خيال هذا الرافضي من قال لك أن من تولى أبا بكر وعمر أبغض علي؟ السلف قاطبة والأئمة قاطبة وأهل السنة قاطبة يتولون الجميع ويحبون الجميع ويعرفون للجميع قدرهم.

يقول: هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدوها صحيحة أو عاندوا فيها، وهو الغالب، يعني منهم من يعتقد، هذا منتهى عنه أن من أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض عليا هذا اعتقاده.

ومنهم وهو الأكثر المعاندون يعرفون الحق كحال اليهود لكنهم لا يقبلونه.



يقول: وكقول القدري: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد القدرة والاختيار. يعني لاحظ هذه الملازمة عنده الباطلة من أثبت عموم مشيئة الله ﷻ وخلقها فقد نفى عن العبد القدرة والاختيار.

يعني لا يمكن عنده الإنسان يجمع بين الاثنين يثبت عموم مشيئة الله، عموم مشيئة الله وخلقها، وقدرة العبد وفعل العبد.

عنده إذا أثبت هذا فقد نفيت هذا؛ ولهذا عنده أهل السنة لما أثبتوا عموم مشيئة الله ﷻ وعموم خلقه - سبحانه - فقد سلبوا العبد قدرته ومشيتته، فأصبح العبد في نظر القدريّة عند أهل السنة مجبوراً؛ ولهذا سمو أهل السنة أيش؟

جبرية بناء على هذه الملازمة الباطلة والاعتقاد الباطل.

يقول: وجعلهم مجبورين كالجملات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

وكقول الجهمي: من قال: إن الله فوق العرش فقد زعم أن الله محصور، وأنه جسم مركب وأنه مشابه لخلقها؛ ولهذا سمو أهل السنة مشبهة مجسمة ليش؟

لأن عنده هذه القاعدة، تثبت أنت الاستواء إذن يلزم على إثبات الاستواء أنك تثبت أن الله محصور، وأنه جسم وأنه مشابه لهذا إذن فأنت مجسم مشبه تزعم أن الله محصور في عرشه أو في السماوات أو في خلقه.

فهذه القاعدة يعني أطلق هذا اللقب على أهل السنة بناء على هذه الملازمة الباطلة وهذه القاعدة الباطلة.

واضح؟

وكقول، شبهة التجسيم وشبهة التركيب هذه من أبرز الشبه التي نفى المعطلة الصفات بسببها، تمسكوا

بقضية شبهة التجسيم وشبهة التركيب؛ لأنهم يزعمون أن من أثبت لله الصفات أو أثبت أن الله عال على الخلق



فقد زعم أن الله جسم، ومن أثبت لله **كذلك** هذه الصفات العلم القدرة، السمع، البصر، الحياة، الكلام، الوجه،
اليدين فقد زعم أن الله مركب من هذه الصفات. واضح؟

ولهذا من الألفاظ المجملة المبتدعة لفظ التجسيم، ولفظ التركيب؛ لأنه يراد به معنى حق ويراد به معنى
باطل فتشبت بهذه الألفاظ أهل البدع من المعطلة؛ لأجل نفي ما يستحقه الله **كذلك** من الأسماء والصفات
لاحظوا، جاءوا بهذه الألفاظ؛ ليشوشوا على أذهان العامة، يعني عامة الناس ما يقبل أن تقول له: إن الله مركب أو
إن الله جسم، فنفي الصفات بهذه الأسماء التي تنفر منها النفوس والفطر السليمة.

. الألفاظ أهل البدع من المعطلة لأجل نفي ما يستحقه الله **كذلك** من الأسماء والصفات لاحظوا جاءوا بهذه
الألفاظ؛ ليشوشوا على أذهان العامة، يعني عامة الناس ما يقبل أن تقول له: إن الله مركب أو إن الله جسم، فنفي
الصفات بهذه الأسماء التي تنفر منها النفوس والفطر السليمة.

يقول: وكقول الجهمية والمعتزلة من قال: إن الله علما وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب، وهو مشبه؛ لأن هذه
الصفات أعراض، العلم والقدرة، نعم، والرؤية والحياة والقدرة هذه عرض.

وقلنا في القسم الأول: العرض عندهم هو الذي لا يقوم بنفسه ولا يبقى زمانين يبطل في ثاني حال وجوبا،
يعني الآن الكلام إذا أطلقه الإنسان انتهى في لحظة هل يبقى هل يبقى؟

كذلك الرؤيا هل تبقى؟

تنتهي في لحظة، أو في أول حال لا تبقى، بخلاف مثلا اليد، بخلاف الوجه، فهذه الصفات سموها أعراضا.
فعندهم عند الجهمية والمعتزلة خلافا للأشاعرة، الأشاعرة يشبثون الحياة العلم، القدرة.

فعند المعتزلة والجهمية أن من أثبت لله العلم، والقدرة، والسمع، والبصر فهو مشبه؛ ولهذا عندهم الأشاعرة
مشبهة وأهل السنة مشبهة بناء على ماذا معاشر الجهمية والمعتزلة؟



قالوا: بناء على أن هذه أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجسم والأجسام مركبة، إذن أنتم تقولون إن الله جسم، والأجسام متماثلة، إذن أنتم تشبهون الله ﷻ بناء على هذه القاعدة الفاسدة المركبة من هذه المقدمات الفاسدة.

فهم إذن أطلقوا على من أثبت لله هذه الصفات مشبه مجسم بناء على أن من أثبت هذه الصفة التي هي أعراض أن العرض لا يقوم إلا بجسم والأجسام متماثلة إذن فقد شبه الله بغيره. نعم. ثم قال: لأن هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهر، والجوهر عندهم عبارة عن المتحيز.

كل شيء متحيز يسمى عندهم جوهرًا، فمثلا هذا الكأس عرض ولا جوهر؟
جوهر؛ لأنه متحيز ينحاز بكل الكيان، ينحاز بمكان يقدر له مكان.

والجوهر عندهم ينقسم إلى قسمين بسيط وهو ما لا يقبل الانقسام لا بالفعل ولا . يعني لا ينقسم بنفسه ولا بتقسيم غيره.

والمركب من جوهرين فردين فصاعدا وهو الجسم.

فهم يقولون: العلم والقدرة والحياة عرض ولا جوهر؟

عرض، والعرض لا يقوم إلا بجسم.

أنتم الآن تثبتون لله الحياة والعلم والقدرة. ماشي.

ونحن لا يمكن أن نتصور أن تقوم هذه الأعراض إلا بجسم.

بمعنى، إذن يلزم على ذلك أنكم تقولون: إن الله جسم والأجسام مركبة إذن أنتم تشبهون الله ﷻ بهذا

الخلق الذي هو جسم مركب بناء على هذه القاعدة الفاسدة.

قال: لا يقوم إلا بجوهر متحيز، والحيز عندهم عبارة عن المكان أو تقدير المكان هذا معنى الحيز.

فالجوهر هو الذي يتحيز يعني له مكان، وكل متحيز فجسم مركب أو جوهر فرد.



وعرفنا تعريف الجوهر الفرد هو الذي لا لا، العرض . لا يقبل الانقسام.

هذه على كل مصطلحات منطقية نحن معاشر أهل السنة لا نسلم لهم بكل هذه المقدمات ولا بهذه التعريفات، لكن الآن من باب التسليم لهم أو هذا اعتقادهم وليس هذا مجالا للمناقشة والرد وإلا الجوهر الفرد عندهم هو ما لا يقبل التجزؤ أو الانقسام بنفسه ولا بغيره.

نحن لا نسلم لهم وجود جوهر لا يقبل الانقسام، بل عندنا أن الأشياء كلها المخلوقات نعم تتحلل، تتحلل إلى أن تنتهي تفنى، عندهم لا هذه المخلوقات لا بد أن تنتهي إلى الجوهر الفرد الجوهر الفرد هذا هو خلاص ما عاد يقبل التجزؤ وهذا غير مسلم بيه.

الشاهد أن هذه الألفاظ التي هي العرض، الجسم، التركيب، الجوهر الفرد، الجوهر المركب كلها من الألفاظ المبتدعة التي لم تؤثر عن الصحابة فضلا أن تؤثر عن النبي ﷺ أو عن الله ﷻ ولم يقل بها سلف الأمة إنما هي من الألفاظ التي ابتدعها أهل الكلام؛ ولهذا لا تقبل بإطلاق ولا ترد بإطلاق.

لا بد من التفصيل، لا بد من الاستفسار؛ لنعرف ما مراد هذا الشخص من هذا الاصطلاح.

فإن أراد معنى حق قبل المعنى دون اللفظ، وإن أراد معنى باطلا رددنا اللفظ والمعنى.

وهذا قررناه أكثر من مرة.

يقول: ومن قال ذلك فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة.

هذه النتيجة التي يريد أن ينتهي إليها هذا الجهمي وهذا المعتزلي أنك ما دام تثبت لله العلم والقدرة فالنتيجة

أنك مشبه ليش رميتك بالتشبيه؟

لأن هذه أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم والجسم مركب والأجسام متماثلة. إذن أنت مشبه.



يقولون: من حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم التي هم مخالفون له فيها فهو وريه بما نكون تطلق على فلان أنه جبري وفلان ناصبي وفلان مجسم وفلان مشبه وفلان من حشو الناس. الشيخ يقول: هذا الحق هو الحق لا يتغير.

الحق هو الذي قام على الكتاب والسنة، أما هذه الألقاب التي أطلقتها على من خالفك في معتقدك نعم، فهذا بينك وبين الله عز وجل وأنت وربك وسيتولى الله أمرك.

يقول: والله من ورائه بالمرصاد، ﴿وَلَا تَحْقِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١) بمعنى أن أهل السنة لا يرفعون رأساً لهذه الألقاب.

المقصود إحقاق الحق كونك تطلق على هذا اللقب أو هذا الاسم أو هذا الوصف لا يهم منها بشيء، إنما علي أن أبين لك الحق وأعتقد أن هذا هو الحق بغض النظر عن الاسم الذي أطلقته. نعم.



الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام

من قال بأن الصفات على ظاهرها

وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

قسمان يقولان: تجرى على ظواهرها، وقسمان يقولان: هي على خلاف ظاهرها، وقسمان يسكتون.

أما الأولون فقسمان.

أحدهما من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف وإليهم يتوجه الرد بالحق.

والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجري ظاهر اسم العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات، ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بالله، على ظاهرها اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق: إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به. فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض.

والوجه واليدين والعين في حقه أجسام.

فإذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الإثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشية ولم يكن ذلك عرضا يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويده صفات ليست أجساما ليست أجساما يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.



نعم. يقول: جماع الأمر فيما تقدم أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة، يعني عندنا الآن آيات وأحاديث الصفات هناك قسمان يقولان تجرى على ظاهرها. وقسمان يقولان تجرى على خلاف الظاهر.

وقسمان يسكتون ويمسكون.

بدأ الشيخ بالقسمين الأولين والناس أهل القبلة المسلمون لا يخرج أحد منهم عن أحد هذه الأقسام الستة تجاه نصوص الصفات.

القسمان اللذان يقولان: تجرى هذه النصوص على ظاهرها ينقسمون إلى قسمين.

القسم الأول من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة مذهبهم باطل، الذين قالوا ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) نحن نجري هذا اللفظ على ظاهره ونعتقد أن ظاهره من جنس ما هو ثابت للمخلوق فهذا الاستواء لا نعرف إلا استواء المخلوق على المخلوق فنحن نثبت الاستواء لله كاستواء المخلوق على المخلوق. واضح؟

وهؤلاء هم المشبهة وهم الذين أنكر عليهم السلف.

يقول: وإليه توجه الرد بالحق يعني بان وظهر ووضح الرد عليهم.

فبطلان مذهبهم ظاهر لا يحتاج إلى كثير عناء.

القسم الثاني من الذين أجروا نصوص الصفات على ظاهرها أهل السنة، وهؤلاء الذين قالوا: إن ظاهرها

مراد، ظاهر هذه النصوص ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٢) ﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾^(٣) "ينزل ربنا"، نعم؟ عجب الله،

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ - سورة ص آية : ٧٥.



﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(١).

قالوا: ظاهر هذه النصوص مراد وهو على الوجه اللائق به - سبحانه وتعالى - يجريه على ظاهره ونشئته على الوجه الذي يليق به - سبحانه وتعالى - فنثبت الاستواء حقيقة، له العلو والارتفاع على الوجه اللائق به، نثبت اليدين لله حقيقة على الوجه اللائق به، كذلك الوجه، كذلك بقية الأسماء والصفات.

يقول: كما يجري ظاهر اسم العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات، ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين.

والآن كأن الآن يبرد على الأشاعرة، الأشعرية الذين يشنون بعض الصفات وينفون بعض.

يقول نحن نثبت لله ﷻ هذه الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه وتعالى - لا على الوجه الذي هو ثابت للمخلوق.

يقول: فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث، وإما عرض قائم، يعني لو لاحظنا هذه الصفات العلم، الوجه، اليد، القدرة إما عرض أو جوهر، هذا بالنسبة للمخلوق.

يقول: فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض.

الأشاعرة - الآن - يشنون العلم والقدرة والكلام والمشية، لكنهم مثلاً ينفون الرحمة والغضب والرضا وجميع هذه الصفات بالنسبة في حق المخلوق أعراض فإن نفوا الرضا والغضب والرحمة بحجة عدم التشبيه قالوا: لأن لا نعقل الرضا إلا رضا هذا المخلوق الذي هو . ولا نعقل الرحمة إلا الرقة التي في النفس ولا نعقل غضبا إلا غليان دم المخلوق.

قيل لهم: كذلك الكلام والعلم والقدرة والجميع أعراض، فإما أن تنفوا للجميع وإما أن تثبت للجميع.



يقول: الوجه واليد والعين في حقه في حق المخلوق أجسام فنحن نثبت ظواهر هذه الأدلة، لكن على الوجه اللائق به - سبحانه - ليس على الوجه الثابت للمخلوق التي هي أعراض وأجسام.

يقول: فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشية، موصوف عند عامة أهل الإثبات أهل السنة والأشاعرة هؤلاء عموم أهل ..

الأشاعرة يشنون بعض الصفات فالجميع متفقون الآن على إثبات العلم والقدرة والكلام والمشية ماشي؟

يقول: وإن لم يكن ذلك عرضاً وهو عند الجميع ليس بعرض.

عند الأشاعرة وعند أهل السنة يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين. يعني هذه الصفات ليست بأعراض كما هي الحال في حق المخلوق.

طيب الجواب جاز أن يكون وجه الله ويداه هاتان الصفتان، نعم اللتان يشتهما أهل السنة وينفيهما الأشاعرة جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساماً.

أنتم تقولون: لا يمكن أن نثبت لله وجه لئلا نقع في التجسيم نقول لكم أيضاً لا تثبتوا لله القدرة والإرادة لأن هذه أعراض والأعراض لا تقوم إلا بجسم فأنتم إذن مجسمة.

يقول: ليست أجساماً، ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.

إذن فأهل السنة يجرون نصوص الصفات ونصوص الإثناء على ظاهرها. وعندهم أن الظاهر مراد لكنه على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى. نعم.



القول في الصفات كالقول في الذات

وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطّابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقيين لا يخالفه، وهو أمر واضح فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علما ويذا إلا من جنس العلم واليد المعهودين.
قيل له: فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته.

فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي كيف استوى؟

أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا؟ أو كيف يداه؟ ونحو ذلك.

فقل له: كيف هو في نفسه؟

فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم بكيفية صفة لموصوف، ولم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له، بل هذه المخلوقات في الجنة، قد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.



وقد أخبر الله أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، وأخبر النبي ﷺ أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من مخلوقات الله، كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟

نعم. ذكر هنا الشيخ قاعدتين أو أكثر في الصفات، ويمكن استخدام هذه القواعد في الرد على المخالفين، في الرد على المعطلة.

فالقاعدة الأولى أن القول في الصفات كالقول في الذات؛ ولهذا قال الشيخ: فإن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

يقال لهذا المعطل: هل تثبت لله الذات؟

هي أقصى وآخر ما . هذا المعطل فإن قال نعم، قلنا: هل هذه الذات مثل ذوات المخلوقات، المخلوقات لها ذات؟

فإن قال: لا، قلنا: وكذلك صفات هذه الذات.

صفات ذات الله ﷻ ثلاث تلائم - سبحانه - صفات هذه الذات ثلاث هذه الذات وصفات ذات المخلوق ثلاث ذات المخلوق لا فرق بين هذا وذاك.

وهذا من باب إلزام الخصم.

يقال له: القول في الصفات كالقول في الذات، فإن زعمت أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فكذلك إثبات الذات، وإن قلت: لا إثبات الذات لا يستلزم التشبيه، قلنا لك: أيضا الصفات إثباتها لا يستلزم التشبيه، فمن قال: لا أعقل علما ويذا إلا من جنس العلم واليد المعهودين لو قال لنا هذا المعطل: أنا أصلا لا يمكن أتصور لا أعقل علم ولا يد إلا علم هذا المخلوق ويد هذا المخلوق، نرد عليه مباشرة ونقول له: فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين؟



ألمست الآن تثبت لله ذات؟

كيف عقلتها وتصورتها أن هناك ذات مخالفة لذوات المخلوقين؟

فإذا أثبت ذلك، فأثبت هذه الصفات للعلم واليدين والوجه في هذه الذات لائقة فيه من غير جنس صفات المخلوقين، قيل له: فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته؟

وهذا معلوم حتى في نطاق البشر، في نطاق المخلوقات.

هل يقول قائل: إن صفات بني آدم مثل مثلا صفات الذر، هل يد النملة مثل يد الفيل؟

هل سمع الإنسان مثلا مثل سمع ذاك المخلوق الآخر؟

كل مخلوق له من الصفات ما يناسبه.

إذا كان هذا في حق المخلوق، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟

فصفاته تناسبه تليق بجلاله -سبحانه وتعالى- لا تماثل صفات المخلوقين. ولهذا شيخ الإسلام ^{رحمه الله} مثل أو يمثل

أحيانا يقول: العرش موجود أعظم وأكبر المخلوقات على الإطلاق، نعم؟

والبعوضة موجودة، هل يقول عاقل: إن وجود البعوضة مثل وجود العرش؟

وهذا مخلوق مع مخلوق، فما الظن للخالق مع المخلوق؟

فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ^(١) إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في

عقله ودينه.



.....
إذا كنت لا تفهم من إثبات هذه الصفة أو هذه الصفات المنسوبة لله ﷻ إلا ما هو ثابت المخلوق فهذا ضلال في العقل، وضلال في الدين. يقول: ما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي كيف استوى؟ وكيف ينزل إلى سماء الدنيا؟

بأنه يمكن الاستواء والنزول، فإذا قال لي الجهمي أو المعتزلي والأشعري قلت له: استوى على العرش أينزل ربنا كل ليلة فقال: كيف ينزل؟ وكيف استوى؟

نعم، لتقرير أو لأجل أن يقرر باطله، يقرر نفي هذه الصفة عن الله ﷻ كأنه يقول: أنت الآن تشبه الخالق بالمخلوق كيف استوى؟

ما نعرف استواء إلا استواء المخلوق عن مخلوق استواء الإنسان على الكرسي استواء الإنسان على ظهر الدابة، والنزول من أعلى إلى أسفل.

فالجواب مباشرة يرد عليه وهذا في كرسي فقل له: كيف هو في نفسه؟

كيف الله في نفسه؟

فإذا قال لك: لا يعلم، قلت: لا أعلم كيف هو، فقل له: وكذلك أنا لا أعلم كيفيته ولا كيفية وجهه ولا كيفية يده.

يقول فإذا قال لك: لا أعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف كيف تطالبي بمعرفة كيفية الصفة وأنت تجهل كيفية الموصوف؟ فإذا نفيت علمك بكيفية الموصوف فأنا -أيضا- لا أعلم كيفيته من هذا الموصوف.

يقول: فكيف يمكن أن تعلم بكيفية صفة الموصوف، ولم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له، بل هذه المخلوقات؟



الشيخ الآن ضرب مثل بمثالين لتقريب المسألة إلى الأذهان أنه لا يلزم من إثبات الصفة لله المماثلة لصفة المخلوق في الاسم التماثل والتشابه في أي شيء؟ في الحقيقة.

يقول: المثال الأول موجود في الجنة، الله ﷻ أخبرنا أن في الجنة لبن وعسل وماء وأنهار وزوجات وفاكهة وقصور. نعم؟

وفي الدنيا مثيل لهذه الأشياء في الأسماء فيها لبن عندنا لبن وعسل وفاكهة فهل يقول عاقل إن موجودات الدنيا مثل موجودات الآخرة؟

ابن عباس - رضي الله عنه - يقول: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. الحقائق الله أعلم بها؛ ولهذا قال النبي ﷺ بالحديث المتفق عليه رحمته فيها - يعني الجنة - ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) فإذا كان وهذا هو القياس الأولى.

إذا كان اتفاق المخلوق مع المخلوق في الاسم لا يلزم منه التماثل في المسمى، فاتفاق الخالق أو اتفاق صفات الخالق مع صفات المخلوق في الاسم من باب أولى ألا يلزم من ذلك التماثل.

واضح؟

يعني الآن عندنا موجودات مخلوق مع مخلوق، الجنة مخلوقة وموجودات الدنيا مخلوقة، اتفقا في الاسم لبن ولبن، عسل وعسل، واختلفا في الحقيقة فاتفقا، إذا كان المخلوق له وجه ويد، والله ﷻ موصوف بأن له وجه ويدين، فالاتفاق بالاسم لا يلزم منه الاتفاق بالمسمى وهذا هو القياس الأولى. نعم.



الاعتبار بالروح عن الكلام في كيفية الله تعالى

وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟

مع أنا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتخرج إلى السماء، وأنها تسلك منه وقت النزاع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة، ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطئوا في اللفظ، وأنى لهم بذلك؟

نعم. مثال ذلك الروح أقرب شيء للإنسان، وصفت بأوصاف معروفة ومعلومة جاء صفاتها في السنة أنها تذهب وتجيء وتسلك وتخطب وتسمع وتصعد إلى السماء. نعم. وهي ليست من جنس هذا البدن المعهود، مخالفة تماما فإذا كانت هذه الروح وهي مخلوقة من مخلوقات الله ﷻ وموصوفة ببعض الصفات الموافقة لصفات هذه الأشياء المشاهدة. ومع ذلك بينها من التباين الشيء الكثير، فما الظن بالخالق والمخلوق؟

ثم استطرد الشيخ -رحمه الله- في الكلام على الروح، يقول: مع أنها مع أنا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتخرج إلى السماء، وأنها تسلك منه وقت النزاع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة.

من أكثر الناس أو أكثر المنكرة غلت في وصف الروح بالسل. الفلاسفة كما وصفوا الله ﷻ ولهذا وصفوا الروح بالمتنوع، بممتنع الوجود.



قالوا: لا هي داخل البدن، ولا خارجه، بل ولا داخل العالم ولا خارجه ولا هي متصلة بالبدن، ولا منفصلة، ولا هي مباينة ولا مداخلية، ولا متحركة ولا ساكنة.

إذن ما هو هذا؟

لا ليس العدم، العدم ينقسم إلى قسمين ممكن الوجود، وممتنع الوجود. المولود بالنسبة لك الآن الذي ما أتى معدوم، لكنه ممكن الوجود ولا ممتنع الوجود؟

ممكن الوجود لكن مولود لك لا هو موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت هذا ممتنع الوجود.

أشد الأشياء امتناع فهم وصفوا الروح بهذه الصفة كما وصفوا الله ﷻ.

يقول: ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول، يعني لا تصعد ولا تنزل، والاتصال بالبدن والانفصال

عنه هي كانت غير متصلة ولا منفصلة إذن أين هي الآن؟

وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون الصفات ثابتة

لها بحسبها.

كونها ليست مماثلة ليست من جنس هذا البدن لا يلزم من ذلك أن ننفي عنها هذه الصفات الثابتة لها من

الصعود والنزول، وأنها تسل وأنها تخاطب وتسمع إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، بمعنى أن يفسروا

هذا النفي بما يوافق ما جاء في النصوص، فيكونون قد أخطئوا في اللفظ، يعني أخطئوا في اللفظ، لكن المعنى

صحيح.

لكن يقول الشيخ: وأنى لهم بذلك يعني الوصف الذي جاءوا به لا يمكن يتفق مع نصوص الوحيين لأي

اعتبار قادم. نعم.



الذين يقولون إن ظاهر هذه النصوص غير مراد

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرهما، أعني الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلبية وإما إضافية، وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر، أو يثبتون الأحوال دون الصفات، كما عرف من مذاهب المتكلمين، فهؤلاء قسمان، قسم يتأولونها.

القسمان اللذان يقولان: إن ظاهر هذه النصوص غير مراد ينفون الظاهر يتفقون على نفي دلالة هذه النصوص على الصفات اللائقة بالله - سبحانه وتعالى - يعني ينفون عن الله الصفات، لا يثبتون لله شيئاً من الصفات أو يثبتون بعض الصفات.

الشاهد أنهم يقولون: ظاهر هذا النص الدال على هذه الصفة الله ليس له صفة، وسنرى موقفهم من هذه النصوص.

يقول: وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرهما، أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله ﷻ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) يقول: لا يدل على إثبات صفة الاستواء وأن الله لا صفة له ثبوتية؛ لأنهم يصفون الله ﷻ دائماً بالسلب بالنفي، بل صفاته إما سلبية وهذا مذهب غلاة الجهمية والفلاسفة.

معنا صفات سلبية أخذناها في القسم الأول.

النفي يعني يسلطون أداة النفي على هذه الصفات.

الله لا يتكلم، وليس له علم ولا قدرة ولا إرادة، ولا مشيئة، وليس له وجه ولا هو فوق ولا تحت، ولا يمين، يسلبون عنه الصفات الثبوتية.

هكذا يصفون الله ﷻ .



.....

وإما إضافية، والصفات الإضافية هي التي لا يمكن أن تعقل صفة إلا بما يقابلها.

هي عبارة عن ماهيتين لا يتم تعطل أحدهما إلا بالأخرى مثل الأبوة، والبنوة، يعني لا يمكن نسمي هذا أب إلا مع وجود الابن، ولا يمكن أن نسمي هذا ابن إلا مع وجود الأب، فالفلاسفة وصفوا الله بالإرادة مثل قالوا إن الله هو العلة - تعالى الله عن ذلك - هو العلة الأولى.

وهذه الصفة لم يوصف الله ﷻ بها عندهم إلا مع وجود المعلول فلو لم يكن هناك معلول لما وصف بذلك.

فهم يصفون الله ﷻ بالإضافات، وليس بالصفات الثبوتية.

نحن نصف الله ﷻ بأنه خالق وجد الخلق أو ما وجد الخلق.

واضح؟

هم لا، يصفونه بالصفات الإضافية.

يقول: وإما مركبة منهما أي من السلبية والإضافية، أحيانا يصفونه بالسلب، وأحيانا يصفونه بالإضافة أو يشبثون بعض الصفات، وهؤلاء من؟ الأشاعرة، السبعة وهي هذه يتفق عليها جمهور الأشاعرة العلم، القدرة الإرادة، الحياة، السمع، البصر، الكلام. ماشي؟

يقول: أو الثمانية أكثرهم يضيف إلى هذه السبع البقاء صفة البقاء أو الخمسة عشر.

حقيقة هذه لا يتفقون عليها، وغالبا موجودة عند المتقدمين، فهناك بعض الصفات مثلا يشبثها أبو الحسن، وهناك صفات أخرى يشبثها الباقلاني وهناك صفات يشبثها البيهقي، وهناك صفات يشبثها ابن فورك، فمختلفون.

الشاهد أنهم إما يشبثوا سبع أو ثمان أو خمس عشرة، أو يشبثون الأحوال دون الصفات.

وأول من قال بالأحوال أبو هاشم من المعتزلة، وتبعه على ذلك من الأشاعرة الباقلاني والجويني.

وحقيقة الأحوال من الأشياء التي كما قال العلماء: غير معقولة.

قالوا: ثلاثة غير معقولة، كسب الأشعري وأحوال أبي هاشم.؛ ولهذا وصفها أبو هاشم نفسه.



قلنا له: ما هي الحال؟

قال: هي التي لا موجودة، ولا معدومة ولا معلومة ولا مجهولة، وهذا في واقع الأمر يمكن؛ ولهذا اختلفت أقوال أهل العلم في تحديد هذه الحال؛ ولهذا قال ابن حزم كلاما جميلا.

قال: وأما الأحوال التي ادعتها الأشعرية فإنهم قالوا: إن هاهنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا، ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا هي موجودة ولا معدومة، ولا هي مجهولة ولا هي معلومة، ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء، وذكر بعض هذه الصفات المتناقضة، ثم عد هذا صفصطة وهذيان.

أما البغدادي فذكر أن أبا هاشم لم يعقل هو معنى الحال.

يقول: فكيف نرد عليه؟

يعني إذ كان هو ما عقل هذه الحال، فكيف نرد عليه؟

ما بودننا ندخل في... هي عقلية صرفة.

الحال هي المرحلة التي بين الصفة والذات.

عندنا عالم وعلم، ماشي؟

علم للعالم هذه المرحلة المتوسطة هي التي يسمونها الحال هذه من محارات أهل الكلام ومن صفصطاتهم التي لا نتيجة وراءها.

الشاهد أن منهم من يثبت الأحوال.

يقول الشيخ: نعم هذا مذهب هؤلاء، مذهب هؤلاء أن ظاهر النصوص غير مراد ولا تدل على صفة ثبوتية لله

وَكَلَّكَ سِوَاءَ وَقْفِ اللَّهِ فِي السَّلْ أَوْ الْإِضَافَةِ أَوْ الْأَحْوَالِ، إِنَّمَا اتَّفَقُوا عَلَى نَفْيِ دَلَالَةِ هَذِهِ النُّصُوصِ عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ

الصفات. نعم، نعم؟



من؟ لا لا، معتزلي وهناك فرقة يقال لها الهاشمية تتبعها الأشاعرة الباقلاني والجويني معروف الباقلاني والجويني لهم قيمة عند الأشاعرة كون هؤلاء من أكثر أئمة الأشاعرة الذي قعدوا لمذهب الأشاعرة. نعم. وطفرة النظام طفرة النظام، النظام . من المعتزلة.



المعطلة والمفوضة

فهؤلاء قسمان، قسم يتأولونها ويأولون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى؛ أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلفين. وقسم يقولون الله أعلم بما أراد بها، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه.

نعم. هؤلاء القسمان قسم يعين المراد وهؤلاء جمهور المعطلة الذين ركبوا التأويل فيقولون: معنى استوى ليس معنى إثبات صفة الاستواء إنما معناه استولى أو القدرة أو .. إلى آخر تأويلاتهم كثيرة، مختلفون فيما بينهم في التأويل، لكنهم اتفقوا على التأويل.

واضح؟ هذا قسم.

القسم الثاني وهم المفوضة نفوا دلالة هذا النص على إثبات الصفة وقال الله أعلم بمراده في هذه الآية ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٢) الله أعلم بما أراد.

يقول: وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه، وهذا من تناقض المفوضة.

إذا كنت، هم الآن ينفون دلالة هذا النص على إثبات الصفة. نعم. يقولون: الله أعلم بمراده، إذا كنت لا تعلم معنى هذا اللفظ لماذا تنفي؟ الذي لا يعلم معنى اللفظ لا يثبت، ولا ينفي يسلم يسكت.

فهذا من تناقض المفوضة أنهم نفوا الصفة الثبوتية، فقلنا لهم: ما دتم نفيت هذه الصفة الثبوتية، بمعنى فهمتم معنى هذا اللفظ، أنتم تقولون هذا اللفظ غير مفهوم المعنى.

١ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ - سورة الرحمن آية : ٢٧.



الشاهد أن هذا من تناقضهم. نعم.



القسمان الواقفان على الصفات

وأما القسمان الواقفان قسم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم. وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

أما القسمان الواقفان فقسم، قسم يعني متردد شك ما يدري. يقول: ربما أن المراد هذه الصفة اللائقة به - سبحانه وتعالى - ويحتمل أن يكون لها معنى آخر. يقول الشيخ: وهذا مذهب كثير من أهل الفقه؛ لأنهم لم يتخصصوا في هذا الأمر. القسم الثاني الذين يمسكون عن هذا كله وهذا موجود في بعض العباد يعني يكتفي بقراءة القرآن والحديث، ولا يقول مراد ولا غير مراد، ولا تثبت صفة ولا لا يثبت صفة. نعم.



الأصل أن يثبت الإنسان ما ثبت في الكتاب والسنة، وأن يسلم لدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة

فهذه الأقسام الستة لا يمكن الرجل أن يخرج عن قسم منها.
والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كآيات والأحاديث
الدالة على أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه، وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة
الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة لا تحمل النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن،
ذلك مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان ﴿ وَمَنْ
لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ ^(١) .

نعم؛ والأصل في هذا أن يثبت الإنسان ما ثبت في الكتاب والسنة ، وأن يسلم لدلالة الكتاب والسنة
وإجماع الأمة. نعم ربما قد يكون عند بعض الناس شيء من التردد، وشيء من عدم اليقين؛ وهذا بسبب ضعف
الإيمان، وضعف نور الوحيين في قلب هذا الشخص؛ ولهذا قال الشيخ: (وتردد المؤمن بذلك هو بحسب ما
يؤتاه من العلم والإيمان: ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ ^(١)) ، فهي منحة وموهبة من الله
عليه السلام نعم.

١ - سورة النور آية : ٤٠ .

٢ - سورة النور آية : ٤٠ .



اللجوء إلى الله عند اشتباه الأمور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام الليل يصلي يقول: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ. فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [١] وفي رواية لأبي داود: كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك.

فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، انفتح له طريق الهدى.

نعم، وهذا هو الأصل: أن الإنسان إذا اشتبه عليه أمر، أو إذا احتار في شيء، فليلجأ إلى الله ﷻ وليدع الله ﷻ ويكثر من الدعاء أن يهديه للحق؛ أن يهديه للصواب؛ أن يهديه لما اختلف به من الحق كما ثبت عن النبي ﷺ كما ذكر المؤلف كما في صحيح مسلم.

وهنا لا بد للمسلم أن يظهر دائما الافتقار إلى الله ﷻ. أن يلجأ إليه في كل لحظة؛ لأن الهداية والتوفيق في يده سبحانه وتعالى يقول: فإذا انفتح العبد إلى الله ودعاه وأدمن النظر في كلام الله، وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، انفتح له طريق الهدى.

إذاً من أعظم أسباب انفتاح طريق الهدى للمؤمن صدق اللجأ إلى الله نعم، وكثرة مطالعة نصوص الوحيين وكلام الصحابة؛ بمعنى أن يعتصم الإنسان بهذا الحد المتين بهذين المصدرين؛ فإن من تمسك بهما عصم بإذن الله من الضلالة والانحراف.

وما ضل أولئك وانحرفوا إلا بسبب أنهم استبدلوا نور الوحيين بتلك الأقيسة، وتلك الاجتهادات، وتلك العقول التي عشعش فيها الهوى، نعم.



نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب ، وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه يقول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة.

نعم. يقول: نعم، وإذا كان قد خبر نهاية إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب كيف كانت نهايتهم؟ وكيف أدى بهم ترك الكتاب والسنة وترك الاقتداء بمنهج السلف؛ بمنهج الصحابة -رضي الله عنهم- كيف أغرقوا في هذا الضلال والانحراف؟ وكيف وصل بهم أن وصفوا الله ﷻ الذي هو واجب الوجود بنفسه؛ أعظم موجود -وصفوه بأعظم الأشياء امتناعا.

يقول: وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة. نعم. كثير من القواعد التي يذكرونها، ويزعمون أنها براهين ما هي إلا شبه تتضح بالرد والتفنيد، وممن تصدى لذلك شيخ الإسلام. أوضح وبين أن كل البراهين التي أدلوا بها لتعطيل الخالق عن صفات -ما هي إلا شبه لا حقيقة لها.

رأى أن غالب ما يعتمدونه يقول إلى دعوى لا حقيقة لها؛ بمعنى: دعوى -والدعوى كل يدعي- لكن لا بد من برهان لا بد من بينة، أو شبهة مركبة من قياس فاسد؛ ولهذا ذكر شيخ الإسلام أن عام الضلال هؤلاء المتفلسفة والمعتلة أتوا من طريق هذه الأقيسة الفاسدة؛ كونهم يقيسون الخالق على المخلوق، وهذا قياس فاسد، أو قضية كلية، والقضية الكلية: هي الحكم على جميع الأفراد كقولهم مثلا: كل موصوف فهو جسم. لا تصلح إلا جزئية؛ ليس كل موصوف جسم هذا الصحيح.

هم عندهم قاعدة كقضية كلية "كل موصوف فهو جسم" إذن إذا وصفت الله ﷻ فقد أثبت أنه جسم. الصحيح أنها جزئية وليست قضية كلية، ليس كل موصوف جسم.



.....

أو دعوى إجماع لا حقيقة له. نعم أحيانا يحكون إجماعات. الشهرستاني والباقلاني أحيانا يقولان: وهذا مما أجمع عليه العقلاء. الرازي دائما: وهذا مما أجمع عليه العقلاء. من قال لك؟! هذا قولك وقول فلان وعلان. قولك وقول الجويني وقول الباقلاني -لكن يخالفك جمهور العقلاء.

أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة. أحيانا يأخذون بعض الألفاظ المشتركة -الألفاظ الموهمة، فيتمسكون بجزء منها زعما أنها تدل على هذه المسألة، وفي الحقيقة أنها لا تدل على هذه المسألة، وأحيانا يتمسكون في المذهب بقول إمام لهم يقولون: قوله هذا يدل على هذا الأمر، وهو في الحقيقة إذا نظرنا كلامه مجتمعا، ونظرنا سياق كلامه، ونظرنا مورد كلامه -وجدنا أن كلامه لا يدل على ما استدل به هذا الشخص. نعم.



الضد يُظهر حسنه الضد

ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان، ازداد إيماننا وعلمنا بما جاء به الكتاب والسنة، فإن الضد يُظهر حسن الضد، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً، وبقدرة أعرف.

نعم. هم اعتمدوا على هذه الألفاظ الفضفاضة، هذه الألفاظ الطويلة نعم التي لبسوا بها على بعض الناس؛ ولهذا يقول الشيخ: إذا رآها من لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغر الذي هو يغفل؛ جاهل نعم ما يوهمه السراب للعطشان، يتوقع أن هذا السراب ماء فإذا جاءه لم يجده شيئاً. يتوقع أن هذا فعلاً براهين، وأن هذه قواعد كلية، وأن هذه قواعد عقلية مسلمة، وهي في الحقيقة لا شيء، أوهام، شبه.

"ازداد إيماننا" هذا جواب قوله: ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام العقول ازداد إيماننا. هذا جواب ازداد إيماننا وعلمنا بما جاء به الكتب والسنة، فإن الضد يظهر حسن الضد، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً وبقدرة أعرف. نعم.



موقف الناس تجاه علم الكلام

فأما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنجاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن أنجاه قد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قَبْلَهُ، وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا لِمُعْظَمِهِ وتحويلا.

نعم. هذا موقف الناس عموما تجاه علم الكلام ثلاثة أقسام: قسم لم يدخل في هذا العلم؛ فهو في عافية، وهو أغلب الناس ولله الحمد والمنة. وقسم دخل فيه، وبلغ نهايته وتبين له.... أيش؟ أنه لا يهدي إلى حق، وأنه كالجاري خلف السراب، وذكر الشيخ في أول الكتاب أمثلة لبعض أساطين من هؤلاء؛ فالجويني هو القائل أو المتمثل بـ:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها سیرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرى إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

. الرازي هو القائل أو المتمثل بقول الشاعر:

نهاية إقدام العقول عقلا وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال



لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٢) واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾^(٤).

"ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي" أقروا واعترفوا أنهم لم يجدوا من هذا الطريق الحق الذي كانوا ينشدون، بل إن الجويني -وهو من هو الجويني؟! - من أكثر من خاض في غمار علم الكلام يقول: اشهدوا عليّ أنني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على عقيدتي، أو على ما يموت عليه عجائز نيسابور. ونقل عنه رحمه الله أنه قال: قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألف، هو أكثر من القراءة وأدمن في القراءة، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم وعلومهم، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن قد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركن الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني.

وقال وهو يوصي أصحابه في آخر حياته: يا أصحابنا لا تشتغلوا في الكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

الغزالي يقول: أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام.

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة فاطر آية : ١٠.

٣ - سورة الشورى آية : ١١.

٤ - سورة طه آية : ١١٠.



.....

فهذا اعتراف هؤلاء الذين وصلوا إلى نهاية هذا البيان؛ ولهذا بعضهم رجع. الجويني **فُهِمَ** من كلامه هذا أنه رجع إلى دين العجائز. الغزالي مات وصحيح البخاري على صدره.

لكن المشكلة القسم الثاني وهم المتوسطون الذين دخلوا في هذا العلم لم يبلغوا غايته؛ فيتبين لهم أنهم ليسوا على طريق الحق، ولم يسلموا كما سلم أصحاب القسم الأول؛ ولهذا قال الشيخ: (وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا لمعظمه وتهويلا) بمعنى **مُغْتَرٍّ** بهذه الكلمات وهذه المقدمات وهذه العقلیات؛ ولهذا يستمر في هذا الباطل إلى أن يلقي الله **عَلَيْكَ** . نعم.



ما قيل في علماء الكلام

وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف، يؤفك عنه من أفك، يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بيينة وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رحمته الله حيث قال: **حُكْمِي** في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين **الْقَدَرِ** والحيرة **مستولية** عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم - رحمتهم وترفت عليهم. أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوما وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدْتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا تَجَحَّدُونَ بِغَايَةِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١).

نعم يعني النظر إلى هؤلاء المتكلمين ينظر إليهم من جهتين:



.....
إن نظرت إليهم بعين الشرط -نعم كما قال المؤلف- رأيت أنهم مستحقون لما قاله الشافعي : حكمي بأهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال بمعنى أن يؤخذ على أيديه، ويؤثر على الحق ويمنع من باب إنكار المنكر ومن باب التعاون على البر والتقوى. هذا إذا نظرت إليهم بعين الشرط.

أما إن نظرت إليهم بعين القدر؛ بمعنى أن الله ﷻ كتب عليهم هذا الأمر وقدر عليهم هذا الأمر يقول: إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم -رحمتهم ورفقت عليهم. أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء؛ أعطاهم الله ﷻ ذكاء أعطاهم عقول -لكنهم لما استخدموها في غير ما خلقت له صارت وبالا عليهم. أعطوا ذكاء ولم يؤتوا زكاء صلاحا وتقى، هذا الذكاء هذا العقل إن لم يحكم بالصلاة إن لم يحكم بالعلم الشرعي إن لم يحكم بالتقى عاد وبالا على صاحبه؛ ولهذا هؤلاء أعطاهم الله ذكاء -أذكاء على جانب كبير من العقل؛ ولهذا إذا قرأت في كلامهم وما سطره وما قعدوه تتعجب كيف يخفى عليهم الحق؟! بل كما ذكر شيخ الإسلام عن الرازي أنه أحيانا يذكر الأقوال في هذه المسألة عشرات الأقوال أقوال الناس، والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره، وهو صاحب عقلية على مستوى كبير جدا من الذكاء لكنه لم يؤت زكاؤه، وأعطوا فهوما؛ أعطاهم الله ﷻ فهما -لكنهم لم يعطوا علوما، استخدموا هذا الفهم في غير العلم الشرعي. العلم ليس كل ما قرئ وكل ما كتب.

العلم	قال	الله	قال	رسوله	قال	الصحابه	هم	أولي	العرفان
العلم	ما	قال	فيه	حدثنا	وما	سوى	ذاك	وسواس	الشياطين



هذا هو العلم الشرعي، فلوا استخدموا عقولهم في هذا العلم لأعطاهم الله ﷻ الذكاء، وأعطاهم الله ﷻ الفهم، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة، لكنهم لم ينتفعوا بذلك؛ السبب: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١).

والله ﷻ أخبر أنه قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ (٢) ما السبب؟ ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٣) لما جاءهم الحق ردوا؛ فأعقبهم هذا الضلال وهذا الانحراف، علما أنهم كانوا حريصين على الحق، حريصين على تنزيه الله ﷻ لكنهم حرموا من هذا الأمر؛ والسبب أن الحق لما جاءهم أول ما جاءهم ردوه وما قبلوه. وبناءً على هذا يخشى المؤمن على نفسه أو يخشى الإنسان على نفسه إذا جاء أمر الله أو أمر رسوله ﷺ ورده بسبب شبهة أو بسبب هوى - أن يعقبه الله ﷻ نفاقا لا يعود إليه الإيمان بعد ذلك.

ثم قال: (ومن كان عليهما بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف، وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه واذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد إلا بُعدا) بمعنى من عرف هذا الأمر تبين له أن السلف لما نهوا عن الدخول في علم الكلام، واذموا أهله، وبينوا خطر هذا العلم؛ كل ذلك لأجل ماذا؟ لأجل أن يخشى على الإنسان الضلال والانحراف، وهو لا يدري.

ثم قال: فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم الذين أنعم عليهم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٤) آمين.

١ - سورة الأحقاف آية : ٢٦.

٢ - سورة الأنعام آية : ١١٠.

٣ - سورة الأنعام آية : ١١٠.

٤ - سورة الفاتحة آية : ٧.



ونسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لشيخ الإسلام، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير جزاء، وأن يرفع
درجته في المهديين، وأن يحشرنا وإياه في زمرة الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وحسن
أولئك رفيقا، وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.